الدكتور مشعل عبد العزيز الفلاحي

رحلة تدبر

في رحاب القرآن

الجزء الأول

من سورة الفاتحة إلى سورة النساء

دار القلم
دمشق

رحلة تدبر

في رحاب القرآن

١

دار القلم
دمشق

أسسها:
محمد علي دولة رحمه الله تعالى
سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

حقوق الطبع محفوظة

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق
هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
kalam-sy@hotmail.com

الدار الشامية - بيروت
هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)
ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدّة
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

ISBN: 978-9933-29-328-4
9 789933 293284

رِحْلَةُ تَدَبُّرٍ

فِي رِحَابِ الْقُرْآنِ

الجُزْءُ الأَوَّل

مِنْ سُورَةِ الفَاتِحَةِ إِلَى سُورَةِ النِّسَاءِ

الدكتور مشعل عبد العزيز الفلاحي

دار القلم
دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾

[النساء: ٨٢]

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

[ص: ٢٩]

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾

[محمد: ٢٤]

«من لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر لم يدرك من لذة القرآن شيئاً»

الإمام بدر الدين الزركشي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

وبعدُ، فحاجة الأمة للوحي كحاجتها للحياة لا فرق! ولن تعود الأمة لتاريخها الكبير وماضيها التليد إلَّا إذا عادت أجيالها للوحي، واستمدّت منه فكرة الحياة، وصار قاعدتها في التفكير والبناء.

إن الأجيال الناهضة لا يمكن أن تؤدي دورها، وتقوم ببناء مستقبلها، وتحيي دوائر تأثيرها ما لم يكن لديها رصيدٌ معرفيٌّ ضخمٌ، يُمكّنها من بناء أفكارها ومفاهيمها وتصوراتها عن الحياة، وكل مناهج الأرض وحضاراتها ستظل عاجزة عن هذا المعنى الكبير إلّا إذا آمنت بأن الوحي هو الحياة، وبدأت قصتها الكبرى وخطوات البداية منه، وجعلته الأصل في كل شيء.

وهذا المشروع ـ «رحلة تدبر في رحاب القرآن» ـ بُني لهذا المقصد الكبير:

١ ـ فسّرتُ فيه كلام الله تعالى.

٢ ـ وتدبّرت كل آية فيه.

٢ ـ سردت الأمثلة التطبيقية لكثير من معانيه.

٣ ـ حاولت أن أصنع إشراقاً للأرواح فيه قدر الوسع.

٤ ـ بسطت ما استطعت من المفاهيم والأفكار والتصورات لكل سورة.

٥ ـ تناولت الحديث عن الجوانب الدعوية والفكرية والتربوية.

ولم أتعرّض لشيء غير ذلك، وأحسب أنه لبنة في البناء الدعوي لهذا الدين العظيم.

والله هو المسؤول أن يبني به ما نرجوه من آمال، ومن الله تعالى الحول والطول، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

الدكتور مشعل عبد العزيز الفلاحي

سُورَةُ الفَاتِحَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾
مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾
ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

التفسير

• ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ الثناء على الله تعالى بصفاته وأفعاله، بأنه الخالق للخلق، والمربي لهم، والمالك والمدبر لشؤونهم، جلَّ في علاه.

• ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ ذو الرحمة التي وسعت كل شيء.

• ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ المتصرِّف في الجزاء والحساب يوم القيامة.

• ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لك وحدك كل أنواع العبادة، وأنت المستحقُّ لها، لا شريك لك ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ فلا نطلب العونَ إلّا منك.

• ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ دُلَّنا وأرشدنا ووفِّقنا إلى سلوك طريق الحق.

• ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ طريق الذين تفضّلت عليهم بالهداية والتوفيق والإنعام من النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ وجنِّبنا طريق الذين عرفوا الحق وتركوه كاليهود ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ وطريق الذين تركوا الحق عن جهل وضلال كالنصارى.

التَّدَبُّر

١ ـ في «البخاري» (٤٤٧٤): أنّ النبي ﷺ قال لبعض صحابته: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ.** قَالَ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ **هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**».

وفي «صحيح مسلم» (٨٠٦) من حديث ابنِ عَبَّاسٍ ﵄، قالَ: «**بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضاً مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ، لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا، لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ**».

٢ ـ وهي رقية إذا قُرِئ بها على مصابٍ برأ بإذن الله تعالى، وقد قرأ بها أحد الصحابة على ملدوغ، فقام فكأنما نشط من عقال.

وقال نبيك ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:** ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ **قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ **قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:**

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[1].

٣ ـ تأمل في صلاتك حديث الله تعالى معك، ومناجاته لك، وتحقيق سؤالك، وإعطاءك رغبتك، ومَنْ أدرك هذه المعاني أدرك من صلاته كل خير!

٤ ـ والحمد هنا هو الطريق الأمثل لاستقبال كل ما يأتي في كتاب الله تعالى بعد ذلك من أوامر ونواه ومعان ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾.

٥ ـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ يجب أن تستغرق هذه الكلمة بمعانيها مشاعرنا وأفكارنا بما يعيننا على استثمار الحياة، ومواجهة عثرات الطريق.

٦ ـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ على زوجك، وولدك، ووظيفتك، وقدراتك، وطاقاتك، وإمكاناتك، وكل ما أعطاك الله تعالى.

٧ ـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ على ظروفك، وأوجاعك، وأحلامك التي لم تصل إليها بَعْدُ.

٨ ـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ على المرض، والإعاقة، والفقر، والظروف العارضة، وكل شيء في الحياة.

٩ ـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ على كل نجاحاتك التي تحققت، وأحلامك التي جاءت بعد طول غياب، وأمنياتك التي باتت واقعاً، فمن أنت لولا فضل الله تعالى؟!

---

(١) أخرجه مسلم (٣٩٥).

١٠ ـ كمال ملك الله تعالى، وعظيم سلطانه، وربوبيته على خلقه، ومن كان كذلك كان حقيقاً بالتعظيم والإجلال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾.

١١ ـ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كلمة يجب أن تملأ قلبك، ومشاعرك، وعواطفك، وكل شيء فيك.

١٢ ـ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الذي يملك كل شيء، ويعين على كل شيء، ويتحقق به ومن خلاله كل شيء.

١٣ ـ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الذي بيده ملكوت هذا الكون، ويتصرّف فيه كيف شاء، ومتى شاء، وأين ما شاء.

١٤ ـ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الذي يعطي ويمنع، وينفع ويضر، وغيرُهُ عبيدٌ له، لا يملكون من أمرهم شيئاً.

١٥ ـ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الحقيقة التي يجب أن تستقر في ذهنك ومشاعرك، كما يجب أن تستقر في قلبك وفكرك.

هذا هو الرب، وما عداه مربوبون!

هذا الذي يملك كل شيء، وما عداه مملوكون!

هذا الذي يجب أن يستقر في ذهنك أنه إذا رضي عليك أحبك كل هذا الكون، وإذا غضب عليك كرهك كل شيء في هذا الكون.

هذا ربك وخالقك، ومدبر أمرك، ومهيئ رزقك، ومادُّك بكل سبل التوفيق، ومعينك على كل شيء تبلغ به آمالك.

١٦ ـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ مهما كان ذنبك، وجرمك، وخطيئتك في جنب ربك ومولاك.

١٧ ـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ مهما كان ماضيك وسابق عهدك، وأيامك الأُولُ!

١٨ـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ رغم كل ما قلت، وفعلت، وجهلت!

١٩ـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ اليوم في ساحات الدنيا فلم يفضحك بذنبك، ولم يكشف سترك، ولم يشوِّه صورتك.

٢٠ـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ رغم طول بعدك، وإصرارك على ذنبك، وتأخرك عن الطريق.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ اليوم في ساحات الدنيا، وغداً في ساحات القيامة، وفي مواقف القصاص، وعند موازين الحساب!

٢١ـ عزُّ المؤمن وكماله في تذلُّلِه لربه تعالى، والفقر له، والخضوع إليه، وإفراده بالعبادة، والاستعانة به في قضاء كل حاجة.

ومن اجتمع في حقه كمال التذلل بالعبادة، وكمال التوجه: اجتمع له كل شيء ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾.

٢٢ـ وفيها ما لا ينبغي أن يفوتك في هذا المقام، وحريٌّ بك أن تتأمله كثيراً في صلاتك، وهو سؤالك الهداية منه تعالى ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾.

إنك حين تسأله هذا السؤال تلوذ به، وتطلب منه، وتُلِحُّ عليه، وترجوه أن يدلّك على طريق الحق، ويهبك توفيقاً للسير عليه، ويعينك على صعابه.

تأمل هذا السؤال، وامنحه حقه، وإياك أن تسأل شيئاً غائباً عن ذهنك، فتفوتك مباهج الإجابة في أعزِّ مواطنها وأحراها بالقبول. حتى قال ابن القيم: «وإنما يسأل العبد الهداية من الله تعالى وهو مهتدٍ؛ لأن المجهول للإنسان أضعاف المعلوم، وما لا يريد فعله تهاوناً وكسلاً مثل ما نريده أو أكثر منه، وما لا نقدر عليه مما نريده كذلك، وما نعرف جملته، ولا نهتدي لتفاصيله، فأمر يفوت الحصر، ونحن

محتاجون إلى الهدايــة التامة، فمن كملت له هذه الأمور كان ســؤال الهداية له سؤال التثبيت والدوام». اهـ

٢٣ ـ سل الله تعالى أن يهدي قلبك للحق؛ فكم من مصروفٍ عنه ضالٌّ عن طريقه، يهيم في أودية الضلال، غير عارف بالطريق، ولا مستدلٌ عليه! ولو ألقيت بصرك في ساحات هذا العالم لرأيت أمماً على غير هدى، حتى بلغ بهم الحال أن يعبدوا جماداً أو حيواناً، فضلاً عن عبيد الإنسان! ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾.

٢٤ ـ سل الله تعالى أن يعينك على بلوغ أمانيك، فكم من عالمٍ غير عامل، وعاجزٍ وأماني الدارين كلُّها بين يديه! وسل الله تعالى ألا يزيغ قلبك لعارضٍ من هوًى أو شهوةٍ أو ضلال ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾.

٢٥ ـ ســل الله تعالى أن يهديك لمصالح الدارين، ويرزقــك البصيرة في دينك ودنياك، وألَّا يكلك إلى نفسك طرفة عين؛ فإنّ من وُكِلَ إلى نفسه وُكِلَ إلى كُلِّ سوء ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾.

٢٦ ـ سل الله تعالى أن يعينك على معرفة أهل الحق، وأن يهدي قلبك لمرافقتهم، وأن يعينك على القيام بحقوق هذه الصحبة، وأن يزيدك قرباً منهم، وصلاحاً بهم، وعوناً على معرفة الحقائق من خلالهم ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾.

٢٧ ـ سل الله تعالى أن يهدي ولدك وزوجك ووالديك، وأن يبسط عليك نعمه بحبهم لدينه، ورضاهم به، والاستقامة عليه، وأن يجمع شملكم على برٍّ وخيرٍ وطاعةٍ وتوفيــقٍ، وألا يجعل للشــيطان منكم حظــاً ولا نصيباً ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾.

٢٨ ـ تأمل سؤالك الخاتم الدائم أن يجنّبك الله تعالى طريق اليهود، والنصارى، واقرنه بقول نبيك ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَــنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ، وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ،**

حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ»[1]؟! لترى كم مرة نسأل الله تعالى ونلوذ به من طريق هؤلاء، وكم مرة في المقابل نقع في آثام ذلك الطريق! والله المستعان! ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾.

٢٩ ـ معرفة أهل الضلال هدايةٌ من ربك، وكم من هَلْكى في الطريق من هذا الباب! ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾.

٣٠ ـ ومن هداية الله تعالى لك أن يعينك على تجنُّب طريق هؤلاء، وأن يصرفك عنهم، ويحول بينك وبين ما هم فيه من ضلال ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾.

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه البخاري (٧٣٢٠ و٣٤٥٦)، مسلم (٢٦٦٩).

سُورَةُ البَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾
ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ
﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ
وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

التفسير

- ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ من الحروف المقطّعة التي تدل على أن هذا القرآن مؤلّف من جنس هذه الأحرف، وأن العرب عاجزون عن الإتيان بمثله.

- ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ القرآن الكريم ﴿لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾ لا شك أنه من عند الله تعالى ﴿هُدًى﴾ دالاً، وهادياً إلى كل خير ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ لمن جعل بينه وبين عذاب الله تعالى وقاية بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

• ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ يصدِّقون بخبر الله تعالى وخبر رسوله ﷺ، ويعملون بمقتضى ذلك ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يؤدونها كما أمر الله تعالى ظاهراً وباطناً ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ يتصدقون ويبذلون في سبيل الله تعالى.

• ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ الكتب التي أنزلت على الرسل من قبلك ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ﴾ يوم القيامة وما فيها من جزاء ﴿هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ يعلمون علماً تاماً لا شك فيه بجزاء القيامة، ويعملون بموجب ذلك العلم.

• ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بهذه المعاني ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ مهديون موفقون ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ الفائزون.

التَّدَبُّر

١ ـ الإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان بكل ما جاء عن الله تعالى، واليقين بالآخرة: صفات أهل الإيمان، فشمّر لها، وأقبل عليها، ونافس أهلها تكن حقيقاً بهداية الله تعالى وتوفيقه في الدارين ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ ومن كمال فقهك وتوفيق الله تعالى لك أن تزاحم على هذه المواطن، وتجتهد قَدْرَ وُسْعِكَ في تكثير مباهجك في الدارين.

٢ ـ العلم شرط في العمل، وفرق بين علمٍ يكاثر به صاحبه مَنْ حوله، وعلمٍ

يورث عملاً، ومن لم ينزل في رحاب هذا المعنى، فلا شأن له بركاب العلم! ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ ومقتضى هذا الوصف لكتاب الله تعالى أن يورث الإقبال عليه، وإلَّا فما فائدة إنسانٍ يعرف هذه الحقائق، ويكاثر بها، ولا أثر لها في واقعه؟!

٣ ـ القرآن كتاب هداية، ومن أمسك به راغباً في الخيرات وصل، وفَرْقٌ بين تالٍ يسرد حرفه، ويجتهد في بلوغ نهايته، وتالٍ تستوقفه آياته، وتستولي على مشاعره، وتفيض عليه بالعمل والبناء ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾. الهداية لا تأتي من خلال القراءة المجردة، وإنما تأتي من خلال التدبّر والعمل.

٤ ـ كل كتب البشر إذا لم تستقِ من هذا المعنى الصافي، وإلَّا فهي من الريب الذي يجب أن تنأى عنه ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ وكتابٌ بهذا المعنى الكبير حقيقٌ بأن تُحَاكَمَ كل الكتب إليه.

٥ ـ كل مواطن الخير التي تريدها من الهداية هي في رحاب هذا المَعِيْن ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ هداية قلبك، وروحك، وطريقك، وزوجك، وبيتك، وولدك، وكل شيء في حياتك، وما لا تتوقعه أو تتصوره ستجده في رحاب هذا القرآن.

٦ ـ بقدر ما في قلبك من تقوى بقدر ما تجد من هدايته ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ فقم بأمر ربك، وارفع رأسك عالياً به، وترفّع عن كل خطيئة تحول بينك وبين مباهج هذا النعيم، وعظّم شعائر الله تعالى، وقم بحقّها من الإجلال؛ وسترى كيف تجري الهداية في كل شأنٍ من حياتك!

٧ ـ المعاصي حائل بينك وبين استلهام هدايات هذا الكتاب ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ كم من معصية حالت دون التوفيق! وإذا لم تجد

روحك وتعرف طريقك وتستلهم هذا المعنى، فإنّ بينك وبين تلك الأماني عوائق تحتاج إلى إزالة.

٨ ـ كمال قدرة الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ يفتتح كتابه بهذا التحدّي المثير ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ومن تاريخ ذلك النزول إلى يومنا هذا لم يستطع معارض في الأرض أن يدعي حوله استفهاماً ليس له جواب، ويتقدم العلم ويثري ساحات الكون، ولا يزيدك القرآن إلّا إعجاباً.

٩ ـ حاجة المسلمين اليوم لفهم هذا الكتاب تعلو كلَّ حاجة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ مؤسف أن كثيرين يرون أن الهداية لا تبرح الأرواح، الروح أصل الهداية وبدايتها وبابها الأول، وهداية عقلك لمعرفة الحق، ورؤية الحقائق عن بصيرة، ومعرفة الخير من الشر، والفاضل من المفضول، وهداية التوفيق للعمل الصالح، والإعانة عليه، والهداية لمصالحك في الدارين: كل هذا وأكثر بعضُ ما فيه.

١٠ ـ هناك ضرورة قصوى لافتتاح الأمة مشاريع لهدايات هذا القرآن، والإفادة منه في واقع الحياة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ وهو واجب أهل العلم وحملة الأفكار وصانعي الحياة. ما لم يتحوّل هذا القرآن إلى كتاب هداية ستظل أجيال الأمة تحفظ نصوصاً لا تدرك معانيها، وتصرف على هذا الحفظ أوقاتاً وأموالاً، وهي وإن كانت في حفظ أصلٍ يجب المرابطة في ساحاته؛ إلّا أن استثمار هذا الأصل والجهود المبذولة فيه مرهونة بصلاح قلب ذلك الحافظ، وإدراك عظمة ما فيه، وإلّا لن يبقى من هذه الجهود المصروفة على حفظ ذلك الأصل شيء.

١١ ـ الإيمان بالغيب، والإذعان لله تعالى، والتسليم لأمره من أعظم علامات المتقين ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ والخلل في هذه القضية لدى الإنسان كفيلٌ بضياع هويته بالكلية، وأعظم ما ميّز جيل الصحابة

في تلك الحقبة من الزمن إيمانهم بالغيب، واستسلامهم للوحي، وقبولهم كل شيء يأتي من عند الله تعالى.

ويجتهد العدو اليوم في قتـل هذا المعنى، وإضعافه في قلوب المسلمين قدر وسعه، وما لم ندرك أن الوحي للأمة بمنزلة الروح لجسدها، وإلَّا سيظل هذا المعنى ينحسر تدريجياً إلى أن تأتي اللحظة التي لا يُحتفل فيها بالوحي، ولا يقام له فيها معنى.

١٢ ـ عظم شأن الصلاة، وأن المقصود الأعظم منها إقامتها ظاهراً بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها، وباطناً باستشعار عظمة مَنْ تقام بين يديه، وليس المقصود منها الأداء الذي لا يحقق لصاحبها سوى الفراغ منها، والخروج من تبعاتها ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

وتأمل قوله ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ إقامة روحية وشعورية ووجدانية قبل أن تكون تلك الصور التي يُهْرَعُ إليها المسلم، وهو ينتظر التسليم منها بفارغ الصبر.

١٣ ـ هذه هي الصلاة التي جعلها الله تعالى فاصلاً بين الكفر والإيمان «**العهدُ الذي بيننا وبينهم الصلاةُ، فمن تركها فقد كفر**»[١]، وهي أول عمل تُسأل عنه بين يدي الله تعالى يوم القيامة، وهي الفريضة التي ودّع النبي ﷺ الدنيا، وهو يردّد «**الصلاة الصلاةَ**»[٢]، ومثلها حقيق بالإجلال والعناية والاهتمام، ومَنْ قامت له صلاته قام له كل شيء.

١٤ ـ الإنفاق دليل على الإيمان، ومَنْ تخلى عن ماله رغم حبه الكبير له من أجل ربه لقي موعود الله تعالى في الدارين ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

---

(١) أخرجه النسائي (٤٦٤) والترمذي (٢٦٢١) وابن ماجه (١٠٧٩) وأحمد (٢٢٩٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٥٦) وابن ماجه (٢٦٩٨).

١٥ ـ ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ حين تنفــق فإنك لا تنفق من مالك، ولا تهب من شــيء خاصٍّ بك، فلا تَمْنُنْ على ربك بذلك، إنما تنفق من مال الله تعالى الذي أعطاك، ورزقك إياه، ودفع به حاجتك.

١٦ ـ الإنفاق تخليصٌ لصاحبه من الشحّ والبخل وســيِّء الأخلاق، وتدريبٌ للنفس على البذل والعطاء، وتأهيلٌ لها على فضائل الأخلاق والأعمال ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

١٧ ـ الإيمان الحقيقي يصنع هذا التكامل البهيج في حياة صاحبه، ويجنِّبه الشتات ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة، وينفقون مما أعطاهم الله تعالى، كلٌّ ذلك في ســلك واحد منتظم، لا يعرف الشتات والاختلاف.

١٨ ـ أنخ مشاعرك بباب هذا المعنى الكبير ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ هذه تزكية من ربك، وليست تزكية أحد من العالمين! وإذا انتظمت في الطريق ذاته كنت حقيقاً بهذا المعنى الكبير في الحياة.

❀ ❀ ❀

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا
يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ
أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا
يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ
ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ
ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ
ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ
ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ
مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ
﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت
تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾

التفسير

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله تعالى ممن سبق في القدر أنهم لن يؤمنوا كأبي لهب ونحوه ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ وعظتهم وذكَّرتهم بأمر الله تعالى ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ لم تعظهم، ولم تذكِّرهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ لا يستجيبون لله تعالى.

• ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ﴾ طبع ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فلا يعقلون الحق ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ فلا يسمعون الحق سماع استجابة وقبول ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ فلا يبصرون الحق مع وضوحه ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾ النار وسخط العزيز الجبار.

• ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي من المنافقين ﴿مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ بألسنتهم ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ حقيقة وصدقاً.

• ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بإظهار الإيمان وإبطان الكفر ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ بهذه الأفعال ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ بأن ضرر هذه الأفعال وعاقبتها عليهم.

• ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شكٌّ ونفاق ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ شكّاً ونفاقاً وكفراً ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ قاسٍ موجع ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ بسبب كذبهم.

• ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالنفاق والكفر والمعاصي ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ أصحاب الحق والإصلاح في الأرض.

• ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ في الحقيقة والواقع ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ بفسادهم وضلالهم.

• ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ ﴾ بـالله تعالى ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ كإيمان الصحابة ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ صحابة رسول الله ﷺ بزعمهم ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ في الحقيقة ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ سفههم وضلالهم.

• ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ في مكان ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ بالله تعالى ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ ﴾ أي رؤسائهم في الكفر ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ ﴾ أي على الكفر ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ بهذا الدين، أو بالمؤمنين.

• ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ بتزيين عملهم الباطل، وعمى قلوبهم عن الحق ﴿وَيَمُدُّهُمۡ﴾ يزيدهم ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ ﴾ تجاوزهم على الحق ﴿يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ يتحيَّرون ويتردَّدون.

• ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ أي المنافقون الموصوفون بتلك الصفات ﴿ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ استبدلوا بهدى الله تعالى ضلالة الشيطان ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾ التي باعوا فيها هدى الله تعالى، واشتروا بها الضلال ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ إلى الحق.

التَّدَبُّر

١ ـ الواجب على الداعية سلوك السبل كافة في دعوته، وأنّ عليه البلاغ بكل حال، وإن كان جرى في القدر أن مَنْ يدعوهم لا يسلمون أو لا يستجيبون؛ لأنه لا سبيل له إلى معرفة ذلك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

٢ ـ هذه الآيات ليست حكماً عاماً في جميع الكفار، وإنما في حق أقوام مخصوصين من الكفار، وإلّا فتلك الأجيال التي آمنت برسول الله ﷺ كانت في الأصل على الكفر والضلال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

٣ ـ القلب والسمع والبصر منافذ الهداية؛ وإذا سُدت لم ينتفع منها الإنسان بشيء، ومن كمال عقل صاحبها أن يجتهد غاية وسعه في حياتها، وأن يحول بينها وبين موانع التوفيق، وعليه أن يسأل ربه طويلاً أن يجعل هذه الجوارح موارد للخيرات ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾.

٤ ـ سبب الخذلان من صاحبه، وكل إنسان مسؤول عن بداية الطريق، وعلى ربه النهايات ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ فهم الذين كفروا أولاً، وإنما خُتم على قلوبهم، وحُجبت عنهم موارد التوفيق، لسعيهم في الضلال، وحرصهم على مجانبة الحق، وهذه سُنَّةٌ في كل مَنْ أعرض عن وحي الله تعالى، وتجنب الطريق في وقت قربه، وتمنّاه بعد فوات الأوان.

٥ ـ المنافقون أخطر أعداء الدين، وأشدهم ضرراً عليه؛ فقد وصف الله تعالى المتقين في بداية هذه السورة بأربع آيات، والكفار بثلاث، والمنافقين بثلاث عشرة آية، ومن كمال فقهك أن تدرك خطر عدوك، وتضع له من التدبير على قدر ما عُنِيَ به القرآن.

٦ ـ الأصل في المنافق التلوّن وعدم الوضوح، وإذا رصدت هذا المعنى رأيته في فئام ممن هم حولك ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

٧ ـ لا عبرة بأقوال كثيرين ما لم يصدقها واقع العمل ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ ما أكثر الدعاوى التي تحتاج إلى براهين! من السطحية أن تحكم على إنسان من خلال مقولةٍ في عُرْض الطريق.

٨ ـ فساد الظاهر فرعٌ عن فساد الباطن، وإذا رأيت من يلبس جلباب النفاق، فاعلم أن الضلالة قد بلغت مداها في قلبه، نعوذ بالله تعالى من الخذلان ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

٩ ـ ما كل مدعٍ قولاً صادقٌ في دعواه، وكم من مدعٍ الإصلاح وهو العقبة الكؤود في طريقه ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ ومن كمال علمك ألا تعطي أذنك لكل متحدث؛ فـإن آفة التناقض والتلون هي دأب النفاق في كل وقت.

١٠ ـ لا فرق بين المريض الذي يستكره لذيذ الطعام مع جماله، والمنافق الذي يُعْرِضُ عن الوحي على الرغم من كماله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ الأول يدفع لذيذ الطعام ويستكرهه لعلّته، والآخر يستكره الوحي ويدفعه كذلك لمرضه وعلّته.

١١ ـ أعظم الأمراض أثراً وأكثرها خطراً على صاحبها أمراض القلوب، وكم من معلولٍ في جسده يتقلّب في جنان الرحمن! وكم من معلولٍ في قلبه موعود بأسوأ الخواتيم ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

١٢ ـ النهايات موكولة بالبدايات، وما كانت الأمراض لتتلبّسهم لولا أصلها المُتَجَذِّر في قلوبهم ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

١٣ ـ أزمة الأمة وفساد مشاريعها وضياع مستقبلها أثر من عمل النفاق والمنافقين ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

١٤ ـ قلب الحقائق، وتغيير الموازين جزء من معركة الباطل مع الحق ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ فالمعركة الحقيقية معركة مفاهيم.

١٥ ـ غالب ما يدور في الإعلام هو الجزء التطبيقي لمفاهيم النفاق ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ قول بلا عمل، وإفساد باسم الإصلاح، وفوضى تعم العالم باسم الحضارة.

١٦ ـ الوحي هو المعيار الضابط لتقويم المفاهيم والأحداث الجارية في الواقع ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ إذا كان المفسدون يَدَّعُون الحق فماذا بقي للحقائق؟!

١٧ ـ ادعاء الإصلاح، والسخرية، ولمز المؤمنين، والكذب، والخداع، وعدم الوضوح: من أعظم صفات المنافقين، وقلَّ أن تجد متصفاً بذلك إلَّا وله صلة بإرث المنافقين من قريب أو بعيد ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾.

١٨ ـ من لوازم النفاق وصف أهل الإيمان بقبيح الأوصاف والفعال ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ وكل ما تسمع اليوم في وسائل الإعلام إنما هو بعض سمات المنافقين وأوصافهم.

١٩ ـ تزكية النفس ومدحها جزء من المساحات المظلمة في عالم النفاق ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ هذا الاستعلاء فرع عن الكِبْرِ، والتزكية جزء من نبت السوء عند هؤلاء.

٢٠ ـ التلوّن بضاعة النفاق ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾ ومن كمال عقلك أن يلازم الصفاء سيرتك، ويكون طبعاً لك مع الأيام.

٢١ ـ للنفاق جماعة، ولكل حزب من يمده من أعوان، ومغالبة هؤلاء لا تأتي إلَّا من خلال جهود جماعية منظمة تأتي على فسادهم، وتجتثّ أفكارهم وخططهم ومؤامراتهم ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾.

٢٢ ـ إذا سمعت من يتبنى منهجاً منحرفاً، أو رأياً شاذاً، وهو صالح في أصله، فقد وقع في شَـرَكِ النفاق دون وعـي ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ ذلك الذي أصابه جزء من وحي الشياطين.

٢٣ ـ كيد المنافقيـن مقابَلٌ بكيد الله تعالـى، ومكرهم بمكره، واسـتهزاؤهم باستهزائه، وفي ذلك من العون والتوفيق للمؤمنين ما فيه ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾.

٢٤ ـ ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ دعـوة لمواجهة المنافقين، والوقوف في طريقهم، ومقاومة أفكارهم، واجتثاث مشاريعهم، مهما بلغ كيدهم، وتفوقت مقوماتهم، ومن كان الله تعالى معه فهو أحق بالنصر والغلبة في النهاية.

٢٥ ـ استشـعار معية الله تعالى في كل معركة يديرها صاحـب الحق في مقابل الباطل مددٌ لتحقيق آماله التي يعيش من أجلها ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾.

٢٦ ـ من سـوء التوفيق للإنسـان أن يسـتبدل بهدى الله تعالى ضلال الشـياطين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾.

❀ ❀ ❀

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ
بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا
يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ
أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾
يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ
قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً
وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟
لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ
عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى
وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا
رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ
مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾

التفسير

• ﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي المنافقين في حالهم ووصفهم ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ كان في ظلمة، ثم أوقد ناراً لتزيل ظلامه ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ انكشف ظلام المكان، وتحقق له النور الذي يريد ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ فطفئت تلك النار ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ وعادوا في الظلام متحيِّرين، لا يبصرون شيئاً من حولهم.

• ﴿صُمٌّۢ﴾ عن سماع الحق ﴿بُكْمٌ﴾ عن النطق به ﴿عُمْىٌ﴾ عن رؤيته ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ لا يتمكَّنون من الرجوع إلى الحق.

• ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أو مثلهم كمثل مطرٍ نازلٍ من السماء ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ﴾ ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر ﴿وَرَعْدٌ﴾ صوت السحاب ﴿وَبَرْقٌ﴾ الضوء اللامع المنبعث من السحاب ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ يفعلون ذلك خوفاً من الموت ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ لا يعجزونه في شيء.

• ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾ البرق ﴿مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ في الطريق ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾ توقفوا عن المشي ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لو أراد ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ فلا يسمعون شيئاً ﴿وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ فلا يبصرون شيئاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ لا يعجزه شيء.

هذان مثلان ضربهما الله تعالى للمنافقين: مثلٌ ناري، ومثلٌ مائي.

فالمثل الناري: كمن أوقد ناراً ليستضيء بها، فلمَّا سطع نورها، وظن أنه منتفع بها، انطفأت فذهب ضوؤها، وبقي ما فيها من إحراق.

والمثل المائي: أنّ المطر مثل للقرآن، وصوت الصواعق مثلٌ لما فيه من الزواجر، وضوء البرق مثلٌ لظهور الحق لهم في بعض الأحيان، وسدُّ آذانهم من شدة الصواعق مثلٌ لإعراضهم عن الحق، وعدم استجابتهم له.

وفي كلا المثلين لم يستفيدوا شيئاً، ففي المثل الناري لم يستفيدوا غير الظلام والإحراق، وفي المثل المائي لم يستفيدوا غير إزعاج الرعد وترويع البرق والمطر، نعوذ بالله تعالى من الخذلان.

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ وحّدُوه، وامتثلوا أمره ونهيه ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ أوجدكم من العدم ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ وخلق الذين من قبلكم ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ تجعلون بينكم وبين عذابه وقاية بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.
- ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا ﴾ مستقرة للانتفاع ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ سقفاً ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ مطراً ﴿فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡ﴾ تأكلونه وتنتفعون به ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ شركاء في العبادة ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ أنه وحده المستحق للعبادة دون سواه، فلا خالق إلّا الله تعالى، ولا مالك لهذا الكون سواه.
- ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ ﴾ في شك ﴿مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ من القرآن ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ أي هاتوا سورة واحدة تعارضون بها كتاب الله تعالى ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي أناساً يشهدون معكم على أن هذه السورة مماثلة لما في القرآن ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣﴾ في دعواكم.
- ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ ﴾ لم تستطيعوا أن تأتوا بها ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ لن تستطيعوا ذلك ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابها وقاية ﴿ٱلَّتِي وَقُودُهَا﴾

حطبها ﴿ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ كلما ألقوا فيها زادت اشتعالاً ولهيباً ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ أي جُهِّزت ورتِّبت للكافرين بالله تعالى.

• ﴿وَبَشِّرِ﴾ يا أيها الرسول ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بقلوبهم ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بجوارحهم ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ بساتين جامعة لكلِّ النِّعَم ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ من الماء واللبن والعسل والخمر ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا﴾ اطعموا من تلك الجنات ﴿مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ نوع من أنواع الثمار ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ من جنسه وعلى وصفه ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ﴾ بالرزق ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾ في الشكل والصورة ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ﴾ في الجنة ﴿أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ في الخلق والأخلاق ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ ماكثون مقيمون.

التَّدَبُّر

١ ـ من أعظم العقوبات أن يسلبك الله تعالى الهداية والتوفيق ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ كانوا أحوج ما يكونون إلى النور وقت الظلام، فلم يكن لهم من ذلك شيء.

٢ ـ مِنْ عاجل السوء أن ترى مضائق الزمان تحيق بك، ثم لا تعُدّها من آثار المخالفة ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ كم من مكاسب ذهبت عنهم في عرض الدنيا وهم لا يشعرون.

٣ ـ كل خسارة تنالك في الطريق هي من ظلام الجوارح ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾.

٤ ـ إن الله تعالى يمهل ولا يهمل ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ نور البدايات إنما كان استدراجاً!

٥ ـ لا تفرح بعاجل بهيج ما لم تستثمره في الطريق ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ بعض المباهج قد تكون استدراجاً.

٦ ـ عبادة الله تعالى أعظم المقاصد من خلق الإنسان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ وقد مرَّ بك أن العبادة ليست تلك الصورة التي تُؤدَّى في المسجد وتنتهي فيه، بل هي اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

٧ ـ صياغة الأرواح، وتأهيل النفوس لحقائق الحياة هي الغاية التي أرادها الله تعالى من العبادة في الأرض ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ وفي عالم اليوم تأهيل للأجساد وبرامج رياضية طويلة الأمد، وتسلّق للجبال في مقابل تهافت الروح إلى أقصى مدى.

٨ ـ من كمال عقلك وتوفيقك أن تمد نظرك للكون متأملاً معتبراً ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

٩ ـ التوحيد أعظم الغايات وأهم الأولويات ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فتعاهد قضايا التوحيد في قلبك، وانظر لمتانة قوى التوكل والاستعانة والاستعاذة بالله تعالى في زمن الفتن والأزمات تعرف قَدْرَهَا وتدرك مستواها.

١٠ ـ ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تتهافتون عليهم بقلوبكم ومشاعركم، وتمنحونهم ما لله تعالى.

١١ ـ ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تعظمون أمرهم على أمر الله تعالى، وتقدّمون حبهم على حبه، ومراضيهم على مراضيه.

١٢ ـ ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ليست أصنام الجاهلية وأوثانها فقط، بل أصنام اليوم وأوثانه! قصة أولئك كانت في حجر يعبد، وقصة كثيرين في واقع الناس اليوم في عادة يحكّمها على غير منهج الله تعالى، ومخلوق يهب له من العبادة ما هو حق لله تعالى، وتجده مسلماً في الأصل، وعبداً في الوقت ذاته لمخلوقين، وعادات وتقاليد ما أنزل الله تعالى بها من سلطان!

١٣ ـ صراع الشُّبه وإسقاطها يأتي من خلال الدليل والحجة والبرهان ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

١٤ ـ حاجة الأمة اليوم ملحّة في إدارة شأن الصراع، والرد على الشبه، وإشاعة مفاهيم الوحي، وتعظيم قدره، وبثّ المفاهيم والأفكار والتصورات الصحيحة في أوساط المسلمين ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

١٥ ـ كتاب الله تعالى هو أعظم الآيات البيّنة الدالة على صحة هذه الرسالة، وهو مادتها التي يعجز العربي الفصيح أن يأتي بسورة واحدة تضاهي بعضاً مما فيه ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ ومهما بلغ العلم سيظل قاصراً أن يعارض

هذا الوحي بشيء! وهذا أحد التحديات التي يجب أن يجابه بها دعاة الإلحاد في مثل هذا الزمان.

١٦ ـ الجزاء من جنس العمل؛ فالنار التي وقودها الناس والحجارة جزاء المعرضين الفجار ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ والجنة التي تجري من تحتها الأنهار جزاء المتقين الأبرار ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

❀ ❀ ❀

۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا
فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ
بِهَـٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ
وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾
كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ
يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ
فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

التفسير

• ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾ أيّاً كان هذا المثل الذي يضربه الله تعالى ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ سواء كان هذا المثل صغيراً كالبعوض، أو

ما فوق البعوض في الصغر ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله تعالى ﴿فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي المثل ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ فيؤمنون به ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله تعالى ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗا﴾ لماذا ضرب الله تعالى هذا المثل؟! يقولون هذا على وجه الاعتراض والحيرة والتردد ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾ بهذا المثل ﴿كَثِيرٗا﴾ عن الحق لكفرهم به ﴿وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗا﴾ من المؤمنين لتصديقهم به ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ﴾ بالمثل ﴿إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ الخارجين عن طاعته.

• ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾ ما أخذه الله تعالى عليهم فيما بينهم وبينه تعالى من توحيده وعبادته، وما بين بعضهم بعضاً من العهود ﴿مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ توكيده عليهم ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ في حقوق الله تعالى، أو حقوق رسله، أو حقوق المؤمنين ﴿وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧﴾ في الدارين.

• ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ أي ما كان لكم أن تكفروا بالله تعالى ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا﴾ لم تكونوا شيئاً ﴿فَأَحۡيَٰكُمۡ﴾ أوجدكم من العدم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾ عند حلول آجالكم ﴿ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨﴾ للحساب والجزاء.

• ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ تتنعَّمون بها وتنتفعون، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي قصد إلى خلق السماء ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾ فخلقها وأحكمها وأتقنها ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩﴾ لا تخفى عليه خافية.

التَّدَبُّر

١ ـ أثر الحافز في دفع النفوس إلى عناق أمانيها ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ وعلى المربّين أن يُعْنَوا بهذا الشأن، وأن يضعوا الحوافز الكفيلة بصعود مَنْ يربّونهم إلى أهدافهم التي يريدون بلوغها مع الأيام. وهذا كما يجري في كل محضنٍ تربوي، يجري كذلك على مستوى الوظائف والأعمال التي يراد من خلالها تحقيق جملة من الأهداف والرؤى.

٢ ـ على الدعاة والمصلحين والداعين للفضيلة تبشير الناس، وبث روح التفاؤل والأمل في نفوسهم ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ وما حاجة الناس إلى شيءٍ كحاجتهم إلى هذا المعنى الكبير.

٣ ـ القرآن منهج حياة، والأمثلة التي يسوقها في ثناياه وسيلةٌ لتقريب الأفكار والمفاهيم، والمؤمن يحتفي بكلّ حرفٍ من الوحي، ويُعْنَىٰ به، ويستفيد منه، ويُجْرِي أثره على حياته، وكم يجري هذا الاحتفاء مع إنسان في حرف تجربة فكيف بحرف وحي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾.

٤ ـ الاستسلام للوحي، والتسليم بما فيه أثرٌ من آثار إيمان الإنسان، ودليلٌ عليه ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ وإذا وجدتَ من نفسك

إقبالاً على هذا المعنى وتعظيماً له فاحمد الله تعالـى، وإذا وجدت امتعاضاً في قلبك، أو لم تطاوعك نفسك، فأدركها قبل الفوات.

٥ ـ المعارضون للوحي، المخالفون له، المثيرون للشبه حول أحكامه من جملة الضالّين عن الطريق ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ ولو وُجِدَ الإيمان في قلوبهم لأذعنوا لأمر الله تعالى، وأقبلوا إليه مستسلمين.

٦ ـ من أعظم علامـات الانحراف نقض العهود التي بين الإنسـان وربّه، وبين الإنسان وسائر الخلق! وكم من عهدٍ أقام له المؤمن شأناً، وتحرّج من مخالفته! وكم من عهدٍ وطئته قدم الانحراف، فلم يُقم لله تعالى فيه وزناً! وما أكثر الصور وما أقل العبر! ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

٧ ـ قطع الأرحام وصلات القرابات من دلائل الفسـق وعلامات سوء التوفيق، وقلَّ أن تجدَ قاطعاً لرحمه موفَّقـاً لبرٍّ وخيرٍ ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

٨ ـ الإفساد في الأرض من علامات الفاسقين، وكل مفسدٍ له حظٌّ من الخراب، وهو مسـاهم في تخلّف الأمة، وتأخّر نصرها، وتشـظي واقعها سواء من ذلك ما كان مع نفسـه أو ما تعدى به إلى غيـره ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

٩ ـ من مباهج الوحي عنايته ببناء المفاهيم والأفكار، وتقويم صحتها من خطئها،

ألا تراه هنا بيّن مفهوم الخسارة الحقيقية ومظاهرها ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

١٠ـ مفاهيم الفوز والإخفاق، والربح والخسران، إنما تؤخذ من الوحي، وما عدا ذلك من المفاهيم والتصورات لا قيمة لها في واقع الحياة ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ بَعُدَتْ الأمة عن الوحي، فاستبدلت بصور النصر والهزيمة ما لا شأن لها بها في الحقيقة.

١١ـ كلما كثرت دلائل الحقائق كان نكرانها بعد ذلك بشعاً قبيحاً ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

١٢ـ من دلائل الخذلان ألَّا تكفي الأدلة رغم وضوحها في إقناع المخالفين والمعرضين ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

١٣ـ كل من لم يكفِ دليل الوحي في إقناعه فلن يجدَ ضالّته في شيءٍ بعد ذلك ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

١٤ـ الأصل في الأشياء الحل والإباحة، فكل ما خلق الله تعالى في الأرض فهو حلال مباح الانتفاع، وفي هذا المعنى من سعة الشريعة وسماحتها ما يلجم فم كل ناعق زاعمٍ ضيق الإسلام، وانحصاره عن تلبية احتياجات الإنسان الضرورية فقط

﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ
سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٩﴾ ﴾.

١٥ ـ الإنسـان أصل في هذا الكـون، وعليه تقع تبعات الغايـات الكبرى، وله سُخِّرت هذه المعالم ليقوم بعمارة الأرض، والاستخلاف فيها كما أراد الله تعالى لـه ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٩﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟
سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

التفسير

• ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يخلف بعضهم بعضاً، قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ في الأرض ﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالشرك والمعاصي ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ بالقتل. وسؤالهم هذا سؤال استعلام عن الحكمة من هذا الخلق، مع وجود هذه العوارض، لا سؤال اعتراض، وقالوا ذلك إما لعلم بلغهم، أو لما عرفوه من طبيعة الإنسان، أو من تجارب سابقة ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ ننزّهك عما لا يليق بك ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ نعظّمك بصفات الكمال والجلال ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ﴾ بما في خلافة آدم من المصالح ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ من ذلك.

• ﴿وَعَلَّمَ﴾ الله تعالى ﴿ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ اسم كل دابة، وكل طير، وأسماء جميع المخلوقات ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ عرض تلك الأسماء ﴿عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ﴾ الله تعالى: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ المسمّيات التي عرضتُها عليكم، وأنتم تعرفونها من قبل ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ في قولكم إنكم أفضل من آدم.

• ﴿قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ﴾ أي ننزهك من كل نقص ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ أي تفضّلت علينا بعلمه ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بكل شيء ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ في تدبير أمرك وخلقك.

• ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ بأسماء هذه المسمّيات ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ أعلمهم بها، وقصّها عليهم ﴿قَالَ﴾ الله تعالى:

﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ أيها الملائكة ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا يغيب عن علمي منهما شيء ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ ما تظهرون ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ تُسِرُّون.

- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ إكراماً لآدم وتعظيماً وعبودية لله تعالى ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ كما أمرهم الله تعالى ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ امتنع عن السجود ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ عن أمر الله تعالى ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ بالله تعالى.

- ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ﴾ حواء ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾ اتخذا منها سكناً ومقراً لكما ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ هنيئاً واسعاً ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ من أيِّ مكانٍ منها ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ حرم الله تعالى عليهما شجرةً من شجر الجنة، الله أعلم بها ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ العاصين بتعدي ما نُهيتم عنه.

- ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ عن الجنة، فيكون بمعنى نحَّاهما عنها، وأخرجهما منها، وقد يكون المراد بـ (عنها) أي عن الشجرة؛ فيكون بمعنى: أوقعهما في الزلل والخطأ حتى أكلا منها ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من نعيم الجنة ﴿وَقُلْنَا﴾ لآدم وحواء وإبليس: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ انزلوا إلى الأرض ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أعداء لبعضكم بعضاً حتى قيام الساعة ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ مسكن وقرار ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ تتمتعون به ﴿إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ إلى انقضاء آجالكم.

- ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ﴾ ألهمه الله تعالى ﴿كَلِمَٰتٍ﴾ وهي قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]

فدعا بها ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قَبل توبته ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الله تعالى ﴿هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ يتوب على من تاب إليه ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ بعباده التائبين.

١ ـ لله تعالى حِكَمٌ فيما يفعل، وما من حُكم تراه في هذه الشريعة إلَّا وله حِكْمَةٌ، ومن ورائه مقاصد كبار ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

٢ ـ حِكَمُ الله تعالى تَجِلُّ عن الوصف، ولا قدرة للمخلوق على فهم هذه الحكم إلَّا فيما أفاض الله تعالى به عليه من نور الوحي ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ فلا تتكلّف ما ليس من شأنك، ولا تبحث عمّا لم تؤمر بالبحث عنه، حسبك التسليم، وإن جاء شيء بعد ذلك فهو كمال على كمال.

٣ ـ الجهل عدو الإنسان؛ وكلّما قلَّ العلم ضاق صدر صاحبه، واستشكل كل شيء، وأورد عليه الشبه ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

٤ ـ من مباهج العلم سعة أفق صاحبه، وقبوله لكل جديد، وحمل كل ما يأتي على الإمكان ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟

أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ لو كان العلم حاضراً لما صار هذا الاستشكال على أمر الله تعالى.

٥ ـ في نفس كل إنسان مكان صالح لتوظيف المعرفة، وأخذ واقعها في حياته، ولو لم يكن من ذلك إلّا إمكانها في واقع غيره إن لم تكن ممكنة في واقعه ومساحته ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ إنما أنكرت الملائكة ذلك لواقعِ علمته، ولم تتصوّر واقعاً صالحاً غيره.

٦ ـ النفوس مملوءةٌ بما سبق إليها، فإذا امتلأت بالخطأ والوهم لم تستقبل فيما بعدُ المعارف الصحيحة إلّا بشيء من الإشكال والتردد ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

٧ ـ من أعظم علاج الأوهام المتفشية في النفوس مقارعتها بالحجج الصحيحة والأدلة الواضحة ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ فلم يَعُدْ لهم بعد قول الله تعالى حجة.

٨ ـ النفوس الصادقة المطالبة بالحق يكفيها إزالة الشبه بالحجة والبرهان ﴿ قَالُوا۟ سُبۡحَـٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾.

٩ ـ شهوة النفوس للتطلع إلى تَعَلُّم كل ما تجهله، ورد كل ما لا تعرفه ﴿ قَالُوا۟ سُبۡحَـٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ وهذه جِبِلَّةٌ في كل إنسان.

١٠ ـ التساؤل حيال أحكام الله تعالى، وَتَطَلُّبُ الحجج لا يقدح في إيمان صاحبه، أو يورده شبه النفاق، إلَّا إذا كان صادراً عن سوء نية ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓا۟ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

١١ ـ تكريم الإنسان والاحتفاء به في أبهج الصور وأكثرها إثارة ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُوا۟ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ أمر ربك بأن تسجد لك الملائكة؛ فما أنت صانع في إكرام الله تعالى لك؟!

١٢ ـ إن الله تعالى أودع في الإنسان من القدرات والمهارات والإمكانات ما لا يمكن تصوّره، ولا يمكن أن يجعله خليفة يقوم بمصالح الكون إلَّا وقد زوّده بكل تلك المؤهلات ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓا۟ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ فلا تأتِ شاكياً من ضعف قدراتك ومهاراتك وإمكاناتك وقدراتك، إذا آمنت بهذه الحقيقة يمكنك أن تصنع كل شيء.

١٣ ـ إن الله تعالى هو المتفضّل عليك، وسائق نعمه إليك، ومن كمال أدبك أن تستشعر منّته، وتعيد الفضل إليه في كل نعمة ﴿ قَالُوا۟ سُبۡحَـٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾.

١٤ ـ المعرفة أعظم أسلحة الخلافة، وقدر تأثير كل إنسان على قدر تملّكه من هذه المعرفة ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

١٥ ـ الاستجابة لله تعالى من أعظم علامات الإيمان ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ وكل تخلّف في هذا المعنى دليل على ضعف الإيمان.

١٦ ـ لا قعر للكبر، وما يزال بصاحبه حتى يورده المهالك ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ألم تر إلى أين أورد الكِبْرُ هذا الشقي! ومثلك أوعى بقلبك وما يدار فيه.

١٧ ـ الابتلاء سنة ماضية، وما جرى على آدم في مساحات الجنة سيجري على ولده في مساحات الأرض، لا فرق ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ فقد تختلف الصور والطرق، والنهاية واحدة.

١٨ ـ في كلِّ ابتلاءٍ حكمةٌ، ومن كمال وعيك أن تستقبل هذه الابتلاءات بالرضى واليقين ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ ابتلاء أبينا آدم كان لحكمٍ وغاياتٍ كبار؛ من تكليف الإنسان، وعمارة الأرض، وقيامه بحقوق الخلافة، أو تخلّفه عنها.

١٩ ـ الخواتيم نتائج موكولة بما في القلوب ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ وخاتمة إبليس نتيجة لما في قلبه.

٢٠ ـ أصلُ كلِّ مخلوقٍ غالبٌ عليه ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ وأصل خلق إبليس النار، وطبعها الطيش والكِبْرُ والعلو.

٢١ ـ كل ممنوع مرغوب؛ فرغم سعة مباهج الجنة لم تُغْنِ عن رؤية ذلك الممنوع بعين الرغبة ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ فاستعلِ بقلبك عن موارد الفتن تبلغ مرادك في الدارين.

٢٢ ـ الوقوع في المعصية خسارة تجرّ صاحبها إلى مهاوي الردى ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ لو لم يكن من ذلك إلّا ظلم نفسه، وخروجه من الجنة لكان كافياً.

٢٣ ـ من كمال عقل المربّي ـ أيّاً كان موقعه ـ أن يبيِّنَ مآلات الأمور لمن يربيه، ويجعل المعرفة بالنتائج شيئاً متاحاً لكل من يعيش معه ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

٢٤ ـ مساحات المُبَاح أوسع بكثير من ضيق الممنوع ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ وهي دعوة للتعرّف على سعة الشريعة، وأفقها الكبير، وتلبيتها لحاجات الإنسان ورغباته وشهواته.

٢٥ ـ السكن والزوج والقوت والحرية إذا توافرت لإنسان في ظل مباهج الشريعة تحقّق له كل شـيء ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

٢٦ ـ الحرية من أعظم مطالب الإنسان في الحياة ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ وقاعدة الشريعة أن الأصل في الأشياء الحِلُّ، وما عدا ذلك مما حرمته الشريعة هو استثناء من هذا الأصل.

٢٧ ـ الأصل في الإنسان البغي والعدوان، وما لم يعالِجْ ذلك بوحي، وإلَّا أرداه في أسـوأ العواقب ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ رغم كل ما أتيح له في الجنة ما زال يتوق إلى ذلك الممنوع.

٢٨ ـ الأصل الغالب في الإنسان مطالعة الممنوع، وشهوة المحظور، والرغبة في الولوغ في المنهيّات ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ ما لم يغالب ذلك بإيمان.

٢٩ ـ الشيطان عدوك، وهو الذي أخرج أبويك من النعيم، ولا يزال يُغْوي ذريته حتى يودي بهم إلى الخسـران، فتنبَّه للمعركة، وأدر شأنها بحزم ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾.

٣٠ ـ لكل شيء حمى، ومن لم يتجنّب هذا الحمى وقع في معاطبه ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا

مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ وهي وصية نبيك ﷺ: «**ألا وإنَّ لكلِّ ملكٍ حمى، ألا وإن حمى الله تعالى محارمه**»(١)! نهاه عن الاقتراب وليس عن الأكل، فلما قرب وقع في المحظور.

٣١ ـ خلى بنفسه، وأخذ يقلّب القنوات الفضائية، وقام إلى جواله، وأخذ يعبث بشاشته، ويتوسع في مباحثه، وفرّط مراراً في قاعدة الحمى، ثم عاد شاكياً من آثار ذلك ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾.

٣٢ ـ كلّما عَظُمَتْ نعم الله تعالى عليك كَثُر حاسدوك ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ ومن كمال عقل صاحب النعيم أن يتحصّنَ قبل فوات ذلك النعيم.

٣٣ ـ إيمانك من أعظم النعم في حياتك كلها، ومن فقهك وكمال وعيك أن تتحصّن ـ للحفاظ عليه ـ بحصانة روحية إيمانية، وحصانة فكرية علمية؛ الأولى: تدفع عنك شبه الشهوات، والثانية: تدفع عنك شبه الشبهات.

٣٤ ـ تكاثر نعمك يفتح عليك آفاقاً للبلاء والامتحان فتنبّه! ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾.

٣٥ ـ الإرادة تصنع فارق الانتصار في كل معركة ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا

(١) أخرجه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير، وأوّله: «الحلال بين ...».

فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ وعليك أن تدير شـــأن الشهوات والشـــبهات، وفي حسّك أنها معركة تحتاج إلى صناعة الإرادات، لو قويت تلك الإرادة لصنعت معركة النهايات كما تريد أنت، لا كما يريد الشيطان.

٣٦ ـ التجربة الضخمة للإرادة إنما تنشأ في حمى المحظور ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ وكم من مخفق في هذه الساحات!

٣٧ ـ ثمة غايات وحكم لهذه المناهي المنوّه عنها في الوحي، ولو لم يكن فيها إلّا اختبار الإرادات، واكتشاف القدرات، وخلق مفاوز التكريم بين العالمين لكان كافياً ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾.

٣٨ ـ باب التوبة مفتوح، ونافذة الاستعتاب على مصراعيها ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ وأســـوأ عوارض هذا الباب التسويف، وكم من فائتٍ كان في الإمكان إدراكه.

٣٩ ـ التوبة تجبُّ ما قبلها، وتأتي على كل شيء من أوضار المعاصي ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ فأَحْسِـــنِ الظن بربك، واستعتب منه، وأَقْبِلْ عليه، وسله أن يزيّنك بالتوبة، ويردك إلى مباهج الإيمان والحياة.

٤٠ ـ محبة الله تعالى للتوبة والتائبين ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ ولو لم تكن كذلك لما هدى عبده ونبيّه آدم إلى مباهجها! وفي الوحي: أن فرحه تعالى بها أعظم من فرح الواجد لراحلته حين قال من فَرْطِ ذلك

الفرح: «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدّة الفرح**»[1]!

٤١ ـ كل علم لا ينفع فلا تكترث به مهما بلغ، ومن هذا: الحديثُ عن مكان الجنة التي عاش فيها آدم، وهل إبليس من الملائكة أو لا؟ ونحو هذا، مما يتعلّق به كثيرون، وتذهب فيه أوقات لو أنفقت في غيره لكوّنت مع مرور الأيام شيئاً عظيماً.

٤٢ ـ الخطيئة جِبِلَّةٌ في بني آدم، ولا سبيل للفكاك منها، وحسبنا أن نغالب الوقوع فيها، وأن نحسن التوبة منها بعد الوقوع ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

٤٣ ـ الخطيئة لا تمنع من الرقي، وكم من إنسان كان بعد الخطيئة أبهجَ منه قبلها ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ وهل تتصوّر مخلوقاً ممن تراه عينك لم تلحقه ربقة الخطيئة، وتغلّه في قيدها، ثم عاد حراً بالتوبة من جديد!

٤٤ ـ الخطيئة التي تُذكّر بضعف الإنسان، وترزقه العودة الجادة إلى ربه، وحرارة الشوق إلى مغفرته، أَعْوَدُ عليه من الطاعة التي يركض في حماها مستعلياً على مَنْ حوله ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

٤٥ ـ المعركة لم تنته بعد، وإنما تغيّر موقعها فحسب ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٣٦﴾﴾.

٤٦ ـ الوحي لم يُبق سؤالاً لإنسان كيف يواجه المعركة مع عدوه ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٧).

مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ في الوحي شــرح مفصل عن عدوك، ومــن أين يأتيك؟ وكيف تحتاط منه، وتتخلّص من قوته وسلطانه؟

٤٧ ـ انتصار الإنسان في المعركة التي يخوضها مع عدوه على قدر اتباعه للوحي وأخــذه بــه ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

٤٨ ـ مع كل ضيق مَخْرَجٌ، وبعــد كل نائبة فرجٌ، فعلى الرغــم مما ترتّب على خطيئة أبينا آدم من خروجه من الجنة إلَّا أنه تحقّقتْ بها مصالح كبرى من عمارة الكون، والاســتخلاف في الأرض، والقيام بواجب الخلافــة كما أراد الله تعالى ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

٤٩ ـ السائر على الطريق بصدقٍ موعودٌ بنهاياتٍ مبهجةٍ في العاجل والآجل من حياتــه ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ وما عدا ذلك فموكولٌ بالخوفِ في كلّ خطوة، ومتبوعٌ بالحزنِ في كل طريق!

❀ ❀ ❀

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ
وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ
﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ
مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

التفسير

• ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعًا﴾ آدم وحواء وإبليس ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ كتابٌ ورسولٌ يهديكم إلى الحق ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ آمن برسلي وكتبي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلون ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ على ما يتركون.

• ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله تعالى ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ أهلها ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ باقون لا يخرجون منها.

• ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يا بني يعقوب، العبد الصالح، المطيع لله تعالى، كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق، والخطاب لليهود الذين بالمدينة زمن نزول القرآن ومَنْ حولها، ومَنْ بعدهم إلى يوم القيامة ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، والنجاة من فرعون، اذكروا هذه النعم اعترافاً بقلوبكم، وثناءً بألسنتكم، واستعمالاً لجوارحكم ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾ وهو ما أخذته عليكم من الإيمان به وبرسله وإقامة شرعه ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ ما وعدتكم به من جزاء ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ خافوني.

• ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ القرآن الكريم ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتب وموافقاً لها ﴿وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ أول من كفر بالقرآن من بني إسرائيل، لأن يهود المدينة أول بني إسرائيل الذين خوطبوا بالقرآن؛ فكفرهم به يستلزم أنهم أول من كفر به من جنسهم ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ لا تستبدلوا بأوامري ونواهيّ شيئاً من عرض الدنيا من المناصب والمآكل، فتقدمونها على دين الله تعالى، وتعارضون بها منهج الله تعالى في الأرض، فتكونون

كمن اشـــترى بآيات الله تعالى الثمن القليل الزهيد ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ خافوا حسابي وعقابي.

• ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ﴾ لا تخلطوا ﴿ٱلْحَقَّ﴾ الـذي أنزلت عليكم ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ الذي تفترونه من عند أنفسكم ﴿وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ﴾ تخفوه، فلا يعرف دين الله تعالـى ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أن ما آتاكم حقٌّ واضـحٌ بيِّنٌ، أو وأنتم تعلمون ضرر كتمان الحق، وتلبيسه على الناس، وأثره في إضلالهم.

• ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كما أمركـم الله تعالى بهـا ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أعطوها مســتحقيها ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ وكونوا مع المؤمنين في أحسن أعمالهم، ومن أخصِّ ذلك وأكمله الصلاة.

• ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ بالإيمان والعمل الصالح ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ فلا تأمرونها بذلك، وهي أحق بذلك الأمر ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ مع أنكم تَتْلون كتاب الله تعالى، وتعرفون ما فيه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ أمر الله تعالى فتتمثّلونه أولاً، وتأمرون به ثانياً.

• ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ﴾ تجمّلـوا بالصبر فـي كل شـؤونكم؛ الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، والصبر عند المصيبة ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا﴾ أي الصلاة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ شـاقّة ثقيلة عظيمة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ الخاضعين لطاعته والخائفين من عقابه.

• ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يستيقنون، ومعنى الظن هنا اليقين، وهو معنى يكثر في اســتعمال العرب ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ للجـزاء والحســاب ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ يوم القيامة.

• ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وجعل فيكم أنبياء، وجعلكم ملوكاً، وأنجاكم من فرعون وملئه ﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ﴾ بالملك والرسل والكتب ﴿عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧﴾ العالمون في ذلك الزمان؛ فإن لكلِّ زمان عالَماً، وليس هذا على إطلاقه في كل زمان، فإن أمة محمد ﷺ أفضل أمم الأرض قاطبة.

• ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾ يوم القيامة ﴿لَّا تَجۡزِي﴾ لا تغني ﴿نَفۡسٌ﴾ مهما بلغ فضلها وأثرها ﴿عَن نَّفۡسٖ﴾ ولو كانت من الأقربين ﴿شَيۡـٔٗا﴾ لا كبيراً ولا صغيراً ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا﴾ من النفس ﴿شَفَٰعَةٞ﴾ من أحد مهما بلغ شأنه ﴿وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ﴾ فداء ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ يمنعون من عذاب الله تعالى.

التَّدَبُّر

١ ـ الخطاب الدعوي فنٌّ متى ما أتقنه صاحبُه بلغ منه المرادَ ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾ ألا ترى أن الله تعالى ناداهم بأنهم أبناء النبيِّ الصالح يعقوب! وفي هذا من التشريف والتكريم واستعطاف النفوس ما فيه، وذكّرهم ثانياً بنعمه التي أنعم بها عليهم قبل أن يكلفهم بشـيء، وبين لهم أن مقابل الوفاء وفاء، وليس مجرد تكليف بلا عوض، ثم ختم بالترهيب عن التخلّف، والتخويف من المخالفة.

٢ ـ من الغبن الكبير أن يتغيّر كل شـيء في الواقع، ولا يتغيّر خطابنا الدعوي تفاعلاً مع تلك المتغيرات التي يشـهدها ذلك الواقع، إن جزءاً كبيراً من مفاهيم الحياة تغيّرت وتبدّلت، ومعالجتها من خلال الخطاب الدعوي لا بد أن تأخذ في اعتبارها هذه التغيرات، وإلّا سيظل خطابنا مفصولاً عن واقع الناس والتأثير فيهم.

٣ ـ استذكار نعم الله تعالى موجب لقبول التكاليف، وامتثال الأوامر، والقيام بالحقوق ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾.

٤ ـ الحافز مثير في تبنّي فكرتك، ومعين على اعتناقها، وإذا وظفته في برامجك ومشاريعك وأفكارك بلغت منه ما تريد ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾ لم يسألهم الله تعالى القيام بالواجب فحسب، وإنما ذكّرهم بما ينالهم في النهايات، وإذا أردت أن يكون لك تأثير في واقعك فركّز على هذا الحافز، واستنهض به همم مَنْ معك بما ينتظرهم من آمال.

٥ ـ الوفاء كمال ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾ فلم يكلّفهم الله تعالى بأداء ما أمر، وإنما جازاهم على ذلك أجزل الوفاء، هل كان في حاجة أن يعدهم بشيء وهو الذي أعطاهم كل شيء؟!

٦ ـ الشريعة في أصلها واحدة، وهي وحدة متماسكة لا فرق في أصلها العام، وإن وجد فرق في الفروع ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ٤١﴾ وهذا سر جمالها وأناقتها، وأنها عقد منتظم، وليست شتاتاً من الفوضى.

٧ ـ عِظَمُ المبادرة وأثرُها إيجاباً وسلباً، وخطوة البدايات مؤذنة بتتابع الخطى بعدها وبسط مساحة العمل في قادم الأيام ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ٤١﴾ وفي «صحيح مسلم» (١٠١٧): «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ

عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَـيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِـنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».

٨ ـ الجزاء من جنـس العمل ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾ ومن أقام ما بينه وبين الله تعالى أتم الله تعالى له ما يريد.

٩ ـ الوفاء بالعقـود والعهود من دلائل الإيمان، وموجبات التوفيق ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾ ومن أقام لله تعالى عهداً ووعداً أقام الله تعالى له شأناً.

١٠ ـ هل تصوّرت أن أقواماً يشترون بآيات الله تعالى عاجلاً من عرض الحياة دون مبالاة! هكذا يحدثنا القرآن ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ٤١﴾ يفتـي من أجل دنيا، أو لوظيفة، أو منزلة، أو يبيع كلَّ شيءٍ من أجل المال!

١١ ـ ليس بالضرورة أن يكون كلُّ حامـلٍ للعلم قدوةً فيه ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ٤١﴾ فقد تجد مـن يحمل علماً ويفتي في مسـائل، ويدير شـأن الدليـل، ولكنه أول الساقطين في المعصية، وأول الناكصين عن الصراط، والله المستعان!

١٢ ـ سطوة المال والدنيا مؤثرة على الكثيرين، ولن يظهر لك ذلك إلَّا إذا رأيت من يبيع دينه بدنياه ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ٤١﴾ ماذا بقي لمبادرٍ بالكفر أو مشترٍ بآيات الله تعالى عاجلاً من الحياة؟!

١٣ ـ لا فرق بين لَبْسِ الحق بالباطل وكتمانه ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ وكلاهما ضلال وظلام، وما أكثر القاعدين عن العمل والكاتمين له مع الضرورة الماسة إليه.

١٤ ـ نهاية الضلال واحدة، وإن اختلفت طرقها ووسائلها ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ سواء خرجت في صورة ملبّس للحق بالباطل، أو كاتم له، لا فرق.

١٥ ـ من خذلان الإنسان وسوء عاقبته أن يكون العلم سبباً في شقائه وضلاله ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ ومتى كان العلم سبباً في شقاء صاحبه لولا الحرمان!

١٦ ـ الجهل عذر مانع من العقاب ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ فإن حصل هذا اللبس أو الكتمان بعذر، فالشريعة لا تعاقب معذوراً.

١٧ ـ في كل زمان ومكان ثلة تتصدّر للضلال والإضلال ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ ولا يمكن أن يقوم بهذا الدور فرد، وإنما فئة تحسن العبث بالعقول، وتأتي في النهاية منه على ما تريد.

١٨ ـ سكوت العلماء عن حوادث الواقع مشاركة في لبس الحقائق وكتمانها ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ إذا تطاول أهل الباطل على العلم والعبث بمقدراته وحماه، وأهل العلم لا يسعهم سوى الفرجة والسكوت.

١٩ ـ قيام كل مسؤول بدوره مانع من ضياع الحقوق، وكتمان الحقائق ﴿ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ ماذا لو قام كل فرد بدوره على وجه الكمال؟!

٢٠ ـ حين نتخلَّى عن أدوارنا ينوب عنا من يعرض الحقائق في ثوب الباطل ﴿ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

٢١ ـ الحق لا يحتاج إلَّا إلى حَمَلَةٍ للوائه، سائرين به نحو غاياته الكبار ﴿ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ لو قام أهل الحق به لما بقيت فرص للمستبدين!

٢٢ ـ لبس الحق وكتمانه أعظم سلاح تواجه به الأمة اليوم في واقعها ﴿ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ لقد بلغ ذلك حد الخطر، فالمعلوم من الدين بالضرورة أصبح محلاً للإشكال! والمحكمات أصبحت من المتشابه الذي يحتاج إلى جواب.

٢٣ ـ جزء كبير من المعركة الدائرة اليوم مع العدو معركة مصطلحات ﴿ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ لعله بلغك أن مصطلح الإرهاب تطاول حتى نال كثيراً من مفاهيم الشريعة، واجتاح كثيراً من قضاياها!

٢٤ ـ الجماعة مانعة من الشذوذ والانحراف ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ ولعل هذا بعضٌ من مقاصد الشريعة في تقرير الجماعة في كثير من مشاهدها.

٢٥ ـ الاجتماع على الحق والاندماج مع أهله علاجٌ لكثير من الانحرافات السلوكية والفكرية ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ ولن

تتمكن هذه القيم من تحقيق معانيها في واقع الكثيرين إلَّا من خلال معرفة مراد الشريعة، ومقاصدها الكبرى التي شرعتها في واقع الناس.

٢٦ ـ الصلاة والزكاة من أعظم العبادات وأجلّ الطاعات ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ وإذا تدبّرت القرآن الكريم ستجد بأن هاتين العبادتين هما رفيقتا دربك في كل شيء، ومن عرف قدرهما أعطاهما ما تستحقان من اهتمام.

٢٧ ـ صلاة الجماعة واجبة، وهي مظهر من مظاهر الاجتماع والائتلاف، وفيها من المقاصد الكبرى للأمة ما يحتاج إلى قراءة واعية ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

٢٨ ـ الدعوة إلى الاجتماع على الحق، والتخلي عن العزلة، ونبذ التعصّب لمذهب، أو جماعة، أو عُصبةٍ من الخلق، على حساب لُحْمَةِ الجماعة الكبرى في الإسلام، وكم من مسلم وصاحب رسالة ومشروع أحوج إلى فقه هذا المعنى قبل غيره في زماننا هذا، والله المستعان ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

٢٩ ـ الأصل أن يكون الداعي للحقّ أسبقَ الناس للعمل به، ومن شؤم العلم على صاحبه ألا ينتفعَ منه في شيءٍ، وإنما يستكثر به حجج الله تعالى عليه يوم القيامة ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

٣٠ ـ العلم دين، فينبغي أن يعرِفَ طلابُه مَنْ هم أهلُه وحملةُ رسالته وناقلي آثاره ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

٣١ ـ القدوة أصل في نقل العلم، ومن لم تُعلم له تجربةٌ، ويُرى له أثر، ويُعرف في العالمين بأنه ثقة، فحريٌّ ألا يُنقل عنه حرف، أو يكاثر باسمه في مجلس أو لقاء ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

٣٢ ـ أعظم طريق لحياة العلم في واقع صاحبه العمل به ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ

وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ لا قيمة لحرف أو معنى لا يتحوّل إلى عقيدة في قلب صاحبه.

٣٣ ـ من كمال عقلك أن تنشغل بنفسك في كل مراد الله تعالى، وألا تنشغل بغيرك إلَّا فيما هو واجب بأصل الشرع ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

٣٤ ـ تبعات العلم ثقيلةٌ على حامليها، تحتاج إلى صبرٍ وتوفيق ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

٣٥ ـ الصبر والصلاة أعوان الطريق على ملمات الحياة وتكاليفها ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

٣٦ ـ في الصلاة ملجأ من كثير من كروب الحياة وعوائق الطريق ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ بشرط أن تُعطى حقها من العناية والاهتمام، ومن هذا المعنى قول نبيك ﷺ: «**أرحنا بها يا بلال**»[1]!

٣٧ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ هذا الظن الذي يصنع كل شيء، ومن اعتقد أنه سيلقى ربه تعالى سيجتهد في الطريق إليه بكل ممكن، وإذا غاب هذا المعنى غاب كل شيء.

٣٨ ـ من فقه الداعي والمربي أن يكرّس مفاهيم الغاية من خلق الخلق، واستيعاب الأهداف الكبرى ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

٣٩ ـ رحمة الله تعالى ولطفه بعباده واسعة، فقد تلطّف في خطابهم، وذكّر بنعمه تعالى عليهم ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤٦) وأحمد (٢٣٠٨٨) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٥٤٩) وصححه الألباني.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ وكل ذلك من أجل فلاحهم ونجاتهم في الدارين.

٤٠ ـ مقصود الدعوة الأعظم نجاة الناس وإسعادهم في الدارين ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

٤١ ـ تعداد نعم الله تعالى وسيلةٌ تستثيرُ كوامنَ الخير في الناس، وتأتي منهم على أعظم المقاصد في النهاية ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

٤٢ ـ المسؤولية فردية، وكل إنسان موكولٌ في النهاية إلى عمله ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

٤٣ ـ كلُّ تعبٍ مخلوف، وكل جهد محفوظ، والنهايات شواهد على حظوظ صاحبها من تلك المعاني ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

٤٤ ـ ثمة فروق كبيرة جداً بين موازين الدارين، فالشفاعة والفدية التي تأتي على مقاصد صاحبها في الدنيا منتفية بكل صورها وأشكالها في الآخرة ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

٤٥ ـ من مقاصد الشريعة قطع القلب عن التعلّق بالمخلوقين أياً كان وصفهم وجنسهم ومقدّراتهم، والتوجه إلى الله تعالى في كل شيء ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن
رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ
ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً
ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا
عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ
يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ
بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ
حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾
ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا
عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ
مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

التفسير

• ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ يا بني إسرائيل، والخطاب لمن كان في المدينة باعتبار أنهم أبناء ذلك الأصل البعيد ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ فرعون وأعوانه من الملأ والجنود ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ يذيقونكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أشـدّه وأهلكه ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ يقتلون ﴿أَبْنَآءَكُمْ﴾ خشية نموّهم؛ فإنه قد بلغ فرعون من رؤيا أن زوال ملكه سيكون على يد رجلٍ من بني إسرائيل ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ يبقونهن أحياء للخدمة والامتهان ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء لكم ﴿بَلَآءٌ﴾ إحسان وإنعام بأن أعتقكم الله تعالى من تسلّط الأعداء عليكم، أو ابتلاء واختبار هل تقومون بواجب النعمة والشكر أو لا تقومون بذلك؟! ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ أي ذلكم الإحسان أو الاختبار من الله تعالى لحكمة يشاؤها.

• ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ فلقناه لكم حتى صار وسـطه يابساً، وذلك في قصة لحاق فرعون بموسـى عليه السلام عند البحر ﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾ خلّصناكم منهم، وحجزنا بينكم وبينهـم ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ في البحر ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ إليهم لحظة الغرق.

• ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ﴾ ضربنا له موعداً، وذلك بعد أن جاوز البحر، وسأله قومه أن يأتيهم بكتاب من عند الله تعالى ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ مدة ذلك الموعد، ثم يأتي ليتلقّى التوراة من ربه تعالى ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ وهو تمثال من حُليّ صنعه لهم رجل من السامرة ـ يقال له: السامري ـ على صورة عجل، ثم زعموا أن موسـى ضلَّ عن ربه تعالى، ولم يهتد إليه، وهذا هو ربـه ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ بعد ذهاب موسى عليه السلام للطور ليوحى إليه بالتوراة ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ في اتخاذكم العجل إلهاً من دون الله تعالى.

- ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم ﴾ تجاوزنا عنكم، فلـم نعاقبكم على ما فعلتموه ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ من بعـد عبادتكم للعجـل ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٢﴾ نعمة الله تعالى عليكم بعفوه عنكم، وتجاوزه عن ظلمكم.

- ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ التوراة ﴿وَٱلْفُرْقَانَ ﴾ صفة للتوراة أي الفارقة بين الحق والباطل، والعطف هنا من باب عطف الصفة على الموصوف ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝٥٣﴾ إلى الحق.

- ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم ﴾ فانتقصتـم حقها، لأن الظلم في الأصل بمعنى النقص، كما قال تعالى: ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ﴾ [الكهف: ٣٣] ﴿بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ بسبب اتخاذكم العجل إلهاً من دون الله تعالى ﴿فَتُوبُوٓا۟ ﴾ ارجعوا ﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ خالقكم ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ ليقتل بعضكم بعضاً دليلاً على صدق توبتكم، يأخذ كل واحد منكم سلاحاً ويقتل من يلقاه، سواء كان أباه أو أخاه أو ولده لا فرق ﴿ذَٰلِكُمْ ﴾ قتل أنفسـكم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ من عدم التوبة، أو من عدم القتل ﴿عِندَ بَارِئِكُمْ ﴾ خالقكم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ قبل الله تعالى توبتكم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ﴾ كثير التوبة على عباده ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٥٤﴾ ذو الرحمة الواسعة.

- ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ ﴾ لن نصدِّقك وننقـادَ لما تقـول ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ نبصره علانية ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ صُعِقُوا فماتوا ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥﴾ إلى بعضكم بعضاً.

- ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ من بعد ما حصل لكم من أثر تلك الصعقة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٦﴾ الله تعالى على هذه النعمة.

• ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ السحاب جعلناه ظلاً عليكم ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ ﴾ شيءٌ يشبه العسل ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ طائر السُّمّاني ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ من أحسن ما رزقناكم، وهذه النعم كانت لهم وقت ما قدر الله تعالى عليهم من التيه في سيناء أربعين عاماً حين امتنعوا من دخول مدينة الجبارين، ولم يكن عندهم ماء ولا مأوى، فرحمهم الله تعالى، وظلَّل عليهم الغمام، ورزقهم من الطيبات ﴿وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ ما نقصونا شيئاً بأفعالهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧) ﴾ لا يظلمون إلَّا أنفسهم.

تدبر

١ ـ عادة العدو أنه إذا تسلط على مساحة أو مكان أو فئة بلغ وسعه في النكاية بها ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩) ﴾ وما زالت هذه السمة منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا لم تزدها الأيام إلَّا سوءاً وإجراماً.

٢ ـ سوء طبع يهود؛ فقد أجرى الله تعالى عليهم من فيض نعمه ما يستوجب الشكر، ومع ذلك لم يستذكروا منها شيئاً ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩) ﴾.

٣ ـ في النعم بلاء واختبار ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩) ﴾ وكم من نعمة أجراها الله تعالى على فرد أو جماعة أو دولة أو أمة للاختبار والامتحان!

٤ ـ تذكُّر تاريخك السابق على سبيل الفرح بنعم الله تعالى، ونجاتك من آثاره

موجبٌ للتوفيق ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ ومنّة الله تعالى على بني إسرائيل بنجاتهم من فرعون موجبٌ لتذكّر هذه النعمة، وموجبٌ للفرح بها لو كانوا يدركون!

٥ ـ ما يجري عليك في الحياة بأمر الله تعالى وقدره، لا يخرج من ذلك شيء، دليل هذا وعلامته ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾.

٦ ـ من تمام النعم أن ترى ما يجري على عدوك من أحداث ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ وفي ذلك من شفاء الصدور ما فيه، ومن هذا الباب شُرِعَ القصاص بمثل ما قتل القاتل صاحبه.

٧ ـ توافر نعم الله تعالى زيادة في الامتحان والابتلاء ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ وقد رأى بنو إسرائيل نجاتهم، وهلاك عدوهم، فما اعتبروا، ولا قاموا بواجب ذلك، فكان الخذلان.

٨ ـ عذاب الله تعالى نائل أصحابه وإن طال الزمان ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ كم عاث فرعون في الأرض فساداً حتى يئس المؤمنون أو كادوا!

٩ ـ قدرة الله تعالى لا حدود لها، فقد تحوّل الماء الذي هو ألطف المخلوقات وألينها إلى وسيلةٍ مدمّرةٍ لطغيان فرعون ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

١٠ ـ لا حصر لجنود الله تعالى ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ

فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ وإذا كان المـاء على لطافته تحوّل إلـى أداة تدميرٍ للطغاة فغيره من بابٍ أولى.

١١ ـ من نعم الله تعالى على الإنسـان أن يريَهُ مصارع الطغاة والظالمين ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ إن كان ثمة قلب صالح للعبرة، وإلّا فلا حياة!

١٢ ـ توقّع من الجاهل بالله تعالى كل شيء ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ ألا ترى أن هؤلاء صنعوا عجلاً وعبدوه!

١٣ ـ رحمة الله تعالـى وعفوه ومغفرته واسـعة ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ فعلى الرغم من كل ما صنعت بنو إسرائيل قابل الله تعالى ذلك بالعفو والغفران.

١٤ ـ أحكام الله تعالى معلّلة ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ فعفوه تعالى هنا من أجل الشكر والعرفان.

١٥ ـ الحكمةُ من إرسال الرسل، وإنزال الكتبِ هدايةُ الخلق ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

١٦ ـ الواجب على كلِّ مخلوق أن يهب من وقته وفكره ومُدَّخراته ما يعينه على فهم هذا الوحي؛ لأن به هداية الطريق ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

١٧ ـ كل من أعرض عن طريق الوحي فقد أعرض عن طريق الهداية ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ لأن الله تعالـى جعـل الهداية فيما أوحاه إلى الرسل فحسب.

١٨ ـ الشرك بالله تعالى أعظم الخطايا وأخطرها على الإنسان ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ وليس بالضرورة أن يكون الشرك في صورة عجل، وإنما في كلِّ شيءٍ اتخذه صاحبه إلهاً من دون الله تعالى، يجلّه ويعظّمه، ويقدّم أمره على أمر الله تعالى، سواء كان إنساناً أو عادة أو فكرة.

١٩ ـ تعنّت الإنسان في أحكام الله تعالى موجبٌ للخذلان ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ وإنما صارت التوبة لهؤلاء بقتل أنفسهم في مقابل تعنتهم وعدم امتثالهم لشريعة الله تعالى.

٢٠ ـ الموت في سبيل المقاصد الكبرى والغايات العظمى حياة ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ ألا تراه أشار إلى أنّ قتلهم خيرٌ لهم من البقاء! وما كان ليكون ذلك لولا تلك المعاني التي يخلفها العمل لله تعالى.

٢١ ـ سعة رحمة الله تعالى وعفوه ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ فتاب عليكم هنا بعد سلسلة من الرفض والتأبّي والاعتراض على منهجه تعالى.

٢٢ ـ عظمة نفوس الرسل صلوات الله عليهم وسلامه، وحملة مشروع الدعوة ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ

فَاقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ وعلى الرغم من كل ما صنعوه من فساد وإعراض ما زال يهتف لهم بأنهم قومه، يعيش همهم، ويريد تخليصهم مما هم فيه، وكم من ناكص من بداية الطريق!

٢٣ ـ لا نهاية لفساد القلوب ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ وإذا فسد القلب فلا تستغرب منه حوادث الطغيان. ما لهم ولهذه الأسئلة الفجّة التي لا تنم عن تعظيم واحترام لجناب الله تعالى!

٢٤ ـ انظر إلى الفرق الذي يصنعه الإيمان بالغيب في نفوس أصحابه في مقابل هذا العرض الذي يقترحه بنو إسرائيل على رسولهم عليه السلام ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ ولذلك كانت هذه الصفة أول مَعْلَمٍ من معالم المتقين.

٢٥ ـ إذا رأيت مَنْ يكثر الأسئلة، ويستشكل بعض المواقف والأحداث والسنن، فاعلم أنه بحاجة إلى إعادة تأهيل لقضية الإيمان بالغيب، وفيه شبه باليهود ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

٢٦ ـ من علامات فساد القلوب أنها لا تؤمن إلّا بالأشياء المادية المحسوسة ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

٢٧ ـ للعذاب أمدٌ يأتي وإن طال زمانه ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ كثيرون استطالوا أَمَدَ العذاب، وإذا به يأتي بعد ذلك الأمد الطويل بغتةً!

٢٨ ـ العذاب على قَدْرِ المخالفة ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥) ﴾ فلما كانت المخالفة سؤال النظر إلى الله تعالى جاء العقاب بحلول الصاعقة، وهذا يجري في كل خطيئة بقدرها، ومَنْ وَعَىٰ ذلك تورّع عن كثير من المنكرات.

٢٩ ـ المعصية لا تضر سوى صاحبها ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧) ﴾.

٣٠ ـ كل نعمة حلّت في واقعك يمكن أن تزول منه بسوء استقبالها، فإياك وفوات النعم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ تأمل هذا في قلبك وبيتك وزوجك وولدك ووظيفتك، وفي كل شيء، وكن منه على حذر.

❀ ❀ ❀

وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا
وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ
وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ
ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ
فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ
عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن
رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ
يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا
مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا
وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ
خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ
ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ
يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا
عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٦١﴾

التفسير

• ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ من أي مكان ﴿رَغَدًا﴾ طيباً هنيئاً واسعاً ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ ساجدين لله تعالى شكراً على نعمه ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ قولوا هذه الكلمة (حطّة) أي حُطَّ عنا ذنوبنا ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ نسترها عليكم، ونتجاوز لكم عنها ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ زيادة على مغفرة الذنوب.

• ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ حيث قالوا بدل (حطّة): (حنطة في شعيرة) على سبيل المخالفة والاستكبار ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا﴾ عذاباً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ بسبب فسقهم.

• ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ طلب السقيا لهم ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ أيَّ حجر تجده ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ﴾ من الحجر ﴿ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ كلها تجري ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ من الأسباط ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ مكان شربهم وزمانه حتى لا يزاحم بعضهم بعضاً ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ فضل الله تعالى عليكم ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ ولا تمشوا في الأرض مفسدين فيها بأنواع المعاصي.

• ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ طعام المن والسلوى ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ مما تخرجه الأرض ﴿مِنۢ بَقْلِهَا﴾ كل نبات لا ساق له ومنه البقل والكراث ﴿وَقِثَّآئِهَا﴾ الخيار ﴿وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ وكلها معروفة ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى

﴿هُوَ أَدْنَىٰ﴾ أقل وأوضع ﴿بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ أحسن وأفضل ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ انزلوا أي بلد من البلاد تجدون ما طلبتم، مع أن طعامكم عزيز قد لا يوجد في كل مكان ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾ فرضت ووضعت عليهم ﴿ٱلذِّلَّةُ﴾ الخوف والهوان والضعف ﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ الفقر الملازم لقلوبهم، فلا يشبعون من مال ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ورجعوا بسخط الله تعالى وغضبه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يكذّبون بها، سواء كانت آيات شرعية أو كونية ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ وبسبب قتلهم للأنبياء، ولا يمكن قتل نبي بحق، وإنما قيّده بذلك تشنيعاً لفعلهم ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾ بسبب عصيانهم لله تعالى ﴿وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ وبسبب اعتدائهم على حدود الله تعالى ومحارمه، والمعصيةُ: فعل ما نهي عنه، والاعتداء: تجاوز ما أَمَرَ به، أو المعصية: تركُ المأمورِ، والاعتداء: فعلُ المحظور.

التدبر

١ ـ ليس بينك وبين النعيم الذي تنتظره إلَّا أن تُقْبِلَ على طاعة الله تعالى، وتسارع في خطوك في ذلك الطريق ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ كل الذين تاهوا عن الطريق لم يحسنوا ولوج ذلك الباب، الذي يعينهم على بلوغ أمانيهم.

٢ ـ مشكلتنا الكبرى أننا نريد السعادة من الأبواب التي نختارها نحن لأنفسنا، ويفوتنا أنها لا تُنَالُ إلّا من الأبواب التي أراد الله تعالى أن نلج منها ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

٣ ـ خطوتان بهما تصنع مستقبلك! الخطوة الأولى: التي بها تلج الباب، والخطوة الثانية: التي يرى الله تعالى فيها رغبتك وأمنيتك ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

٤ ـ طاعة ربك لا تحمل عنك أثقالك فحسب، وإنما تجلب لك مباهج الحياة التي تريد ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

٥ ـ من شروط قبولك عند الله أن تأتي إليه خاضعاً منيباً منكسراً، فالكِبْرُ لا يفتح الأبواب الموصدة ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ هذا يستقبل الوحي بفرح ويرى فيه الحياة، وذاك لا يطيقه حتى يغرق قلبه في الهموم، ما أبعدَ الفرق!

٦ ـ الاعتراف بالخطيئة أول درجات سُلَّمِ التوبة ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

٧ ـ هل رأيته هلك! إذاً هو الذي أراد ذلك ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ

ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ أمدَّهم الله بكل شيء، وفسح لهم في طريق النعم، فأبوا إلَّا الجحود والعصيان!

٨ ـ هل تخيلت يوماً أنك أنت الذي تقف دون مصالحك، وتحارب النعم التي تزدلف إلى بابك؟! ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ آتاه الله تعالى عافيةً فخاض بها في المنكرات، وأمدَّه بمالٍ فأسرف في كل سوء، وأعطاه الله تعالى منصباً وجاهاً ووظيفة، فدفع بها إلى الفساد، ووقف أمام الحق مرات يصدّ عنه.

٩ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ لم يأت هذا الجزاء إلَّا بعد التمادي في ذلك الإعراض ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾.

١٠ ـ قَدْرُ كل مصلح على قَدْرِ هموم قلبه ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ على الرغم من فسادهم العريض ما زال يستجيب لِعَنَتِهم، ويسأل ربه أن يهبهم ما يعينهم على الإيمان.

١١ ـ «**كُلٌّ إنسانٍ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له**»[1] ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ غير أن هذا التيسير موكولٌ بتعاطي الأسباب، والجهد في تحصيله والوصول إليه، ومشروعك وقصة حياتك وفكرتك الممتعة تأتي من هذا الباب، وذلك من خلال التركيز على ما هو لك.

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن عمران بن حصين ﷺ، ولفظه: «**اعملوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له**».

١٢ـ الأمة التي لا تطيق حمل تكاليف هذا الدين لا تصلح لتمثيله في واقع الحياة ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾.

١٣ـ إذا فسدت القلوب ساءت الطباع ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ ما لهم وللثوم وللعدس والبصل في مقابل المنِّ والسلوى؟!

١٤ـ فساد الأذواق فرع عن فساد التصورات ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ لو رأيتَ مَنْ يعاقر الخمر، ويذهب بأعظم نعمةٍ أعطاه الله تعالى إياها (العقل) لأدركتَ ذلك بيّناً واضحاً.

١٥ـ فساد التصورات ليس خاصاً بالمطعوم، بل هو عام في كل شيء ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ ألا تراهم يستلذّون لغة العجم على حساب اللغة العربية، ويرون الوحي ظلاماً ورجعية في مقابل تراث الرذيلة! وهو ذاته الذي يعاشر امرأة حراماً، ويترك في مقابل ذلك حلالاً صافي المعين، ما أكثر ما يُستبدل ذلك النعيم بالعاجل الدنيء الزائف!

١٦ـ يُدعى لستر زوجه وابنته، وإعفاف أخته، وطهارة أمه في محاضن خاصة بهن، ويرفض إلّا تبرُّجهن وخلطتهن بالرجال، وخروجهن في الشوارع العامة وأماكن التفسخ والانحلال ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾.

١٧ ـ كلَّما سمع مشروعاً فيه إجلالٌ للمرأة وإعفاف لها قام يخاصم وينازع، يريد مشاهد الرذيلة ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾.

١٨ ـ هل تخيَّلت يوماً من يفضل الضعة والذل والهوان على الرفعة والحياة والتمكين؟! ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ كثيرون يفعلون ذلك دون وعي منهم أو إدراك!

١٩ ـ هل حُرمتَ نعمةً! أو فاتك خيرٌ! أو ضاعت منك فرصةٌ! تلك صناعة يدك وخطو قدمك في الظلام ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾.

❀ ❀ ❀

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ
ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ
وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ
ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ
﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ
كُونُواْ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا
خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ
ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ
أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا
هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ
ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن
لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ
لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

التفسير

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله تعالى وهم أمة محمد ﷺ ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ الذين انتسبوا إلى دين اليهود، وهي شريعة موسى ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ الذين انتسبوا إلى دين عيسى ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ عبدة الكواكب والملائكة ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ من الطوائف الأربع ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثوابهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ يوم القيامة.

• ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ عهدكم ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ﴾ فوق رؤوسكم ﴿ٱلطُّورَ﴾ الجبل الذي رفعه الله تعالى فوق بني إسرائيل إنذاراً لهم لتهاونهم بأمر الله تعالى ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ من التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بعزم وحزم ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ ما في كتابكم بأن تتلوه وتتعلّموه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ عذاب الله تعالى وسخطه.

• ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أعرضتم ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بإرسال الرسل، وبيان السبل ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ للدنيا والآخرة.

• ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ يا بني إسرائيل ﴿ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ فصادوا السمك فيه مع نهي الله تعالى لهم ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ فكانوا قردة ذليلين.

• ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ القرية أو العقوبة ﴿نَكَٰلًا﴾ زاجراً وعقاباً ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ ما قرب منها من القرى من ورائها ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ من القرى من أمامها ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ تذكرة وعبرة ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ القائمين بأمر الله تعالى.

• ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ ﴾ بعد أن قُتل فيهم قتيل، ولم يعرف قاتله، فاختصموا إليه، فقال لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ أيَّ بقرة تجدون ﴿قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ سخرية واستهزاءً ﴿قَالَ ﴾ موسى ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ بأن أقول لكم ما لم يقله الله تعالى لي.

• ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾ فشددوا على أنفسهم، فشدد الله تعالى عليهم ﴿قَالَ ﴾ موسى ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ ﴾ أي الله تعالى ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ ﴾ لا كبيرة ﴿وَلَا بِكْرٌ ﴾ صغيرة ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ وسط لا كبيرة ولا صغيرة ﴿فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ اذبحوا البقرة التي أمركم الله تعالى بها.

• ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ﴾ ما لون البقرة التي نذبحها ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ شديدة الصفرة ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ من جمال لونها.

التدبر

١ ـ العبرة بحقائق العقائد، لا بالأجناس والأقوام والجماعات ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

٢ ـ الوحي يبني التصورات والمفاهيم ويُجَلّي الحقائق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ تعلّم ألا تبني تصوّراً أو مفهوماً إلّا من الوحي، حتى لا تقع فريسة للأوهام والخيالات.

٣ ـ مفاهيم الوحي وقضاياه ليست دروساً عارضة، أو مفاهيم سطحية، أو قضايا يمكن أن تُقرر من خلال توجيه بارد عارض، وإنما تستحق هذه المفاهيم من العزائم حتى تستقر في النفوس ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ رفع الله تعالى الجبل فوق رؤوسهم حين أخذ العهد عليهم، ليبين لهم أن القضية أكبر من كل شيء.

٤ ـ الوحي أجلُّ من أن يؤخذ بهذه الصور الباردة التي لا تكوّن واقعاً في حياة صاحبها ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

٥ ـ فرق كبير جداً بين من يقيمه الأذان من مقعده، ويخرجه من اجتماعه، ويوقف من أجله كل شيء، وبين من يسمعه ويجيبه بعد أن يقضي اجتماعه، وينهي عمله، ويأتي على شؤونه الخاصة ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

٦ ـ فرق كبير بين زوج يوقف زواجه لأن فيه ما يغضب الله تعالى، وبين آخر قدّم شهواته ورغباته على حساب هذا المعنى الكبير ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

٧ ـ من لا يستقبل هذا الوحي بفرح لا يمكن أن يقوم بتكاليفه ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أحمال الوحي تحتاج إلى رجال يسرجون بها واقع الحياة!

٨ ـ هل رأيت رحيماً كربّك؟! ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ يرفضون منهجه، ويأبون امتثاله، ثم يعمّهم الله بفضله ورحمته!!

٩ ـ قراءة التاريخ وسير الغابرين أنفع ما تكون للمعتبرين ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ وهذه الإشارة لذلك المقصد العظيم.

١٠ ـ العقوبة على قدر المخالفة ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ وكم من مخالفة أودت بأهلها إلى الظلام، وجعلتهم عبرة في تاريخ الأجيال! من آدمي نالته يد التكريم إلى حيوان في عُرْض الطريق.

١١ ـ إذا لم تروّعك الأحداث، وتحرِّك قلبك وقائع الزمان، فاعلم أن قلبك مصاب يحتاج إلى علاج ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ إن الله تعالى جعل الذكرى هنا من نصيب المتقين!

١٢ ـ تكاليف الشريعة للاختبار والامتحان ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ وكم من مباهج للممتثلين لها! وكم من فائت على المتخلفين!

١٣ ـ من لا يستقبل أوامر الله تعالى بفرح، ويقيم لها شأناً في حياته، وإلّا ففيه شبه بالضالين ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

١٤ ـ كل علم لا يترتب عليه عمل فلا شأن لك به، وكل وقت تنفقه في هذا الباب ضياع لأولويات كبرى في حياتك ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ ولمّا لم تكن تترتّب على معرفة أوصاف البقرة قضيةٌ لم يزدهم العلم بتفاصيلها إلّا شقاءً وبعداً

وضيقاً، وكـل مـا ورد في شـأن هذه القصة من أخبار غير ما أشار الله تعالى إليه في كتابه هو من هذا الباب.

١٥ ـ من أعظم الأمراض التي تعرض للإنسـان ضعف تأثيـر الوحي في قلبه، وتلاشي تعظيمه في سيرته وأحداثه ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ متى كان الوحي هزؤاً من القول إلّا في القلوب الفاسدة؟!

١٦ ـ أدب الأنبياء والكبار وصُنّاع الحياة في التعامل مع المعارضين والمخالفين ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ لـم يجـد بداً مـن الاسـتعاذة بربه، والاسـتعلاء عن الجهل، وكان لديه ألف جواب يرد به على السـفهاء في تلك اللحظة، لكنها أناقة الكبار.

١٧ ـ من كمـال فقهك ألا تتعرّض لكل جـدال ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ وما أكثره في زمانك، وما أقل حظوظه من العمل! وما أكثره إيغاراً للصدور والإحن!

❀ ❀ ❀

قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن
شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ
ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ
جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ
نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا
ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ
كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ
ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا
يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞
أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ
كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا
خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ
عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

التفسير

• ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ في ذلك ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ إلى معرفتها، وامتثال أمر الله تعالى في ذلك.

• ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ مذلّلة للعمل ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ بحرثها ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ ليست من الدواب التي تُستخدم في سقي الزرع ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ سليمة من العيوب ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ لا لون فيها غير لونها الموصوف ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالبيان الواضح ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ أي البقرة ﴿وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ وما كادوا يذبحونها لكثرة تعنُّتهم في السؤال عن أوصافها.

• ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا﴾ اختلفتم وتنازعتم فيمن قتلها ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾ فيما بينكم من أمر القاتل.

◦ ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ﴾ أي الميت ﴿بِبَعْضِهَا﴾ ببعض هذه البقرة، فضربوه ببعضها، فأحياه الله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ مثل هذا الإحياء الذي رأيتم ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ العظيمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ قدرة الله تعالى.

◦ ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ اشتدت وغلظت ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ في قسوتها وغلظها ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ من الحجارة ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ﴾ أي: إن بعض الحجارة ﴿لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ للينها تتفجّر منها الأنهار ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ تتشقق، فيخرج منها الماء ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ تهبط إلى الأرض من خوفها من الله تعالى ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ بل محيط بأعمالكم كلها.

• ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أترجون وترغبون أيها المؤمنون ﴿أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ أهل الكتاب ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ يغيّرونه ويبدّلونه ﴿مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ عرفوه وفهموه، وتثبتوا منه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ أن ما عملوه تحريفٌ وتغييرٌ وتبديلٌ.

• ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في مكان ﴿قَالُوا﴾ بألسنتهم ﴿آمَنَّا﴾ وقلوبهم خالية من الإيمان ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ التقوا فيما بينهم ﴿قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ أتحدّثون المؤمنين إذا لقيتموهم؟ ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ من العلم بصحة رسالة النبي ﷺ ﴿لِيُحَاجُّوكُم بِهِ﴾ بحديثكم لهم ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٧٦﴾ عواقب الأمور.

التدبر

١ ـ لله تعالى حِكم في تشريعاته وأحكامه قد تخفى عن كثيرين، فكم من سائل: ما له وللبقرة؟! وكانت الحكمة لشيء أعظم وأبلغ ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٧٣﴾.

٢ ـ طول نَفَسِ المرسلين! والصبر على لأواء النفوس وكبرها في سبيل الوصول بها إلى غاياتها العظيمة ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝٦٧ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ۝٦٨ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ۝٦٩ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۝٧٠ قَالَ إِنَّهُ

يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ ظل صابراً على تعنتهم وسؤالاتهم حتى بلغ معهم المراد. وكم من عَجَلةٍ أفضت إلى الحرمان! ومن الفقه أن نتخلّق بالصبر وطول النفس في التعامل في بيوتنا وبرامجنا ومشاريعنا حتى نأتيَ منها على الكمال.

٣ ـ الجهل موجب لضيق الأفق، وهذه آثاره ﴿ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ وهو قد جاءهم بالحق بيّناً واضحاً يسيراً سهلاً من أول مرة.

٤ ـ من شَدّد في قضية شَدّد الله تعالى عليه، كان يمكن أن يذبحوا أي بقرة، فأبوا إلّا التفاصيل المؤذنة بالشقاء، فكان لهم ما أرادوا، وعلى هذا المعنى غالب الموسوسين، فإن ما أصابهم هو جزء من غلوّهم وعنتهم على أنفسهم ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾.

٥ ـ الأسماء والأمكنة إذا لم تكن لمعرفتها زيادة أثر في القصة فلا عبرة بها، ولا ينبغي أن يشغل الإنسان نفسه بتفاصيلها ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ فقوله: ببعضها هنا غير مبيّن، ولا يترتب على معرفته شيء مهم.

٦ ـ كثرة الأسـئلة في غالب صورها فرع عن الانشغال بأمور هامشية، ومثله في زمانك القاعد على أريكته، والناقد لمشاريع الأئمة الكبار!

٧ ـ العناية بأعمال القلوب والاهتمام بها؛ فإن ما يبطن الإنسان في قلبه سيظهر مع الزمن ولو طال ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

٨ ـ التعنُّت والتخلّف عن أوامر الله تعالى موجبٌ للخسارة والخذلان ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ ليس هذا في قصة أصحاب البقرة فقط، بل هو في كل متخلّفٍ عن أمر الله تعالى، متعنّتٍ فيه، غيرِ راضٍ به، وغالب الارتكاسات من هذا الباب.

٩ ـ سعة علم الله تعالى، فما من شيء إلّا والله تعالى عالم به، مطلع عليه ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وإذا كان هذا يجري في كل شيء فالقلوب أحوج ما تكون للوعظ فيه.

١٠ ـ حتى الفرص التي يسـوقها الله تعالى إليك، والمشـاريع التي تحتاج إلى جهدك هي جزء من الاختبار لاسـتعدادك وامتثالك، فـإذا ولّيتها ظهرك عوقبت بالحرمان ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾.

١١ ـ من يشارك في حمل الجنائز وتشييعها، ودخول المقابر ودفنها، ولا تغيّر فيه هذه المشاهد شيئاً، فقد قسا قلبه ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ لا تسل لم لا يتعظ من قوارع الزمان! تلك نتائج الخطايا ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾.

١٢ ـ فسادُ القلوب مؤذنٌ بسوء الخواتيم ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ فساد القلوب أوجب لهم هذا الحرمان الكبير.

١٣ ـ عظم أثر النية ونتائج كل قضية موكولٌ في النهاية إلى أثرها ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ كانوا يبطنون كل سوء؛ فأجرى الله تعالى عليهم هذه النهايات.

١٤ ـ كل المواهب والإمكانات والقدرات التي يملكها الإنسان إذا لم يصحبها صلاح القلب عادت وبالاً عليه ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ كانوا يعقلون كلام الله تعالى، لكن فساد قلوبهم كان عائقاً أمام هذه الإمكانات والقدرات أن توظّف في إجلال وحي الله تعالى، والقيام بحظوظه في الحياة.

١٥ ـ مهما صنع معك عدوك، فلا تغادر ساحة العدل والإنصاف ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ وليسوا كلهم، وهذا درس في العدالة!

١٦ ـ المنافقون أعظم الأعداء، وألدّهم خصومةً للإسلام وأهله ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ يحرِّفون، ويعبثون، ويتصنَّعون، ويكذبون، وهم في صف المؤمنين، وضمن أفراد الإسلام في الظاهر، لا كثَّرهم الله تعالى في مكان!

❀ ❀ ❀

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ
يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ
لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾
وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ
عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ
خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ
﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى
ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا
قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

التفسير

• ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ هؤلاء ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ لا يخفى عليه شيء من أمورهم ﴿وَمِنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿أُمِّيُّونَ﴾ عوام ليسوا من أهل العلم ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ إلّا قراءة مجرَّدة، لا يفهمون لها معنى ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ لا علم لهم في الحقيقة إلّا الظنون.

• ﴿فَوَيْلٌ﴾ وعيد شديد ﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ فيحرِّفونه كيفما شاؤوا ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ﴾ عن هذا المكتوب ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أنزله الله تعالى ﴿لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ليأخذوا على ذلك متاعاً من متاع الدنيا ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ تحريفاً وزوراً ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ من هذه الكتب.

• ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي اليهود ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ أياماً قلائل ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ ألّا تمسكم النار إلّا هذه الأيام فحسب ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾ فإن كان لكم عهد بذلك، فلن يخلف الله ما وعدكم به ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ فتتقوّلون على الله تعالى كذباً وباطلاً.

• ﴿بَلَىٰ﴾ ليس الأمر كما ذكرتم ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ من عمل سيئة ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ طوّقته من كل جانب ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ لا يخرجون منها.

• ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله تعالى ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ أهلها ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ لا يخرجون منها.

• ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ عهداً عليهم ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ توحدوه، ولا تشركوا به شيئاً ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وأحسنوا معاملة والديكم ﴿وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وأحسنوا لقراباتكم ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ وأحسنوا للأيتام ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ وأحسنوا إلى المساكين، وهم كل من لزمته الحاجة وعاش الفقر ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قولاً حسناً جميلاً ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بشروطها وأركانها ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أعطوها مستحقيها ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن ذلك العهد كله ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ أقاموا عهدهم ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ عن كل ما أمركم الله تعالى به.

التدبر

١ ـ كل ما يجري في الأرض لا يغيب عن الله تعالى منه شيء ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ حتى النجوى التي تجري سراً كان الله تعالى يرصدها ويظهِرُ عوارَها.

٢ ـ قراءتك لكتاب الله تعالى بلا فقه وتدبر لا تخرجك من ساحات الجهل والظلام ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ ما أحوج الأمة اليوم إلى فقه هذا المعنى في حياتها ومشاريعها التربوية والتعليمية!

٣ ـ الحكم بالظن دليل على جهل صاحبه ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ وإذا رأيت من يتقحّم في أحكام الله تعالى بقوله: سمعت؛ وأظن؛ ويمكن؛ فهو من العوام الذين عناهم الله تعالى في هذا المقام.

٤ ـ من أعظم الفرية التقوّل على الله تعالى بلا علم ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

٥ ـ للعلم حرمة وجناب وحمى مَنْ لم يلتزم بذلك، فليس مِنْ أهل العلم في شيء ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ متى كان من أهل العلم مَنْ يشتري عاجلاً من الحياة بمباهج العلم وآفاقه وثمراته؟!

٦ ـ لا يوصف بالعلم إلّا أهله وحملته، والشرفاء منهم هم حماة حياضه ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ وما عداهم جهلة، لا علاقة لهم بالعلم، ولو كانوا يعرفون عنه كل شيء.

٧ ـ شرف العلم لا تعادله الدنيا بأسرها ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ ألا ترى أن الله تعالى جعل الدنيا كلها من الثمن القليل في مقابل مباهج العلم!!

٨ ـ من أعظم الجنايات تلك التي تجعل من العلم سلّماً للأماني الدنيوية ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ وما أكثر الطامعين في متاع الحياة على حساب العلم والدين!

٩ ـ من السهولة بمكان أن تَدَّعِيَ ما ليس لك أو تلبس ثوبَي زور! ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ ۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

١٠ ـ من أعظم الفرية أن تقول على الله تعالى ما ليس لك به علم ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ ۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ مثل هذا لا فرق لديه بأن يحكم لنفسه بالجنة، ويحكم لغيره بالنار.

١١ ـ الوحي يتولى إعادة صياغة المفاهيم والتصورات الصحيحة ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾.

١٢ ـ تعلّم ألا تتبنّى رأياً حتى تحاكمه إلى حقائق الوحي ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾.

١٣ ـ الخطايا من كسبك، والأخطاء من سعي قدمك، فلا تُلْقِ بأخطائك على القدر، وتتخلّى عن مسؤوليتك ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾.

١٤ ـ الخطايا سجون معجّلة لأصحابها ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ كم من مسجونٍ من آثار خطاياه وهو في فجاج الأرض دون قيد!

١٥ ـ للإيمان براهين لا يقوم إلّا عليها ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ الإيمان ليس دعوى فارغة من العمل.

١٦ ـ العمل الصالح يُثْرِيْ ساحات صاحبه، ويخلّده في الجنان ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

١٧ ـ تعظيم حدود الله تعالى؛ والقيام بأوامره وطاعته من أعظم دلائل الإيمان في حياة صاحبه ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ لقد عاب الله تعالى الإعراض عن أوامره وطاعته.

١٨ ـ لا فرق في عبادة الله تعالى فيما بين الخلق وربهم خاصة كالتوحيد والفرائض، وفيما بينهم وبين بعضهم بعضاً كالمعاملات ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

١٩ ـ في كل أمة وفئة ومجموعة أنصارٌ للحق، مستجيبون لداعيه، حتى وإن كانت الكثرة ظالمةً معتديةً ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾.

٢٠ ـ التعميم خلاف العدل، والأصل ألا يؤاخذ كل إنسان إلَّا بجريرته ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾.

٢١ ـ لا تكفي مباهج الدين التي تحملها ما لم تعرضها بأسلوب حسن ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾.

٢٢ ـ الكلمة أكثر الأسلحة خطورةً وأثراً، فاختر كلماتك بعناية ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾.

٢٣ ـ اجعل ما حولك ربيعــاً من خلال فيوض الحياة فــي كلماتك! ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.

٢٤ ـ ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ وفي أولهم وأهمهم، وأكثرهم أســرتك ورحمك وجارك وألصقُ الناس بك.

٢٥ ـ ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ من خلال تفاؤلك وأملك، ومساحـات الحيـاة في كلماتك.

٢٦ ـ كم من كلمة فتحت باب أمل، وأوصدت باب يأس، وأقامت مريضاً يمشي بعد أن أوشك على الموت، وأيقظت مصاباً بعد أن كان يشرف على الهلاك!

٢٧ ـ لا تســترخص كلماتـك، فقـد يحيا العالم بهــا مـن حـولك ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.

٢٨ ـ إذا رأيت من نفسك إدباراً عن حقائق دينك؛ فيمم وجهك صوب ربك، وسَــلْه النجاة، وتجنّب حال المعرضيــن ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾.

❀ ❀ ❀

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ
أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن
دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ
أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ
أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ
مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى
ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا
تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾
وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

التفسير

• ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ عهدكم ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ لا يقتل بعضكم بعضاً ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ لا يطرد بعضكم بعضاً من بيوتهم وديارهم، وهذا وقع بين طوائف يهود قرب بعثة النبي ﷺ، حيث قتل بعضهم بعضاً، وأخرج بعضهم بعضاً من ديارهم ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ على ذلك العهد ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾ على أنفسكم بذلك.

• ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ تخالفون بذلك كلِّه العهد الذي أُخذ عليكم ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ تعينون من يعتدي عليهم ﴿بِٱلْإِثْمِ﴾ بالمعصية ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الاعتداء بغير حق ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ﴾ أي مأسورين يطلبون معونتكم في الفكاك ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ تفكوهم من الأسر إيماناً منكم بما في التوراة ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ أي في الأصل حرام عليكم إخراجهم من بيوتهم ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهو فكاك الأسير ونحوه ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ تحريم القتل والإخراج ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ﴾ التفريق بلا دليل ﴿إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ذلاً ومهانة ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ إلى أعظمه ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ بل هو عالمٌ به، لا تخفى عليه منه خافية.

• ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي قدَّموا الدنيا فكانوا كالشَّارِينَ لها، وأخَّروا الآخرة فكانوا كالبائعين لها ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يوم القيامة ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ ولا ينصرهم أحد من الخلق.

• ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أتبعناه بالرسل ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الآيات البيّنات الدالة على صدقه ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ قوّيناه ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ بجبريل ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ﴾ بما يخالف أهواءكم ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الحق ﴿فَفَرِيقًا﴾ من الرسل ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ كعيسى ومحمد عليهما السلام ﴿وَفَرِيقًا﴾ من الرسل ﴿تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ كزكريا ويحيى عليهما السلام.

• ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ عليها أغلفة وأغطية لا تفقه ما يقال لها من الدعوة ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ طردهم من رحمته، وأبعدهم بسبب كفرهم وضلالهم ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ فما أقل ما يؤمنون!!

١ ـ التناقض أشد ما يواجه الإنسان في حياته ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

٢ ـ أكثر الصراعات خطورة صراع قيم الإنسان ومبادئه مع أعماله ومناشطه في واقع الحياة ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾.

٣ ـ التهاون بأوامر الله تعالى موجب للخسارة والخذلان ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾.

٤ ـ الكفر ببعض الشريعة كفر بجميعها ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾.

٥ ـ تربية الله تعالى لعباده من خلال عرض مواقف السابقين ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ وفي ذلك دعمٌ للفكرة أو المفاهيم التي يراد تعميقها في نفوسِ المربِّين، واستلهام أحداثها من قريب.

٦ ـ القرآن الكريم كتاب هداية، وهذه الصور التي يعرضها يذكِّر بها التالين، ويحذِّرهم من تكرار صور المخالفة، والوقوع في أسباب ذلك الخسران ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ كأنه يقول: لا تكرِّروا صور هؤلاء، أو تغشَوا المعاني ذاتها.

٧ ـ رحمة الله تعالى بخلقه، إذ بعث إليهم الرسل، وأيدهم بالآيات والبينات ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ ماذا لو تُرِكَ الناسُ دون بيان؟!

٨ ـ نكران الإنسان وجحوده لنعم الله تعالى ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ وكم من أماني حال دونها الاستكبار والجحود، ونكران النعم أصلٌ في الإنسان إن لم يقهر ذلك بتقوى الله وصلاح قلب.

٩ ـ الهوى ألدّ أعداء النفوس، وأكثرها عائقاً دون الكمال ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ ألا تراه وقف دون هذه الغايات الكبرى، وأوحى إليهم ردَّها وعدمَ الاكتراث بها.

١٠ ـ رفضوا الحق بأهوائهم، ثم اعتذروا عن قبوله كذباً وزوراً ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ ما أكثر الذين تأتيهم البينات واضحة، ثم يرفضونها عن وعي وإدراك، ثم يأتون يسردون أعذاراً للتخلف والنكوص.

وَالدَّعَاوى مَا لَمْ تُقِيمُوا عَلَيْهَا بَيِّنَاتٍ أَصحابهَا أَدْعِيَاءُ

١١ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ رفضوا الإيمان، واعتذروا بأن على قلوبهم ما يمنعها من قبول الحق، فأوصد الله تعالى قلوبهم عن الحق، وصرفهم عن الهدى.

١٢ ـ لا تعتذر عن عدم عون الأمة والوقوف معها في أحداثها بأعذار كاذبة ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

١٣ ـ اختلاق الأعذار في كل تخلُّف من أخلاق اليهود ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ ومثلك أوعى أن تجري في ذلك الطريق وكلما دُعيت لحمل دعوة، أو دعم فكرة، أو الوقوف في قضية، اعتذرت بشغلك، وتخلَّصت بواهي الأعذار.

١٤ ـ الإعراض موجبٌ للخذلان ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ ليس هذا في أصل الإيمان فحسب، وإنما في طريق كل عمل طلبه الله تعالى من عباده، فالنكوص عنه مؤذن بالحرمان، وكلٌّ على قدره. والله المستعان!

وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن
قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا
عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئۡسَمَا
ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن
يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ
عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ
ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا
وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ
فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩١﴾
۞ وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ
مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ
وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ
وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ
ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ
إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩٣﴾

التفسير

• ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي القرآن الكريم ﴿مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ من الكتب ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يطلبون من الله تعالى النصر على أعدائهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي يجدون صفته في التوارة ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾ بعثة الرسول ﷺ الذي يعرفون صفته ﴿كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ جحدوا رسالته، وأنكروها ﴿فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ حلَّت عليهم اللعنة.

• ﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾ ما أبخس ما اشتروا به أنفسهم ﴿أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ بالقرآن ﴿بَغۡيًا﴾ حسداً ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ أن يكون محمد ﷺ من العرب، وأن ينزل عليه القرآن ﴿فَبَآءُو﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ وهو الكفر بما عرفوا ﴿عَلَىٰ غَضَبٖ﴾ وهو الاستكبار عن الحق ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٩٠﴾ مخزٍ مذلّ.

• ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ صدقوا بالقرآن الكريم واعملوا به ﴿قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ بالتوراة ﴿وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ أي القرآن ﴿وَهُوَ﴾ أي القرآن ﴿ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ من التوراة ﴿قُلۡ﴾ إن كنتم صادقين في دعواكم أنكم تؤمنون بما أنزل عليكم من التوراة ﴿فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ﴾ بعثة رسول الله ﷺ ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٩١﴾ بما أنزل عليكم حق الإيمان.

• ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الأدلة الواضحة البيّنة ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ صنعوا من الحليّ مجسّماً على صورة عجل، وجعلوا فيه ثقباً

تدخله الريح، فيخرج منه صوتٌ كخـوار البقر ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ من بعد ذهاب موسى لميقات ربه ﴿وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ٩٢﴾ معتدون متجاوزون.

• ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ﴾ عهدكم ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ أي الجبل رفعه الله تعالى فوق رؤوسـهم تهديداً لهم، حتى صار فوقهم كالظلَّة ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم﴾ التـوراة ﴿بِقُوَّةٖ﴾ بعزيمةٍ وجِدٍّ ﴿وَٱسۡمَعُواْۖ﴾ ما يأمركم بـه الله تعالى وامتثلـوه ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيۡنَا﴾ أمـرك ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ تشـرّبوا حُـبَّ العجل في قلوبهم، حتى صار منهم كل شيء ﴿بِكُفۡرِهِمۡۚ﴾ فعاقبهم الله تعالى بذلك بسبب كفرهم بالله تعالى ﴿قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ﴾ إن كان هذا إيمانكم فبئس ما يأمركم به ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٩٣﴾ صادقين في دعوى الإيمان.

التدبر

١ ـ الكذب بضاعة اليهود ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ كم مرة استنصروا على المشركين بأن رسولاً سيأتي ومعه الحق؛ فلما جاءهم أنكروه وكذبوه وعارضوه، وكانوا أول المكذبين له.

٢ ـ العقوبة علـى قدر المخالفـة ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ إنما اسـتحقوا اللعنة لمعرفتهم بالحق وإعراضهم عنه.

٣ ـ القلوب إذا انطوت على الباطل لم ينفع فيها الحق شيئاً ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ على الرغم من كل مباهج الحق التي جاء بها النبي ﷺ، وكانوا يعترفون بها أولاً، لم يشفع لها ذلك لتلقى موطناً من الترحاب في تلك القلوب الخربة حين اللقاء.

٤ ـ لا تنشغل مع بعض المعرضين بسرد حجج دينك، وأدلة صلاحيته للعالمين، يكفيك أن تمضي في طريقك مطاولاً برأسك السماء ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ عاشوا زمناً يتغنّون بهذا القادم، فلمّا جاءهم الحقُّ ضربوا به عُرْضَ الحائط، كأنّه لا يعنيهم في شيء، فما تغني الحججُ مع هؤلاء؟!

٥ ـ من الوعي أن تعرف عدوك من خلال الوحي، لا من حديث لسان العارض، وتصريحٍ يتوسّط به صاحبه الإعلام ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ حين تسمعَ شيئاً من أمثال هؤلاء حاكمهم إلى الوحي.

٦ ـ الحسد ميراث اليهود، وسلالة تلك الشرذمة من البشر ﴿بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾ كم مرة رأيت الحسد شاخصاً في قلوب الآخرين!

٧ ـ الولاء للأشخاص والأحزاب والمنظمات والأفراد فرع عن أخلاق اليهود ﴿بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾ ردّوا الحق ورفضوه؛ لأنه جاء من غير قومهم وحزبهم وجماعتهم.

٨ ـ الهوى مرضٌ يداهم كثيراً من النفوس، ويقف حائلاً لها دون كثير من الخيرات ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ بلغ بهم حب عجلٍ يُعْبَدُ من دون الله تعالى إلى حد العشق!

٩ ـ من الضرورات لكل عاقل أن يواجه مشكلاته في بداية تكوّنها؛ فالتأخر في علاج ذلك مفضٍ إلى الضياع ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ تهاونوا به حتى تمكَّن، وصار هوىً خالصاً. وكل الذين تهاونوا في المعصية في بداية أمرها تعلَّقوا بها، وشُغفوا بواقعها، حتى إنهم لم يستطيعوا الفكاك منها، وبعضهم مات وهو يردِّدها على لسانه وفي آخر أيام رحيله ووداعه.

١٠ ـ إدمان الأشياء يطبعها في النفوس إلى الحد الذي تصبح معه جزءاً لا ينفك عنه في كثير من الأحيان ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾.

١١ ـ القلوب الخالية من الوحي سرعان ما يعلق بها الهوى! ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾.

صدق ما قاله الشاعر:

أَتاني هواها قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الهوى فصادفَ قلباً خالياً فتمكَّنا

١٢ ـ كم من مسمًى لا علاقة له بالحقائق ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لو كان إيمانهم حقيقياً لدفع هذه الأهواء إلى هوامش الأحداث.

١٣ ـ الإيمان ليس معنى بارداً، وإنما هو حركة شعورية وجدانية فيَّاضة، تأمر وتنهى، وتصنع واقع الحياة، وتدفع مساحات الهامش إلى أضيق الحدود ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ جعل الله تعالى الإيمان محرِّكاً للأفعال، وقاضياً في التصرفات.

١٤ ـ الإيمان المزعوم يصنع لأصحابه مساحات من الوهم كبيرة ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ كم مرةً وقف صاحب الإيمان المزعوم مستحلاً لحرمات، وموقعاً بصاحبه في الدنايا!

١٥ ـ الشريعة لا تقيم أحكامها على أنصاف الحلول ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ ومن القوة ألا تهادن قوماً لمصلحة تقوم على أنقاض الشريعة.

١٦ ـ الاعتزاز بهذه الشريعة، وتمثّل أحكامها، فرعٌ عن العزَّة بها ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾.

١٧ ـ كل مهادنة للعدو وصاحب المعصية، والضلال في منتصف الطريق خلافُ وصية الله تعالى ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ فالقوي لا يحتاج أن يهادن أحداً حتى يتقوى به.

❀ ❀ ❀

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن
يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾
وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۚ
يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ
أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا
لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ
وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ
لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا
يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا
نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا
جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ
فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ
كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

التفسير

• ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ﴾ أي الجنة ﴿خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ﴾ كما زعمتم أنه لن يدخل الجنة إلّا من كان هوداً أو نصارى ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ اطلبوا حصوله ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ أن الجنة لكم.

• ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ أي الموت ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بسبب أفعالهم التي كسبوها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

• ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ أي اليهود ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾ أيُّ حياة كانت هذه الحياة ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أي اليهود أحرص على الحياة حتى من أهل الشرك ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ أي اليهود ﴿لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يعيش ألف سنة ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ وما التعمير بمنجيه من عذاب النار ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ لا تخفى عليه من أعمالهم خافية.

• ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ معادياً له ﴿فَإِنَّهُ﴾ أي جبريل ﴿نَزَّلَهُ﴾ نزّل القرآن ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمر الله تعالى ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب السابقة ﴿وَهُدًى﴾ لكل خير ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ بما فيه من وعد الله تعالى وجزائه للمؤمنين.

• ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ﴾ الموكل بالوحي ﴿وَمِيكَالَ﴾ الموكل بالمطر، وإنما خصهما بالذكر مع أنهما من الملائكة لكمال شرفهما ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ فإن الله تعالى عدو لكل كافر.

• ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ واضحـات الدلالـة ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ﴾ بآيات الله تعالى ﴿إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ الخارجون عن طاعة الله تعالى.

• ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ﴾ طرحه ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ جماعة منهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ بالله تعالى.

• ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من الكتـب ﴿نَبَذَ﴾ طرح ﴿فَرِيقٌ﴾ جماعـة ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ من اليهود والنصـارى ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي خلف ظهورهم ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ الحق.

التدبر

١ ـ الدعاوى تحتاج إلى بينات، وما كل ما يقوله الإنسان يُعَدُّ من الحقائق، وما لم يأتِ برهان من العمل تظل مجرَّد أمـانٍ لا واقع لها ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾.

٢ ـ المفاهيم الزائفة والشُّـبَهُ التي يطلقها الأعداء تحتاج إلى مدافعة أصحاب الحـق ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ كم من قولٍ زائفٍ أرداه الحقُّ صريعاً في ميدان المواجهة!

٣ ـ كشف عورات العدو مطلبٌ شرعيٌ، يبيّن به ضعفه، وتسقط من خلال ذلك رايته، ويبقى الحق صافياً من كل الريب ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾.

٤ ـ ضرورة العلم في كل واقع، وهو الراية التي تجابه الأعداء في ميدان المعارك ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ ومِنْ لازمِ ذلك اعتبار مشروع العلم أولوية قصوى في إعداد المواجهة مع الأعداء.

٥ ـ لا يدفع الناسَ للموت إلّا غاياتُ الآخرة ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ من لم يفقه الآخرة، ولم يعمل لها فما له ولغمار الموت؟!

٦ ـ الإنسان بلا هدف وغاية جزء من متاع هذه الحياة ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ يعيشون لشهواتهم ويموتون ولم يشبعوا منها بعد!

٧ ـ نهضة الإنسان في الواقع أثرٌ لمفاهيمه ومعتقداته ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ ألا ترى هؤلاء عاشوا للدنيا، وماتوا من أجلها، ولا كرامة لهم في النهايات.

٨ ـ قيمة الحياة في واقعك فرع عن قيمتها في فكرك ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ

مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ هؤلاء يرونها كل شيء، وأقوام يدفعونها ثمناً للآخرة كأنها لا شيء. تذكرت هنا قول الأول: «واهٍ لريح الجنة، إني أجدها من دون أحد»، وتذكرت صاحبه وهو يقول: «بخٍ بخٍ، والله إنها لحياةٌ طويلةٌ إن بقيتُ حتّى آكلَ هذه التمرات».

٩ ـ الكبار والناهضون لا يمكن أن يعيشوا جبناء ضعفاء من أجل وارف الحياة ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ أصحاب الدنيا فقط هم الذين يتحمَّلون كلَّ شيءٍ من أجل هذه العاجلة. رأيته في مرات يقول الحق في موطن الرهبة، ويصدع بفكرته ولا يضره السامع لها، ويعيش حراً رغم مصاعب الطريق، وكل ذلك لأنه يرى هذه العاجلة لا شيء في مقابل الآخرة.

١٠ ـ كل المعارك التي يديرها المسلمون مع اليهود عاقبتها النصر والتمكين ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ الذين يعيشون للدنيا فحسب، لا يمكن أن يواجهوا من يعيش للآخرة، ولو كانوا يملكون كل شيء، والواقع خير شاهد.

١١ ـ تجديد العقيدة في قلوب المؤمنين ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أيّاً كانت عدَّة اليهود التي يديرون بها المعركة؛ فالله تعالى يدبر شأن تلك المعركة بما لا يخطر لك على بال، ماذا لو أدرنا كل معركة مع العدو بمثل هذا المعنى؟!

١٢ ـ مقاومة الشبه جزء من إدارة المعركة ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ أنشؤوا فكرة واهية مفادها أن جبريل الذي ينزل على محمد ﷺ بالقرآن هو عدوهم ليصنعوا حاجزاً وهميّاً بينهم وبين الوحـــي، وجاء القرآن يزيل هذا الوهم، ويبيِّن تفاهات الطريق.

١٣ ـ مهما بلغ عدوك في ملاحقتك؛ فالعدل والإنصاف منهجٌ لا يضيع في الإســلام بمجرَّد العداوات ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ فالذين نبذوا العهد فريقٌ منهم، وليسوا كلهم، ألا ما أجمل الإنصاف!

❀ ❀ ❀

وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ
ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ
وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا
يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ
لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟
لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا
وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن
يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

التفسير

• ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ اليهود ﴿مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ ما تتبعه الشياطين وتأخذ به ﴿عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ﴾ في ملكه وعهده ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ﴾ بتعلُّم السحر أو تعليمه؛ لأنه لم يفعل شيئاً من ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ بتعليمهم الناس السحر ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ أي واتبعوا ما أنزل على الملكين ﴿بِبَابِلَ﴾ أرض بالعراق ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ أسماء الملكين ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ﴾ الملكان هاروت وماروت ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ﴾ اختبار وامتحان للناس يتبيَّن بنا من يريد السحر ومن لا يريده ﴿فَلَا تَكۡفُرۡ﴾ بتعلُّم السحر ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا﴾ الناس ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ﴾ بالسحر ﴿بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦ﴾ وهو ما يسمى بسحر الصرف ﴿وَمَا هُم﴾ المتعلّمين للسحر ﴿بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾ بالسحر ﴿مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ إلّا بأمر الله تعالى وَقَدرِهِ ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ﴾ الناس ﴿مَا يَضُرُّهُمۡ﴾ من السحر ﴿وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾ في شيء ﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ﴾ الذين تعلّموا السحر ﴿لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ﴾ السحر ﴿مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾ نصيب ﴿وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢﴾ ما أسوأ ما باعوا به أنفسهم لو كانوا يعلمون حقيقة ما هم عليه.

والمعنى: أن هؤلاء اليهود تركوا دين الله تعالى، واتبعوا بدلاً عنه ما افترته الشياطين كذباً على ملك نبي الله سليمان عليه السلام، حيث زعمت أنه ثبّت ملكه بالسحر، وما كفر سليمان عليه السلام كما زعمت اليهود، ولكن الشياطين كفروا، حيث كانوا يعلِّمون الناس السحر الذي أنزل

على الملكين هاروت وماروت بمدينة بابل بالعراق امتحاناً وابتلاء للناس، وما كان هذان الملكان يعلِّمان أحداً حتى يحذِّراه ويبيِّنا له بقولهما: إنما نحن ابتلاء وامتحان للناس، فلا تكفر، فمن لم يقبل نصحهما، تعلَّم منهما السحر، ومنه نوع يفرّق بين المرء وزوجه.

• ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ﴾ بالله تعالى ﴿وَٱتَّقَوْا۟ ﴾ أي جعلوا بينهم وبين عذاب الله تعالى وقايةً بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ﴾ أي لأثيبوا على ذلك خيراً مما ينالونه من الدنيا بالسحر وغيره ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ ما عند الله تعالى من الجزاء.

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا ﴾ أمهلنا، وكانت هذه الكلمة عند اليهود بمعنى الرعونة، فلمَّا سمع اليهود المسلمين يقولونها للنبي ﷺ اغتنموا الفرصة؛ فكانوا يقولون للنبي ﷺ هذه الكلمة مظهرين أنهم يريدون المعنى الذي يريده المسلمون، وهم يقصدون السب، فنهى الله تعالى المؤمنين عن قول هذه الكلمة ﴿وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا ﴾ أي أمهلنا؛ فإنها كافية في المعنى، وآمنة من اللبس ﴿وَٱسْمَعُوا۟ ﴾ كل ما يأمركم الله تعالى بسماعه ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾ أي قاسٍ مؤلم.

• ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي يتمنون ألا ينزلَ عليكم خيرٌ من ربكم ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ ﴾ أي يخص بها ﴿مَن يَشَآءُ ﴾ ممن يريد ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾ صاحب الفضل الواسع الكبير.

التدبر

١ ـ من أعرض عن الحق جوزي باتباع غيره من الباطل ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) ﴾ ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ كم من حقٍّ أعرض عنه صاحبه، وأُشرِبَ من الهوى بعد ذلك ما يشاء!

٢ ـ سوء أدب اليهود مع الأنبياء ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ (١٠٢) ﴾ ألا تراهم نسبوا إلى سليمان عليه السلام تعاطي السحر، واتهموه بذلك. وكل من طعن في أتباع الرسل من العلماء والمصلحين فهو سائر في طريق اليهود نفسه لا فرق.

٣ ـ تيسير أسباب المعصية من الابتلاء للإنسان ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ رأيتُ ذلك في نعمة رزق وعافية ووظيفة ومنصب ومكانة استثمرت في غير طريقها الصحيح.

٤ ـ للسحر حقيقةٌ وتأثيرٌ على العقول والأبدان ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾.

٥ ـ عظم جرم السحر، وسـوء عاقبة صاحبه في الدارين ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

٦ ـ لا يقع في ملك الله تعالى شيء إلَّا بإذنه ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وفي هذا من كمال التوكل علـى الله تعالى، والاعتماد عليه، وتفويض الأمور إليه، وأن كل ما أراده الخلق فإنما مردّه إلى قدر الله تعالى أولاً وآخراً.

٧ ـ التقوى درع حصين في وجه هذه الشرور، وهي خير ما أعد الإنسان لمواجهة صعاب واقعه، ومشكلات زمانه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣)﴾.

٨ ـ خطورة الكلمـة وعظيم أثرهـا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤)﴾ ألا ترى أن الله تعالى نهاهم عن كلمةِ ﴿رَاعِنَا﴾ سـداً لذريعة فسـادها، فكيف بالكلمة التي يقصد بها صاحبها الخذلان!

٩ ـ على المربّي والداعية، وكل صاحب مشروع إذا نهى مستشيراً أو صاحباً أو متربّياً عن شـيء أن يضع لـه البدائل الممكنة عن ذلـك الممنوع ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤)﴾.

١٠ ـ سد الذرائع مقصد كبير من مقاصد هذه الشريعة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤)﴾ إنما نهاهم عن كلمة ﴿رَاعِنَا﴾ أي أنظرنا؛ لأن معناها في لغة اليهود يا أرعنُ، فمنعهم من قولها سدّاً لذريعة الإيذاء لرسـول الله ﷺ، وكذلك كل قول أو فعل

مفضٍ في النهاية إلى مفسدةٍ في شريعة الله تعالى فهو ممنوعٌ منهيٌّ عنه لهذا المقصد الكبير.

١١ ـ الحسد إرث من تراث اليهود ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ وكل من وقع في شَرَكِ هذا المعنى فهو مغترف من أخلاق اليهود، وتراث الهالكين.

١٢ ـ فضل الله تعالى وعطاؤه أكبر مما تتخيّل ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وإذا أعطاك الله تعالى نعمة، أو فتح لك باب توفيق، أو مكّنك من خيرٍ، فاحمد الله تعالى على ذلك، وافرح لصاحبك، وهنّئه على تمام نعم الله تعالى، وأعنه وسدّده، وارغب فيما عند الله تعالى أن يهبك مثله أو أكثر، وإياك وأغلال الحسد التي تذهب بخيرات الدارين.

❀ ❀ ❀

۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟
وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم
مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ
تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

التفسير

• ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ أي نرفع حكمها ونزيله ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ أي ننسها العباد، فنزيلها من قلوبهم ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ أي نأتي بما هو أنفع للناس منها ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ أو نأتي بمثلها في النفع والفائدة ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ فلا يعجزه شيء.

• ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يتصرّف فيهما كيف يشاء ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يتولّاكم ﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ يدفع عنكم العذاب.

• ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ أيها المشركون ﴿أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾ محمداً ﷺ ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ حين سأله اليهود أن يريهم الله تعالى جهرة ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ فيكفر بعد إيمانه ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ تاهَ عن ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾ عن الطريق الوسط المحكم.

• ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ تمنّوا ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ فيجعلونكم كفاراً ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ والحامل على ذلك مجرد الحسد ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ بعد أن عرفوا الحق وعلموه ﴿فَٱعْفُوا۟﴾ فلا تؤاخذوهم بذنوبهم ﴿وَٱصْفَحُوا۟﴾ أعرضوا عنهم بعد العفو ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ أي بالأمر بالقتال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ فلا يعجزه شيء.

• ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كما أمركم الله تعالى ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي ادفعوها لمستحقيها ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ وافياً كاملاً

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾ أي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

• ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ أي يهودياً ﴿أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾ أو نصرانياً ﴿تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡ﴾ أي هذه أماني لا رصيد لها من الواقع ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ أي دليلكم على ما ذهبتم إليه ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١﴾ فيما تقولون.

• ﴿بَلَىٰ﴾ أي ليس الأمر كما تقولون، بل ﴿مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي أخلص أعماله لله تعالى ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ في عبادة ربه ﴿فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ وافياً كاملاً ﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١١٢﴾ يوم القيامة.

التَّدَبُّرُ

١ ـ لله تعالى حِكَمٌ تجلُّ عن الوصف ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾ وكل ما جاء في هذه الشريعة إنما هو لغاياتٍ ومقاصد عظيمة، قد لا يدركها المخلوق.

٢ ـ من حسن أدبك مع ربك ورقيّك مع شريعته أن تجلَّ كل ما ورد في نصوص الوحي من أحكام، وتعدّها طريقك إلى مباهج الحياة ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾ إذا كان الله تعالى يبيّن حتى في نسخ بعض الآيات أنه يأتي بخير منها؛ فما الشأن في غيره من المحكمات؟!

٣ ـ كمال قدرته تعالى وجلال شأنه ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ في مقابل ضعف المخلوق وقلة حيلته، وعجزه عن إدراك أسرار هذا الكون. فإذا عرض لك ضيق أو كرب أو سوء حال، فتذكّر أنه تعالى يملك كل شيء، وهو على كل شيء قدير.

٤ ـ إذا أراد الله تعالى بعبدٍ أو مجتمعٍ أو أمّةٍ سوءاً، فلا رادَّ لقضائه ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ مسكين هذا الإنسان لولا لطف الله تعالى!

٥ ـ كل أسئلة لا يدار عليها عمل، ولا تتوقف عليها مصالح، فلا حاجة إليها، ولا شأن للعاقل بها ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ كانت أسئلةُ هؤلاء للعنت والمشقة، فاستحقت هذا النهي وذلك الإعراض، كأنه يقول: لا تكرِّروا صنائع اليهود مع رسولهم موسى عليه السلام.

٦ ـ الإعراض عن الحق بعد بلوغه مؤذنٌ بنهايات السوء وعواقب الحرمان ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ وصفهم الله تعالى بتبدل الإسلام بالكفر وضلال السبيل.

٧ ـ الحسد ميراث اليهود وتراثهم ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ ﴾ وكل من تلبّس بالحسد في موقف ما، عاد عليه بالحرمان.

٨ ـ العفو والصفح عن المخطئين نوع من الاستعلاء في مواجهة زائف الأخلاق، ودنيء الأفعال ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ لم يواجه أحدٌ عدوَّه

بمثل ذلك! ما أسهل أن تقف شـاتماً في عرض الطريق! وما أصعب أن تمضي كأنك لم تسمع شيئاً! ترك الخوض مع كثيرين نوعٌ من الاستعلاء المتين!

٩ ـ كل من وجد لأخلاق اليهود مذاقاً يستلذّه، فليُعد قراءة هذه الآيات وما قبلها بإمعان!

١٠ ـ من كمال عقلك مداراة عدوّك الذي لا تتمكن من غلبته ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ أرشـدهم الله تعالى للعفو لضعف قدرتهم في تلك الحقبة على القتال.

١١ ـ إذا رماك عدوك بالشُّبه، ولم تتمكن من الرد عليه، فاختر معيناً يجيد رمي السهام بإمعان ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ هذا العفو جاء في حال العجز، وخيارك فيمن يواجه المعركة معك نوع من هذا الفن.

١٢ ـ بشارة بأن زمان النصر قريب، وأيام الفتوحات على مشارف الزمان ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ وهذا ليس مخصوصاً بزمنٍ أو حالةٍ أو مكان، وإنما في كلِّ وقتٍ وحين.

١٣ ـ إقامة شـرائع الله تعالى في الأرض من أسـباب النصر ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ ألا ترى أن الوصية بها جاءت في معترك ساحة العدو!

١٤ ـ مجابهة العدو لا تأتي إلّا من خلال الإيمان والتقوى وإصلاح ما بيننا وبين الله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾.

١٥ ـ إدارة الأولويات مطلبٌ ملحٌ أيّاً كانت ظروفك التي تعيشها، وواقعك الذي

تعانيه ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾.

١٦ ـ بشارة لكلّ العاملين والمجاهدين في ساحات الحياة؛ أن كلَّ كلمةٍ وخطوةٍ وجهدٍ محسوبٌ في ميزان الآخرة ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾.

١٧ ـ ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أيّاً كان هذا العمل حتى نيتك الصالحة، وجهدك في مشروع، وصدقتك لفقير، وابتسامتك في عرض الطريق.

١٨ ـ ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ كبيراً كان أو صغيراً، ما كان منه في بيتك، أو وظيفتك، أو في مسجدك، أو حيِّك، أو مجتمعك، وما رآه الناس وما لم يروه.

١٩ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ دعوة للأمل، وبشائر للفأل، ورحلة لعالم الأرواح.

٢٠ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يراه ويرقبه، ويثيب عليه ويجازي به في يوم الجزاء، ودعوة في الوقت نفسه بأن الله تعالى بصيرٌ بكلِّ أعمال السوء، التي تجري في واقع كل إنسان يراها ويرقبها ويرصدها، وتأتي في صحائف الأعمال.

٢١ ـ الإعجاب بالعمل ميراث اليهود ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾.

٢٢ ـ النفوس المعجبة بتاريخها المزيف، المُدِلَّةُ بعملها نفوس معتلَّةٌ، تحتاج إلى

علاج ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾.

٢٣ ـ ما كلُّ أمنيةٍ صادقــةٌ، وما كلُّ ادعاءٍ حقيقٌ بالقبول ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ على الرغم من كل هذه الدعاوى من اليهود، التي ليس لهم في الحقيقة منها شيء، والأماني بضاعة المفلسين.

٢٤ ـ الإخلاص والمتابعة أصل في كل طريق إلى الله تعالى ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

٢٥ ـ العبادة أوسع الطرق، وأفسحها للحياة الكريمة التي ينشدهـا الإنسان في الدارين.

❀ ❀ ❀

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ
لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ
لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ
وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ
فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا
قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا
ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

التفسير

• ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ من الدين ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ من الدين ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أي وَكُلٌّ منهم يتلو في كتابه تصديق ما كفر به ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ من اليهود والنصارى ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ مثل قول الذين يعلمون ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ في الدنيا.

• ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ فلا أحد أظلم ﴿مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ أي منع أن يقام فيها ذكر الله تعالى ﴿وَسَعَىٰ﴾ أي اجتهد وبذل وسعه ﴿فِى خَرَابِهَآ﴾ بالهدم والتخريب، ومنع الذاكرين ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ﴾ أي المانعين الناس من دخول المساجد، والساعين في خرابها، ومنهم المشركون بالله تعالى الذين منعوا رسول الله ﷺ والمسلمين من دخول المسجد الحرام ﴿أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ فضلاً أن يمنعوا عباد الله تعالى، أو المعنى لا تدعوهم يدخلوها إلَّا خائفين، أو هي بشارة من الله تعالى أن هؤلاء الذين منعوا المسلمين من دخول المساجد، ومنهم قريش الذين منعوهم من دخول المسجد الحرام ستكون الدولة عليهم في قادم الأيام ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ ذلٌّ ومهانة ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ أي شديد.

• ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ ملكاً وتدبيراً ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟﴾ أي تتوجهوا ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ فهناك وجه الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾ في علمه وقدرته ﴿عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ بكلِّ شيء.

• ﴿وَقَالُوا﴾ أي اليهود والنصارى والمشركون ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ يعنون بذلك عزيراً؛ كما قالت اليهود، والمسيح؛ كما قالت النصارى، والملائكة؛ كما قال المشركون ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أي تنزّه الله تعالى وتقدّس عن ذلك ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فكيف يحتاج إلى الولد ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (١١٦)﴾ قائمون خاشعون متذللون؟!

• ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أيّاً كان هذا الأمر ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (١١٧)﴾ فلا يعجزه شيء.

• ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الذين ليسوا من أهل العلم ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ أي هلّا كلَّمَنا الله تعالى بتصديقِ رسله ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ علامة بيّنة على صدقهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك ﴿قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ لا فرق ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في رد الحق وعناد الرسل ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ﴾ أوضحناها ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨)﴾ أي يعلمون علماً لا شك فيه.

• ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿بِالْحَقِّ بَشِيرًا﴾ للمؤمنين ﴿وَنَذِيرًا﴾ للمكذّبين ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩)﴾ أي لا يسألك الله تعالى عنهم، ولا تُسأل ما حلَّ بهم من العذاب.

١ ـ الكفر ملة واحدة، وإن اختلف زمانهم ومكانهم وأجناسهم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣)﴾.

٢ ـ الأمم مختلفةٌ بينها أيهم على الحقِّ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ ومتفقةٌ في العداء تجاه الإسلام والمسلمين.

٣ ـ العالِمُ بالحقِّ المخالفُ له ممقوتٌ مذموم، بخلاف الجاهل الذي لم يعرف تكاليف العلم والعمل ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

٤ ـ طول أمد الانتصارات في المعارك التي تدار مع الباطل، وقد لا يكون للدنيا من ذلك شيء ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

٥ ـ تأخُّر نتائج مشروعك ليس علامةً على الفشل، وإنما جزء من تكاليف الطريق ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

٦ ـ مكانة المساجد في الإسلام، وأثرها في مدِّ مساحاته ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ حتى إن الله تعالى جعل أكبر مساحات الظلم تلك التي تمنع المساجد من أداء دورها.

٧ ـ علّق قلبك بربك، وتوجّه إليه بعزيمتك صادقاً ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ وإذا كان لله تعالى المشرق والمغرب، فما بقي شيءٌ خارجاً عن ملكه.

٨ ـ الفرص ممكنة، وساحات العمل متاحة، وأبواب الأمل مُشْرَعَةٌ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ وإذا كان الله تعالى واسعاً عليماً فلا يضق عليك من الحياة شيءٌ.

٩ ـ الحياة أفسح من أن تضيق على إنسان ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ أياً كانت مشكلتك وظروفك وعوائق طريقك.

١٠ ـ سوء أدب الإنسان مع ربه تعالى ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾.

١١ ـ المعصية تبلغ بصاحبها حدَّ الإسفاف في الأخلاق ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ ما لهم وللرب تعالى!

١٢ ـ درع العقيدة أسبغ من كل درع ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ ماذا بقي لحوادث الدنيا، وعثرات الطريق، ومشكلات الحياة في ظل هذا المعنى البهيج؟!

١٣ ـ الألسن مغاريف القلوب ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾ فلتَشَابُهِ القلوبِ تشابهتِ الأقوال.

١٤ ـ حاجة قلوب العاملين ومشاعرهم إلى التسلية في عرض الطريق ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

١٥ ـ إذا رأيت مكلوماً أو مصاباً أو صاحب مشروع أعياه بلوغ نهايته، أو فكرة لم تلد ربيعاً في حياة صاحبها؛ فسلِّه بأمجادِ العزِّ، وبُثَّ في طريقه آمال الناجحين

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ وإيّـاك أن تكون من المثبطين النادبين لحظوظ المتعثرين!

١٦ ـ إذا رأيت إنسـاناً مُعْرِضاً عن أحداث زمانه، وقيمِ واقعه، ومشاريعِ العزّ في أمته، فاعلم أن الله لم يهب له يقيناً في القلب يُعظّم به هذه الأحداث ﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ إنما تنفع الآيات والعبر والعظات الموقنين.

١٧ ـ صُنّـاع الحياة لا ينتظرون جـزاء المخلوقين ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾ قدّم ما لديك، ودع النتائج لله تعالى.

١٨ ـ ليس مهماً ما أثـرك! المهم هل قمت بواجب البـلاغ كما أمرك؟! ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾.

١٩ ـ الفأل والأمل أصلٌ في الدعوة، لكنها لا يمكن أن تمشي عرجاء دون قدمها الأخرى النذارة ﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾.

٢٠ ـ التـوازن عـزيزٌ، وهـو أحـد مطـالب الدعوة الكبرى فـي واقـع العمـل ﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾.

٢١ ـ ثمة قلوب لا يزيدها الأمل إلّا قعوداً، والنذارةُ تصفعها بسياط الجد للعودة إلى الطريق ﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾.

❀ ❀ ❀

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ
هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ
ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ
ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا
تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ
قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ
عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا
وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ
أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ
فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

التفسير

• ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ فتكون يهودياً أو نصرانياً ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي جئت به ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ الحق ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ يا محمد ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ من الله تعالى ﴿مَا لَكَ﴾ حين تتبع أهواءهم ﴿مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ يتولّاك ﴿وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾ يدفع عنك العذاب.

• ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي قراءة وتدبراً وعملاً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين يتبعونه ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ حقَّ الإيمان ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ أي بالكتاب ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٢١﴾ للدارين.

• ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وجَعَلَ فيكم أنبياء، وجَعَلَكم ملوكاً، وأنجاكم من فرعون ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ١٢٢﴾ أي عالمي زمانكم.

• ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا﴾ أي احذروا يوم القيامة ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ أي لا تغني عنها شيئاً ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء للفكاك من العذاب ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ من أحد من الخلق ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾ يدفع عنهم العذاب.

• ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ﴾ أي امتحن الله تعالى عبده وخليله إبراهيم ﴿بِكَلِمَٰتٍ﴾ أي أوامر ونواهي ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي قام بهنّ كما أمر الله تعالى ﴿قَالَ﴾ أي الله ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ أي قدوة يُقْتَدَىٰ بها ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ أي واجعل من ذريتي أئمة ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿لَا

يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ لَكَ ذلك، لكن من كان ظالماً من ذريتك فلا سبيل له أن يكون إماماً.

• ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ ﴾ أي الكعبة ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ مرجعاً، كلّما تفرق عنه الناس عادوا إليه من جديد ﴿وَأَمْنًا﴾ يأمن فيه الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ أي اجعلوا من مقام إبراهيم الذي وقف عليه لبناء الكعبة ﴿مُصَلًّى﴾ مكاناً تصلون عنده ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ أي أوحينا إليهما وأمرناهما ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ من الشرك والكفر والمعاصي والنجاسات ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ به ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ ﴾ فيه ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ بالصلاة فيه.

• ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ﴾ أي مكة ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ يأمن فيه الناس على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي وسّع لهم في الأرزاق والخيرات ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم﴾ للمؤمنين منهم ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ منهم ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ أي أرزقه كذلك، لكن متاعاً قليلاً في الدنيا ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾ أي ألجئه ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ يوم القيامة ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ أي سوء المرجع والمستقر.

١ ـ من الحقائق ما يصفع كل محاولات المبطلين في الطريق ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ ما أكثر الداعين إلى

تبرئة يهود من العداء، ويعتقدون أن ذلك مجـرَّد أوهام، وتظل الحقيقة كالجبل تتحطّم عليها دعاوى المبطلين.

٢ ـ رضى اليهود مقرونٌ بقربك منهم قرباً تتنازل فيه عن مبادئك، وتقيم صرحاً متيناً لدينهم ومبادئهـم ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾.

٣ ـ الوحي أثمن شيء في حياة المؤمن ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ أنّى لنا بهذه الحقائق الكبار لولا هذا الوحي الذي بين أيدينا؟!

٤ ـ من عقائد اليهود إركاسُكَ في وثنياتهم ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ فالذي لا يرضى عنك إلَّا باتباع ملّته لن يقف منك موقف المتفـرج، وكل ما تراه في الأسـواق والإعلام هو جـزءٌ من تلك القناعات التي يحملونها تجاه مبادئهم وعقائدهم.

٥ ـ العمى بعد الإبصار ضلال ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

٦ ـ منّة الله تعالى على عبده ليست في تمكينه من حفظ كتابه تعالى، وإنما في تدبّره، والقيام بحقه من تلاوته، ومعرفـة أحكامه، والقيام بواجب العمل به ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

٧ ـ تذكُّر نعم الله تعالى موجبٌ للاعتراف بها، والقيام بحقها ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢﴾ لا أقصد ذكر اللسان المجرد، وإنما جريان ذلك التذكر في وجدان الإنسان ومشاعره. كثيرون لو تأمَّلوا ما أعطاهم الله تعالى لاستَحْيَوْا أن يقابلوا نعمه تعالى بهذا النكران.

٨ ـ شدّة فزع يوم الحساب حتى إنه لتنقطع فيه كُلُّ الصلاتِ والعلائقِ بين المخلوقين، ولا يبقى سوى العمل ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾.

٩ ـ كمال عقلك أن تستدرك مساحات رحمك وقراباتك في وصلهم قبل حصول فواجع النسيان ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾.

١٠ ـ حاجة نفوسنا للعمل في ساحات الدنيا قبل فوات الأوان ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾ كم من تفريطٍ أوجبَ بكاءً وأحزاناً!

١١ ـ الفرص تسنح ولا تعود ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾ كم من فرص كانت ممكنةً للعمل لولا عوارضُ الغفلة والنسيان!

١٢ ـ الابتلاء بالعمل والقيام بحق الله تعالى من الفقه الغائب في زمانك، والقيام بحقه وتعظيم شأنه والنجاح فيه من أعظم موارد التوفيق في حياتك ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾.

١٣ ـ ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ رسـالة في القدرة على التسـليم والامتثال لأوامر الله تعالى، والبلوغ بها غاية الإمكان ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ كم من أمرٍ لله تعالى لو استقبلناه بعزائمنا لصنع لنا أثراً طيباً لا تمحوه الأيام!

١٤ ـ مَنْ قام بواجـب الله تعالى كما أراد، حصل له مـن الكمال على قَدْرِ ذلك التمام ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ فالكمـال الذي حصل لـه بقوله تعالى ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ جاء إثر ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾.

١٥ ـ إذا جعلك الله تعالى قدوةً في الخير، فقـد بلَّغك منازل الكبار ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾.

١٦ ـ اتباع الكبـار ومحبَّتُهم طريق لتوريث أبنائهـم وأجيالهم الإمامةَ في الدين ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾.

١٧ ـ الشعور بالآخرين فرعٌ عن الأرواح المستعلية على حبِّ الذات ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ في زحمة الأحداث لم ينس مَنْ حوله ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾.

١٨ ـ من فيض العطاء من قلبك ألّا تنسَ مَنْ حولك من مشـاعر الوجد والحب ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ ماذا لو شعر ولدك، أو طالبك، أو مَنْ حولك، أنك تعيشُ همومهم، وترنو إلى لحظات تحقيق الأحلام في حياتهم؟ !

١٩ ـ الظلم ماحقٌ للخيرات والبركات ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ على الرغم من مكانة إمامهم وترجّيه وأمانيه وقفَ الظلمُ حائلاً دون إدراك الأماني.

٢٠ ـ عظمة بيت الله تعالى الحرام ومكانته؛ إذ فطر الله تعالى الخلق على محبَّته، والشغف به، وجعله مثابةً يؤوب الناس إليه في كل وقت وحين، وجعله آمناً يأمن الناس فيه على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾.

٢١ ـ إذا أراد الله تعالى لفرد أو مكان عزّاً ومكانةً وجاهاً هيأ له الأسباب لبلوغ تلك الغايات ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾.

٢٢ ـ من إكرام الله تعالى لعبده أن يبقي ذكره في العالمين ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾.

٢٣ ـ لا يضيّع الله تعالى جهود العاملين والمصلحين ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ وعلى قدر ما تهب لدينك تبقى ذكراك عاطرةً في العالمين.

٢٤ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ حين كان التمامُ جاء الوفاءُ.

٢٥ ـ من كمال تعظيمك لبيت الله تعالى العنايةُ بطهارته حسّيّاً ومعنوياً ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ وإياك أن يُدنَّسَ من قبلك بمعصيةٍ أو أذى.

٢٦ ـ إذا ألهمك الله تعالى القيام بشعائره والعناية بها، فقد دلَّك على أصول

الخيرات ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

٢٧ ـ التعلّق بالله تعالى، واللجوء إليه، وطلب عونه في مراضيه من أعظم دلائل الفلاح ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ ما أحوجنا إلى عون الله تعالى وتوفيقه وسداده في كل حين!

٢٨ ـ عِظَمُ آثار الدعاء على صاحبه ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ وإذا تأمّلت آثار الدعاء أدركت هذا المعنى الكبير.

٢٩ ـ شفقة الأنبياء والكبار والمصلحين على مَنْ بعدهم ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾.

❀ ❀ ❀

وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن
ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ
عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن
سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ
ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمۡ
كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا
تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ
وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾
تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ
عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

التفسير

• ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ يساعده ويعينه على ذلك ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ هذا العمل ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالنا ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ بأحوالنا.

• ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ أي منقادين لك في كلِّ ما تأمر وتنهى ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ مستسلمةً منقادةً ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي بيّنها لنا وعلِّمناها، حتى كأنّنا نراها ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ وفِّقنا للتوبة ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ﴾ ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ كثير التوبة على عبادك رحيم بهم.

• ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ﴾ أرسل ﴿فِيهِمْ﴾ في ذريتنا ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ يقرؤها عليهم، ويبيِّنها لهم ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ السنة، أو معرفة مقاصد الأحكام ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهِّر أخلاقهم ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ لا غالب لأمرك ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ في تدبير أمرك وخلقك.

• ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ أي ما يرغب عن ملّة إبراهيم ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ مَنْ جهل أمرَ نفسه وامتهنها، ورضي لها بالدون ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ أي اخترناه ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ فجعلناه فيها إماماً ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ الذين قاموا بأمر الله تعالى.

• ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ أي أخلص لله تعالى في عبادتك، وتمثّل أمري ونهيي ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ امتثلتُ أمرك، وقمت بواجبك ظاهراً وباطناً.

• ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ﴾ أي بكلمة الإسلام ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾ كلّهم ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ وأوصى بها يعقوب كذلك بنيه ﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ أي اختاره لكم ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ أي على الإسلام ظاهراً وباطناً.

• ﴿أَمۡ كُنتُمۡ﴾ أيّها اليهود والنصارى ﴿شُهَدَآءَ﴾ أي حضوراً ﴿إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي مقدّماته وأسبابه ﴿إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ مختبراً لامتثالهم ما وصّاهم به ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي﴾ بعد موتي ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ أي مذعنون مستسلمون، فأخبروه أنهم على الإسلام لا على اليهودية ولا على النصرانية.

• ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ﴾ إبراهيم ويعقوب وأبناؤهما ﴿قَدۡ خَلَتۡ﴾ مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ﴾ من العمل ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡ﴾ من العمل كذلك ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ ولن تسألوا عن أعمالهم يوم القيامة.

١ ـ كلّ عملٍ في النهاية موقوفٌ على قبول الله تعالى له ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾.

٢ ـ من دلائل صدق العبد عدم اعتداده بعمله مهما بلغ شأن ذلك العمل ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ وهذا الدعاء والسؤال من إبراهيم ﷺ دليل هذا المعنى العظيم في حياته.

٣ ـ من أعظم منن الله تعالى على عبده ألا يرى لنفسه فضلاً في ذلك العمل، وأن يعدَّ ما أصابه من دلائل التوفيق ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾.

٤ ـ إذا غمرك العمل، وشعرت فيه بلذّة الإنجاز، ورأيتَ فيه مباهج النجاح، فألقِ نفسك في بحر الدعاء، وسَلِ الله تعالى أن يتقبله منك، وألّا يحرمك من آثاره في

الداريـــن ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾.

٥ ـ بقاء أثرك مرهونٌ بحجم ما قدَّمته لدينك ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ كم هي الآثار التي تلحق إبراهيم ﷺ من تلك اللحظة إلى قيام الســاعة؟! والعمل إذا اختلط بالإخلاص أورثَ مباهج الدارين.

٦ ـ ثمَّة فرق بين صانع الحدث، وصاحب الراية فيه، والمشارك في تمامه وكماله ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ فلم يقل: (وإذ يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت)، وإنّما أخره لهذا التباين والتمايز بينهما.

٧ ـ إذا استطعت أن تشارك في وقفٍ أو مشروعٍ أو رفع رايةٍ للخير، فلا تتردَّد في انتهاز فرص الخيــر ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ هذا إسماعيل ﵇ يشــارك أباه في بناء بيت الله تعالى فيبقى أجره ما بقيت الحياة.

٨ ـ العمل مع الكبار موجبٌ لنهايات الفلاح ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ كـــم مـــن رفقـــةٍ جلبت لصاحبها نهايات التوفيق.

٩ ـ من فقه المربّي الناجح أن يشاركَ أبناءه، وطلابه، ومن يقوم على تربيتهم في مشــاريعه ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ وذلك أَعْوَنُ له وأَعْوَدُ على من يربّيهم بالخيرات.

١٠ ـ التربية لا تبلغ غاياتها على أصحابها إلّا من خلال العمل والتطبيق ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ لم يكتف إبراهيم ﷺ بالدعاء لولده، وإنما جعل له نماذج تطبيقية يشارك في بنائها، ويكون جزءاً من أحلامها في قادم الأزمان.

١١ ـ من تمام رعايتك لولدك وطالبك أن تكلفه ببعض الأعمال والمشاريع التي يشارك بها في البناء، ويسجِّل اسمه ضمن الحاضرين في صفوف الأمة ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾.

١٢ ـ إذا وجدت نفسك حاضراً ومنهمكاً في مدِّ رقعة دينك، وصناعة مجد أمتك، فاغمر نفسك في مشاهد الدعاء، بأن يجري ذلك العمل في موازين الحسنات ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾.

١٣ ـ منبع الإخلاص، ومبعث النيّات، وأصلُ الأعمالِ هو صلاحُ القلوب ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ ماذا تصنع ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ مع ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ لولا صلاح القلوب!

١٤ ـ إذا اجتمع لإنسانٍ أصلٌ باقٍ في الإسلام مع صلاح نيَّته، فقد اجتمع له كل شيء ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾.

١٥ ـ للدعاء فقهٌ؛ من وفِّق له وفِّق لآثاره ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فقد ختم إبراهيم عليه السلام دعاءه بأنه تعالى سميع لدعائه، عليم بحاجته وحاله.

١٦ ـ من أكثر عوائد العلم على أصحابه فقههم بأنفسهم وأحوالهم والعوارض التي تواجههم ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا

وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ هـذا الدعاء الذي يـردّده إبراهيم ﷺ ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ يدلّ عن هذا الفقه الكبير بالنفس وعوارض الحال.

١٧ ـ للنفس حظوظٌ، والإنسان بحاجةٍ إلى بصيرةٍ تعينُ على التخلّص منها ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ خاضعين لك، مستسـلمين لأمرك، وكلُّ عملٍ للنفس منه حظوظٌ عاجلةٌ تحتاج إلى فقهٍ وبصيرة.

١٨ ـ من فقه الإنسان بنفسـه أن يهب لها من وقته وفكره وجهده وتقواه ودعائه ما يعين على التخلّص من أمراضها وأدوائها العالقة بها ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾.

١٩ ـ الانشغال بمن هم حولك، والاهتمام بمن معك جزءٌ من أخلاق المرسلين ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾.

٢٠ ـ من كمال فقه صاحب المشـروع أن يُعنى بأبنائـه، وطلابه، وأعوانه، ومن يحمل رسالة مشروعه بعد وفاته ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾.

٢١ ـ الفقه بدين الله تعالى غاية يجب أن تأخذَ حظَّها من قلوب العارفين ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ ماذا يصنع الجاهل، وهو لا يفقه شيئاً من دين الله تعالى!

٢٢ ـ العلم وحده لا يكفي ما لم يحفّه توفيق الله تعالى ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ ليس رؤية وبيان العلم فحسـب، وإنما رؤية الإعانة والتوفيق والتسديد، كم من عالمٍ قاعدٌ عن مصالح نفسه فضلاً عن مصالح من يرجون أثره وعلمه! والموفق من وفّقه الله تعالى.

٢٣ ـ الأصل في الإنسـان القصور والضعف ما لم يكن له عـونٌ من ربه تعالى ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فسؤال إبراهيم ﷺ للتوبة بعد توفيقه لمباهج العلم دليلٌ على أنّه لا سبيل له إلى ذلك إلّا من خلال هذا المعنى.

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَـوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَتَىٰ　　فَـأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْـهِ اجْتِهَادُهُ

٢٤ ـ الإخلاصُ علمٌ وأدب ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ في زحمة العمل والجهاد يسألُ ربّه أن يمنَّ عليه بالتوبة والغفران. يا الله ما أجلَّ هؤلاء!

٢٥ ـ شفقة المصلحين على أممهم وأتباعهم ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ سأل الله تعالى أن يبعثَ رسولهم منهم؛ لأنه أبلغ في نصحهم، وأمكن في إيصال الرسالة إليهم، ومن ذلك سؤال المربّي والوالد وصاحب المشروع الله تعالى أن يهبَ أولاده وأعوانه ومن يربيهم رفقةً تعينهم على بلوغ أمانيهم، وتحقيق غاياتهم في الحياة.

٢٦ ـ التعليم والتزكية مهمَّةُ الأنبيــاء والمصلحين ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ وينبغي أن تكونَ كذلك مهمَّة الآباء والمعلِّمين والمربّين.

٢٧ ـ خطاب العاطفة وحــده لا يُصلِحُ فكراً، وخطاب العقــل وحده لا يُصلِحُ حالاً، والفقه أن يأتي الداعية على خطاب العقول والأرواح ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾.

٢٨ ـ التخلّي عن الحق والتخلّف عنه سفهٌ وجهلٌ ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾.

٢٩ ـ اصطفاء الله تعالــى لبعض خلقه تزكيةٌ ينبغي أن تأخــذ حظَّها من الاقتداء ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ومن لازم هذا المعنى ينبغي أن تُقرأ سيرته الذاتية قراءة واعية، ويُقتدى بها.

٣٠ ـ مدار الولاية عند الله تعالى وقـف على العلم والعمل ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ مَنْ إبراهيم ﷺ لولا ميادين العلم والعمل!

٣١ ـ الاستسلام لله تعالى أعظم مظاهر الطاعة لله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ لا تجدُ فارقاً بين أمر الله تعالى لنبيِّه، وإجابته لذلك، ومن يعرف قدر الاستسلام لأوامر الله ونواهيه يعرف حق الله تعالى حق المعرفة.

٣٢ ـ الإسلام هو الدين الحق، وما عداه باطلٌ زائفٌ، لا قيمة له في واقع الحياة ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾.

٣٣ ـ من وعيك وكمال عقلك، أن تجعلَ ولدك وصاحبك وقريبك ومن حولك، يشعرون أن قضيتك الأهم وأولويتك الكبرى هي دين الله تعالى ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ حتى في غصص الموت، ولحظات الرحيل، كان صوت الحادي يذكّر بالغايات.

٣٤ ـ من فقهك أن تتأكّد من سلامة العقيدة في نفوس ناشئتك ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ فما أنت صانعٌ اليومَ مع ولدك في زمن الانحرافات الفكرية التي بلغت الإلحاد!

٣٥ ـ أين وعي هذا الكبير وشغفه المثير بأسرته ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ من تلك الأسـر التي لم يسعها أن تتفقّد صلاة أبنائها، فضلاً أن تذكّر بإرثها بعد الرحيل.

٣٦ ـ من لوازم نجاحك أن تتركَ من يثري فكرتك ومشـروعك ورسالتك بعد رحيلك ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

٣٧ ـ كتابة الوصية ضرورةٌ يتوقَّف عليها فكاك ذمَّة صاحبها من ديون الآخرين ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ وإذا كانت هذه الوصية هي دين الله تعالى، فكلّ وصيةٍ تتعلّق بحفظ الحقوق هي دين ينبغي العناية بها.

٣٨ ـ التوحيد أعظم أولويات الدعوة، وأهمُّها وأكثرها إلحاحاً على الإطلاق ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ لا أعني كلمة لا إله إلّا الله المجرَّدة من مضامينها، وإنما أعني تعلّق القلوب بالله تعالى، والتوجّه إليه، وصدق الإقبال عليه، والزهد في كل ما في أيدي المخلوقين.

٣٩ ـ العقيدة هي التركة الكبرى التي تحتاج إلى وصيةٍ وعقدِ ميراثٍ في النهايات ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾.

٤٠ ـ للعلم أدبٌ وسلوكٌ يأتي بأجمل الأجوبة وأعذب الردود ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ عدلوا عن الجواب بقولهم نعبد الله إلى الثناء عليه وعلى آلائه بأعظم وأجلّ الثناء، ووعدوه في النهاية بأمتع مشاهد الختام ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

٤١ ـ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ مجد الأمة وتراثُها وسابقُ عزِّها لا يغني الأمة اليومَ في شيءٍ

إلَّا إذا كان طريقاً لشحذ همم السامعين، ودفعهم إلى ميادين العزِّ والشرف والتمكين.

إنّ الفَتَى مَنْ يقولُ هَا أَنَذا   لَيْسَ الفَتَى مَنْ يقولُ كانَ أَبِيْ

٤٢ ـ الانشغال بالآخرين ضياعٌ لأولويات الإنسان ووقته، ومقدراته الكبرى ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾.

٤٣ ـ العمل على دوائر التأثير، والانشغال بساحات البناء المؤثرة، أكمل وأعظم من الضياع في ساحات الآخرين ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾.

٤٤ ـ من علوِّك ومجدك وعزِّك وكبرياء ذاتك أن تنزِّه لسانك عن أحداثٍ لم تخضها بخيلك ورَجِلِك ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ والوصية لكل من يصنفون الناس، ويفسّقونهم، ويبدِّعونهم أن يعرفوا أولاً شيئاً من تاريخهم الشخصي، فضلاً عن هذا التصنيف والتبديع والتفسيق.

❀ ❀ ❀

وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ
حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ
إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن
رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ
ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى
شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾
صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ
﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا
وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ
إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ
كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا
تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

التفسير

• ﴿وَقَالُوا۟﴾ اليهود والنصارى للمسلمين ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ تَصِلُون للحق ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ هي التي تهدي إلى الحق ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ ما كان إبراهيم مشركاً بالله تعالى.

• ﴿قُولُوٓا۟﴾ أيها المسلمون ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ من الكتب ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ وما أنزل على أولاد يعقوب وكل سبط قبيلة ﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ﴾ من التوراة ﴿وَعِيسَىٰ﴾ من الإنجيل ﴿وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ بل نؤمن بهم جميعاً ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ مذعنون مستسلمون.

• ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟﴾ أهل الكتاب ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ إلى الحق ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ خلافٍ وعنادٍ وعداوة ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي سيردُّ كيدهم، ويبطل تدبيرهم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ بأفعالهم وأحوالهم.

• ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ دينه، وإنما سمي صبغةً لظهور أثره على العامل به ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ لا أحد أحسنَ من الله تعالى ديناً ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ أي قائمون بأمره متذلّلون له.

• ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾ أتجادلوننا في دينه ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ لا فرق في ربوبيته علينا ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ عملاً وثواباً وجزاءً ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ في عبادته.

• ﴿ أَمْ تَقُولُونَ ﴾ يا أهل الكتاب ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ على دينكم ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ﴾ بهم ﴿أَمِ ٱللَّهُ﴾ أعلم بذلك ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ لا أحدَ أظلم ﴿مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ من هؤلاء اليهود والنصارى ينسبون الأنبياء لليهودية والنصرانية افتراءً وزوراً ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ بل هو عالمٌ بعملهم محيطٌ بما يصنعون.

• ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ ﴾ إبراهيم ويعقوب وأبناؤهما ﴿قَدْ خَلَتْ ﴾ مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾ من العمل ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾ ولا تُسألون عن أعمالهم يوم القيامة.

١ ـ ما كلُّ مدعٍ قولاً صاحبُ حق ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ وكم مِنْ قائلٍ قولاً يحتاج إلى براهين!

٢ ـ دين الله تعالى واحد، وإن اختلفت شرائعه، كما قال النبي ﷺ: **«الأنبياءُ أولادُ عَلَّاتٍ، أمَّهاتهم شتَّى، ودينهم واحد»**[1] ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾.

٣ ـ المتابعة لدين الله تعالى موجبةٌ للهداية ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ وقدر الهداية موقوفٌ على قدر الاتباع.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٢) ومسلم (٢٣٦٥/١٤٥).

٤ ـ الانحراف عن دين الله تعالى سببٌ في الشقاء والحرمان ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ وكل ما تراه في واقع الأمة اليوم هو جزء من هذا المعنى الخطير.

٥ ـ مهما بلغ جهد عدوّك، فهو مدفوعٌ بكفاية الله تعالى ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

٦ ـ كفايتك من وعد الله تعالى موقوفةٌ على كمال هدايتك ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

٧ ـ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وعدٌ لــكلّ الدعاة، والمصلحين، وحملة الرايات، بأن يمضوا في الطريق غير مبالين بما يصنع العدو في الطريق.

٨ ـ الاعتزاز بدين الله تعالـــى، ومفاصلة العدو ضرورةٌ يجب أن تأخذَ حظَّها من قلبك ومشاعرك ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾.

٩ ـ جزء من مشكلاتنا هي الهدنة التي يبرمها بعض أصحاب الحق مع الضالين على حساب قيم الدين ومبادئه ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾.

١٠ ـ الكذب وتزييف الحقائق، والعبــث بالقوانين جزءٌ من أخلاق اليهود ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ فإيّاك وطريقَ الضالين!

١١ ـ بطلان الدعوة إلى وحدة الأديان ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ إمّا إيمان بالإسلام وكفر بالطاغوت، أو ضلال وانحراف! لا طريق ثالث بينهما.

❀ ❀ ❀

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟
عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟
شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا
جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ
مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ
هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا
يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا
تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ
بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ
ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

• ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ من اليهود والمنافقين ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ ما صرف المسلمين ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ بيت المقدس ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ ملكاً وتدبيراً؛ فله أن يأمرَ بالتوجّه إلى حيث شاء من ملكه ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ من عباده ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ طريق واضح لا اعوجاج فيه.

• ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ خياراً عدولاً ﴿لِّتَكُونُوا۟﴾ يوم القيامة ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ تشهدون للأنبياء على أممهم أنهم بلَّغوا ما أمرهم الله تعالى بإبلاغه، وإنما شهدوا ـ وهم لم يروا ـ لأنهم سمعوا ممَّن لا ينطق عن الهوى ﷺ بكلِّ ما جرى ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ يشهد أنه بلَّغكم شرع الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ بيت المقدس ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ فيما يأمره به ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ فيعرض، ويستكبر عن ذلك ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ تحويل القبلة ﴿لَكَبِيرَةً﴾ عظيمة شاقَّة صعبة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ الذين وفقهم وهداهم، ويسَّر لهم ذلك ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ صلاتكم إلى بيت المقدس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ واسع الرحمة بعباده المؤمنين.

• ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ يا رسول الله ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ شوقاً إلى تحويل القبلة إلى الكعبة ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ لنوجِّهنّك ﴿قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ تحبُّها وتريدها وترضاها ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ اتجه في صلاتك إلى الكعبة ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ في أي مكان ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ جهته ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ من اليهود والنصارى ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن

رَّبِّهِمْ ﴾ التحويل إلى الكعبة ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤)﴾ بل هو عالمٌ محيطٌ بكلّ أفعالهم.

• ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ﴾ يا رسول الله ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ من اليهود والنصارى ﴿بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ حجّةٍ ودليلٍ على صدق ما جئت به ﴿مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ﴾ ما اتبعوك ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ كذلك ﴿وَمَا بَعْضُهُم ﴾ اليهود والنصارى ﴿بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ فلكلِّ فريقٍ قبلةٌ لا يوافق الآخر عليها ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾ رغباتهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ البيّن الواضح ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٤٥)﴾ المعتدين على حقّ الله تعالى المنقصين له.

التدبر

١ ـ الاعتراض على أحكام هذه الشريعة من أخلاق اليهود والمنافقين ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٤٢)﴾ ومن ذلك ما يتطاول به كثيرون في زماننا على نصوص الشريعة تضعيفاً وتوهيناً، وهم لا علم لهم بها في شيء.

٢ ـ لله تعالى في شريعته حِكَمٌ وأسرارٌ وغاياتٌ تتقاصر عنها عقول الخلق ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٤٢)﴾ ومن كمال وعيك أن تعرف قدرك أمام شريعة الله، وتُسلّم لكلّ أحكامها.

٣ ـ من سوء الأدب الاعتراض على شيءٍ من شريعة الله تعالى ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٤٢)﴾.

٤ ـ من أكبر المشكلات التي تواجه المسلمين اليوم في عباداتهم عدم إدراك المقاصد الكبرى، والاكتفاء بصورة العبادة الظاهرة من ذلك ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾﴾ تأمل في الأركان الأربعة: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وانظر لفوات مقاصدها الكبار من حياة المسلمين!

٥ ـ يبتليك الله تعالى ليخلّص قلبك من التوجُّه إلى غيره ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾﴾ لقد كانت العرب تعظّم شأن الكعبة لدرجةٍ كبيرةٍ جداً، فأراد الله تعالى بتحويل القبلة إلى بيت المقدس تخليص قلوب المؤمنين من تعظيم العادات إلى تعظيمه وحده تعالى؛ فلما أسلمت قيادها لذلك أعادها إليه من جديد.

٦ ـ من خصائص الجماعة المسلمة التميّز عمّن حولها ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾﴾ وإنما شرعت العودة للمسجد الحرام لتحريرِ الجماعة المسلمة من مشابهةِ غيرها من الطوائف الأخرى، وهذا التميّز عامٌّ يجري في كلِّ شيء.

٧ ـ العدو يدير معركة المفاهيم بذكاء ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ﴾ ألا تراه عبّر بقوله ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ ولم يقل عن القبلة ليثير حفيظتهم، ويغيرَ من الفُرَجِ في مساحات النقاش.

٨ ـ المناظرة فنٌّ يجب أن يقوم بها من يتقن شأنها، ويحسن إدارتها ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ﴾ فقولهم: ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي

كَانُواْ عَلَيْهَا ﴾ نوع من فنِّ المناظرة، وكم من مناظرٍ كسب معركة وأطاح فيها بالخصوم! وكم من مناظرٍ فتح جبهات تسلَّلَ منها العدو مراراً!

٩ ـ الهداية للحق منّة من الله تعالى على عبده، وإذا رزقك الله تعالى إقبالاً على فضيلة؛ فتلك بعض مواهب الرحمن عليك، فإياك أن تبرحَ مواطن الحمد والشكر ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

١٠ ـ الانصراف عن الحق خذلان ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ لو هداه لدلَّه، ولكن صرفه لخذلانه.

١١ ـ منّة الله تعالى على هذه الأمة بأن جعلها وسطاً خياراً في كل شيء ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ والأمة بأفرادها، وعلى كلّ فردٍ أن يفقه دوره، وما أراد الله تعالى منه، حتى تبلغ الأمة درجة الخيرية التي نُعتت بها ومن أجلها.

١٢ ـ شرف هذه الأمة بأن جعلها الله تعالى شاهدة للرسل يوم القيامة على إبلاغ أممهم ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ ومن كمال هذا المعنى أن يستشعر كلّ فردٍ تكريم الله تعالى، وأن يقومَ بواجبه كما أراد.

١٣ ـ من الحرمان أن يجعلك الله تعالى شاهداً لرسله على إبلاغ رسالته، ومضيعاً في الوقت نفسه لرسالة أعظم هؤلاء الرسل وأكثرهم مقاماً ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾.

١٤ ـ من مقاصد هذه الشريعة اختبار وابتلاء الخلق، لمعرفة المقبل منهم على شريعة الله تعالى والمعرض عنها ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾.

١٥ ـ شريعة الله تعالى، وما فيها من أحكامٍ وغاياتٍ ومقاصدَ لا تخضع لأهواء الخلق وآرائهم، لتحكيمها والرضا بها، بل يجب التسليم بكل ما فيها، مهما

تقاصر العقل عن فهمها والاقتناع بها ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾.

١٦ - الحضارة الحقيقية وموازين التقدم في تمثّل الإسلام والقيام بشرائعه، وليس في التخلّف عن ذلك ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ ألا ترى أنّ الله تعالى سمَّى التخلّف عن تمثّل هذه الشريعة نكوصاً على العقبين!

١٧ - إذا أَلِفَ الإنسانُ شيئاً صَعُبَ الانتقال عنه إلّا لوازع دينٍ أو كمال عقلٍ ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾.

١٨ - من هداية الله تعالى لعبده أن يرزقه الرضا والتسليم بأحكام هذه الشريعة، وما فيها من أسرار وحكم ومقاصد ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾، وأسأل الله تعالى أن يجعلني وإياكم ممَّن عناهم الله تعالى بقوله ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾.

١٩ - من وهبه الله تعالى جدلاً في أحكامه وأسرار شريعته، فقد باء بنصيب من خذلان الله تعالى له ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ لو هداه الله تعالى لرزقه كمال الاستسلام!

٢٠ - لا يضيع الله تعالى عملاً في سبيله، مهما كان قدره وحجمه، وفضل الله تعالى أوسع ما يكون ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ وكم من عملٍ لم يكن في حسبان إنسان جاء يوم الحساب بالأفراح، حتى صاحب الهمّ مأجورٌ على همِّه، ومكتوبٌ له به حسنات.

٢١ - حتى الشوكة تشاكها تجري في هذا المعنى الكبير ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ فكيف بالعمل والجهاد في سبيل الله تعالى، واستفراغ الطاقات الممكنة لرفعة دين الله تعالى ونصره؟!

٢٢ ـ لا يهلك على الله تعالى إلّا هالك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ومَنْ قرأ نصوص هذه الشريعة بإمعانٍ أدرك لطف الله تعالى ورحمته بهذا الإنسان. ومِنْ رحمته أن مدَّ في عمرك حتى هذه اللحظة، ورزقك الإقبال على قراءة كتابه، وعلَّمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله تعالى عليك عظيماً.

٢٣ ـ إذا أحبك الله تعالى تحقَّق لك كلُّ شيء ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ كان تحويل القبلة إلى الكعبة مراد نبيه ﷺ وأمنيته، وجاء الله تعالى بها كما يريد، وليس بين الله تعالى وبين نبيِّه ﷺ إلّا الإيمان والعمل الصالح.

٢٤ ـ الاجتماع ووحدة الأمة وتكاتفها مظهرٌ من مظاهر الشريعة، ولوحةٌ من معالم جمالها ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ ومن أعطى هذا المشهد حقَّه من التأمُّل أدرك كم هي حاجة الأمة لفقه معانيها الكبرى!!

٢٥ ـ التعصّب للباطل، والمجادلة من أجله، والركون إليه، والمدافعة في سبيله من أخلاق اليهود ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾.

٢٦ ـ الاعتزاز بدينك وهويَّتك شرفٌ وعزٌّ ورفعةٌ تُدك دونه الصعاب ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾ إذا كان هؤلاء اليهود ـ وهم على باطل ـ يصل بهم هذا المعنى إلى هذا الحدّ، الذي لو جئتهم بكل آية ما اتبعوك؛ فكيف بصاحب الحق والشرف الكبير!

٢٧ ـ لا يمكن للحقِّ أن يتسوّل الباطل، مهما كانت المصالح المتوقَّعة في ذلك ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾.

٢٨ ـ للعلم تكاليف ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ذلك أن وصف الظلم لمتابعهم هنا مشروطٌ بالعلم، فدلَّ على أنَّ الجهلَ غير المقدور على رفعه يرفعُ عن صاحبه التبعات.

٢٩ ـ الانحراف الناتج عن علم أسـوأ وأقبح من الانحـراف الناتج عن جهل ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

❀ ❀ ❀

ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا
مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ
ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ
ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ
﴿١٤٩﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ
مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ
حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ
نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ
رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ
ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾
فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

التفسير

• ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ من اليهود والنصارى ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ يعرفون رسول الله ﷺ ﴿كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ تماماً، لا فرق ﴿وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ﴾ جماعة من اليهود ﴿لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ نبوّة محمد ﷺ ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾ أن نبوته حقٌّ لا يشكّون في ذلك.

• ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي إنّ الحق هو ما يخبر به ربك تعالى ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧﴾ من الشاكّين.

• ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ﴾ أي لكلِّ أهل دين وملة وجهةٌ يتوجهون إليها في عبادتهم ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ متّجه إليها، والقبلة التي أمر بالتوجه إليها ليست بدعاً من الفعل، والمقصد امتثال الأمر في كل الأمم أن لها قبلةً ووجهةً يتوجهون إليها، وإنما الشأن في امتثال الأمر، ورعاية حق الله تعالى ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ بادروا إليها واغتنموها ﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ يجمعكم يوم القيامة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨﴾ لا يعجزه شيء.

• ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ﴾ إلى أي جهة ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ توجّه إليه في الصلاة ﴿وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي التوجه للمسجد الحرام ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٩﴾ بل هو عالمٌ محيطٌ بكلِّ أفعالكم.

• ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ﴾ إلى أي جهة ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ إلى جهته ﴿وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ﴾ في أي مكان ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ إلى جهته ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ﴾ لأن النبي ﷺ لو بقي مستقبلاً بيت المقدس لكان لأهل الكتاب عليه حجة؛ لأنهم يجدون في كتابهم أن قبلته ﷺ هي الكعبة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ كمشركي العرب؛ فهؤلاء

لا سبيل لإقناعهم؛ لأنهم سيقولون: إنّ محمداً تحيّر في أمر دينه، وما توجه لقبلتنا إلّا لأنّنا أهدى منه ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ لا تخافوا قولهم وطعنهم ﴿وَٱخْشَوْنِي﴾ خافوني واتبعوا أمري ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ باستقبال الكعبة، فإن هذا نوع من النعيم الذي كان ينتظره النبي ﷺ، وقد تحقق له ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ إلى الحق.

• ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ فنعمة استقبال الكعبة ليست بأول نعمة، بل أنعمنا عليكم قبلها برسول الله ﷺ ﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يطهّر أخلاقكم ونفوسكم ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ السُّنّة ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ من قبل.

• ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ﴾ بقلوبكم وألسنتكم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالثناء والحفظ والجزاء ﴿وَٱشْكُرُواْ لِي﴾ نعمي التي أنعمت بها عليكم ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ لا تجحدوا هذه النعم التي أسديتها إليكم.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ على شؤونكم؛ فإنّها عونٌ لكم على كل خير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ يعينهم ويسدِّدهم ويوفِّقهم.

١ ـ الحسد وكتمان الحق ميراث اليهود ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ وكل من تلبَّس بشيءٍ من ذلك فله من ميراثهم نصيب.

٢ ـ الواجب على الدعاة والمصلحين الانشغال بالطاعة، وترك جدال الخصوم ومصاولة المناوئين، إلّا فيما تتطلّبه الضرورة ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ فالحق بيّن واضح لا يحتاج إلى مراء المجالدين، إلَّا فيما تقضي به ضرورة الزمان والمكان.

٣ ـ عدم الانشغال بالخلاف ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ فلا تنشغلوا بالحديث فيها والنزاع حولها؛ فلكل أمة من الأمم قبلتهم التي يتوجهون إليها، فالمسألة أوسع من هذا الخلاف والمراء العارض.

٤ ـ ضرورة إدارة الأولويات ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ كأنه يقول: لا عليكم من الخلاف في الجهة التي تستقبلونها، بادروا أولوياتكم، وانتبهوا لها، واحرصوا على بلوغ مقاصدها.

٥ ـ ميدان الشرف والعز ومساحات الفوز والنصر هي في المسابقة للخيرات، والاجتهاد فيها قدر وسع الإنسان وطاقته ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾، ومن عرف قدر ما ينتظره بذل أوسع ما يكون.

٦ ـ من كمال عقل الإنسان أن يبادر للخيرات في أول وقتها، ويأتي إليها في بداية مشاهدها ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ وكم من نادم بعد الفوات!

٧ ـ ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ لا تفرطوا فيها أو تأتوا إليها متأخرين، أو تتثاقل خطاكم في الطريق إليها.

٨ ـ ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ معنى يخاصم المتأخر عن كل صلاة، ويوم الجمعة، وعند فضائل الأعمال.

٩ ـ دين الله تعالى يسر ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ فاستقبال القبلة يكفي فيه استقبال الجهة فحسب.

١٠ ـ رسالة إلى أن الانشغال بالأولويات والقضايا الكبرى أهم وأوعب في تحقيق مقاصد الدين من الخلاف على بعض الفروع ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾.

١١ ـ الحق البيّن الواضح لا يحتاج إلى جدال خصومه ونزاعهم في إثباته ﴿وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ يكفيه أنه حق!

١٢ ـ ضرورة القدوة وأثرها في مدِّ مساحة الدين ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ لو لم يستقبل النبي ﷺ ومن معه الكعبة، لكان ذلك مدخلاً لليهود، لأنهم يجدون ذلك في كتابهم، ولا يقومون به كما أمرهم الله تعالى.

١٣ ـ إذا أردت أن توصل رسالة، أو تؤكّد على مفهوم، أو تعزّز قيمةً فكرّره حتى تفقهه النفوس، وتعرف قيمته وقدره ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ وقد كرّر الله تعالى هذا الأمر لمثل هذا المعنى.

١٤ ـ حاجة الأمة إلى راية وقبلة ينضوون تحتها ويتوجهون إليها ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ لما في ذلك من أثر في جمع الكلمة وتوحيد الصف.

١٥ ـ ضرورة الوحدة الشعورية ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ وهذا التأكيد على استقبال القبلة هو دعوة إلى هذا المعنى الذي تجتمع به كلمة الأمة.

١٦ ـ التذكير بالغايات ضرورة لتحقيق مقاصدها الكبرى ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ وإلّا صارت هذه الغايات عرضة للنسيان والضياع.

١٧ ـ التأكيد على الهوية يعين على بلوغ الغايات ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾.

١٨ ـ تكميم أفواه الأعداء والمتربصين بالدين خط دفاع أمام شهواتهم وأهوائهم ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾.

١٩ ـ من أخطر الفجوات في دين الله تعالى الفجوات الفاصلة بين مساحة الشريعة المعرفية وعمل الحاملين لها في أرض الواقع ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ وكم كانت هذه المساحة دافعةً لكثيرين لاعتناق هذا الدين! وكم هي في المقابل موصدةٌ لكثيرٍ من أمانيه!

٢٠ ـ القدوة إذا أخذت حظَّها من أرض الواقع، فلا عبرة بالمعرضين والشامتين ومختلقي الأعذار بعد ذلك ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ فالظالم لا تردعه الحجج مهما كانت قويّة.

٢١ ـ مِنْ أصحاب الباطل مَنْ لا سبيل لإقناعه، فالاستمرار معه في ساحات الجدل والمراء ضياع للأولويات وشتات للمفاهيم ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾.

٢٢ ـ الواجب على حامل الحق أن يمضي في تحقيق رسالته، وألَّا ينشغل بالمعارضين، مهما كانت عقبات الطريق وتكاليفه ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾.

٢٣ ـ مهمة الكبار وحملة الرايات بيان الحق، دون النظر إلى ما يلحقهم بعد ذلك ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾.

٢٤ ـ إنّ الله تعالى ناصرٌ دينه، ومبلِّغٌ رسالته، وكافلٌ لشريعته ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾ فلا تنشغل بالخوف على مستقبل هذا الدين، وقد تكفّل الله تعالى له بالنصر والتمام.

٢٥ ـ النعم الدينية أمتع النعم في حياة صاحبها ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ومهما بلغت نعم الإنسان العاجلة، إذا لم تكن لها علاقة بهذا المعنى، فلا قيمة لها في واقع صاحبها.

٢٦ ـ الهداية للطريق والاستقامة على الحق أعظم النعم، وأكثرها ألقاً في حياة صاحبها ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

٢٧ ـ مِنَّةُ الله تعالى علينا برسولنا ﷺ فوق كل مِنَّةٍ ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ وعلى الأمة أن تقرأ هذه المِنَّةَ بوعيٍ وفقه.

٢٨ ـ مهمّة الرسل تعليم الناس دين الله تعالى، وتزكيتهم بهذا الدين ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ وهي مهمة الدعاة والمصلحين وأصحاب المشاريع إلى يوم القيامة، وعظمة كل برنامج أو مشروع أو طريق بقدر تحقيقه لهذه الغايات.

٢٩ ـ الانشغال بالوحي في تعليم الناس وتربيتهم وتزكيتهم هو الأصل في البناء ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾.

٣٠ ـ كلّ ما جاءت به الشريعة من أحكام وآداب هو أصل حضارة الإنسان وجمالها وأناقتها ﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ وإذا كانت تزكيةٌ فكلّ ما خالفها ظلامٌ لا قيمة له.

٣١ ـ القدوة القريبة أكثر أثراً من غيرها في حياة الناس ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ ولولا ذلك لما كانت الإشارة إلى نعمة الله تعالى على هذه الأمة برسول منهم.

٣٢ ـ كلّما كان الداعية أقربَ إلى الناس، وأعرفَ بواقعهم، وأدرى بحاجتهم، فهو أولى من غيره ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ ﴾ وقد جاء بعض الدعاة إلى قوم، فضربَ أمثلةً يعيبها الحاضرون ـ وهي في الأصل ليس بعيبٍ ـ فكرهوه، وامتعضوا من حديثه، ولم يقبلوا منه بعد ذلك شيئاً.

٣٣ ـ تعليم الناس، ومحاربة الجهل، وإزاحة ظلامه مسؤولية الكبار ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾.

٣٤ ـ الأصل في الإنسان النقص، وتمامه يأتي من خلال شريعة الله تعالى ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾.

٣٥ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ ﴾ ومن وعى هذا الجزاء، وتلك المقابلة، أدرك جمال هذا المعنى قبل الفوات.

٣٦ ـ الصبر والصلاة أعظم الأعوان على تحقيق مراد الإنسان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ ﴾.

❀ ❀ ❀

وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا
تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ
مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ
إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ
﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ
ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا
فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ
ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ
أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟
وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ
لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا
يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

التفسير

• ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهو الذي قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ﴿أَمْوَٰتٌۢ﴾ موتاً مطلقاً كما يموت غيرهم ﴿بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَآءٌ﴾ حياة خاصة ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ بتلك الحياة؛ لأنها حياة برزخية لا تُعلم كيفيتها.

• ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ نختبركم ﴿بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ العام أو الخاص الذي لا تهنؤون معه براحة ولا استقرار ﴿وَٱلْجُوعِ﴾ الذي يصيب أبدانكم ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ قلّة فيها، حتى لا تجدون ما تسدّون به جوعكم ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ بالموت والقتل ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بهلاكها أو قلة مواردها ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ على احتسابهم كل ذلك من أجل الله تعالى.

• ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ في أنفسهم أو أموالهم ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ ذكروا الله تعالى واسترجعوا.

• ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ من كان كذلك منهم ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ ثناء على حالهم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ تعمُّهم ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ إلى طريق الحق.

• ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ من أعلام دينه الظاهرة ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ لا إثم عليه دفعاً لوهم من توهم من المسلمين من منع الطواف بينهما لأن الأصنام كانت تُعبد عندهما ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ يسعى بينهما في الحج والعمرة ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فعل طاعة مخلصاً بها لله تعالى؛ من حج، وعمرة، وصلاة، وذكر، وطواف ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾ له على تطوعه، ومثيب له على ذلك ﴿عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ بمن يستحق الثواب.

• ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ الدالة على الحق ﴿وَٱلۡهُدَىٰ ﴾ العلم الذي تحصل به الهداية ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ ﴾ وضَّحناه وفصَّلناه ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ المنزل من الله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ المتَّصفون بهذه الصفات ﴿يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ يبعدهم ويطردهم من رحمته تعالى ﴿وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ ﴾ من الملائكة والمؤمنين.

• ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ بعد فعلهم توبة صادقة ﴿وَأَصۡلَحُواْ ﴾ ما أفسدوه ﴿وَبَيَّنُواْ ﴾ ما كتموه من العلم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أتجاوز عن سيئاتهم ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ﴾ كثير التوبة للمخطئين التائبين ﴿ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ ﴾ بالمؤمنين.

• ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ ﴾ استوجبوا طردهم من رحمته ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ ﴾ وتلحقهم كذلك لعنة الملائكة ولعنة الناس جميعاً.

• ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ في النار ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢ ﴾ ولا يمهلون.

• ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ وحده لا شريك له ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣ ﴾ الذي وسعت رحمته كلَّ شيء.

١ ـ الاستقامة على دين الله تعالى أعظم مباهج الحياة ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ١٥٤ ﴾ لا تنتهي رحلة المتع بوداع الدنيا، وإنما يبدأ معناها الكبير من ذلك الوداع.

٢ ـ شرف الجهاد وكبير منزلته ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ يرحل جسده من الدنيا، وتبدأ رحلة روحه ومشاعره من تلك اللحظات.

٣ ـ الغيبيات لا مدخل لعقل الإنسان فيها ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ يكفي فيها الإيمان والإذعان والتسليم، والسائل (بكيف؟) يحتاج إلى رقية بآية الكرسي!

٤ ـ فضل الجهاد مرهون بغاياته ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ ولذا أشار إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

٥ ـ النهايات صناعة يملكها الإنسان، ويثير معانيها كيفما أراد ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ وإن كان قدر النهاية بيد الله تعالى، لكن الإنسان صناعة طريق البدايات.

٦ ـ نتائج الإنسان في الآخرة على قدر جهده وتعبه ومعاناته في الدنيا ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾.

٧ ـ إذا مات الإنسان قامت قيامته ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾.

٨ ـ الحياة الكبرى ليست هذه التي يجري في فلكها الإنسان، بل حياة الدار الآخرة ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾.

٩ ـ الابتلاء سنّة جارية على الأفراد والجماعات والأمم ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ وكل ما أصابك إنما هو بقضاء الله تعالى وقدره. فإياك وجزع الخاسرين!

١٠ ـ للابتلاء غايات ومقاصد كبرى ينبغي ألا تفوت المسلم ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ لولا ذلك لما كانت هذه البشارة للصابرين.

١١ ـ من سمات المربي التذكير بغايات ونهايات الطريق الذي يربي عليه ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ فذلك أسهل وأعون على بلوغ مَنْ معه نهايات الطريق.

١٢ ـ في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ سلوى لكل مصاب ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ ومن تأمل هذه البشارة وعوائدها عليه أدرك ما في الوحي من خيرات.

١٣ ـ للأذكار والأدعية معاني شعورية وجدانية، فإذا لقيتْ وعياً كافياً، تمكّنتْ من قلب صاحبها ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ وفي قوله: ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ دليل على ما تبعثه هذه المعاني من آثار في قلوب أصحابها. فرقٌ بين إنسان يردّدها ككلمة قيلت له، وآخر يستمتع بقراءتها، ويعلم يقيناً أن نفسه وما تملك، ليس لها سوى الله تعالى!

١٤ ـ أعظم ما لاذ به الإنسان في محنه وبلواه الصبر ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

١٥ ـ آثار الصبر كبيرة على صاحبها في الدارين ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ تخفف بلواه في الدنيا، وتبلغه أمانيه في الآخرة.

١٦ ـ ما أصابك من موت ولــدك أو قريبك، أو ذهاب مالــك، فذلك كله بقدر وقضاء، فلا تلومَنَّ فائتاً بذلك القضاء ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾.

١٧ ـ إذا دهمتك المصائب فتعلّق بربك، واذكر مردّك إليه في النهايات ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾.

١٨ ـ في هذا الدعاء من نفي الحول والقوة وحسن الظن بالله تعالى ما فيه ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ فالآية لا تَعْدِلُهَا دواوين تُقرأ من أجل ثبات العقيدة.

١٩ ـ عوائد الصبر واللجوء إلى الله تعالى أجلُّ ما تكون ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ يصابــون ويصبرون، فيثني الله تعالى عليهم في ملئه الأعلى، وتنزل عليهم رحمته، ويعمهم هداه. ما أكثر عوائد اليقين والصبر على المصابين والمبتلين!

٢٠ ـ الهدايـة أن تفعـل في سائر أحوالك ما أراد الله تعالى منك ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ إنما كانوا مهتدين لأنهم فوّضوا أمرهم إلى الله تعالى في كل شيء.

٢١ ـ إزاحة الجهل، ودفع الشُّبَهِ، ومصاولة الباطل: فريضة من فرائض العلم ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ دفعاً لوهم من تَحرَّجَ من الطواف بهما للأصنام التي كانت تعبد عندها آنذاك.

٢٢ ـ الحج والعمرة موجبان لتوفيق الله تعالى وهدايته ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

٢٣ ـ إنّ الله تعالى يحبُّ الطاعة، ويثني على صاحبها، ويقابله بالجزاء عليها ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

٢٤ ـ لعلم الشريعة شأن ليس لغيره من العلوم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ ألا تراه أوجب على كاتمه اللعنة، والعياذ بالله تعالى!

٢٥ ـ واجب العلماء البلاغ، وبيان الحق، والقيام بشأن العلم في كل شيء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ والمتخلّف عن واجب البلاغ متوعَّدٌ بأسوأ النهايات.

٢٦ ـ من الجنايات الكبرى جناية العالم الكاتم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ لولا ذلك لما شرع الله تعالى له التوبة من جنايته.

٢٧ ـ التوبة التي لا تقتضي ندم صاحبها، وإقلاعه عن ذنبه، ومبادرته لإصلاح واقعه لا قيمة لها ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ ومن لازمِ توبة العالم أن يتوب من قعوده عن واجبه، ويتحرك في الأرض بمفاهيم الوحي، ويخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الطاعة واليقين.

٢٨ ـ لا يُحْكَمُ على إنسان قبل موته بشيء، مهما كانت معصيته ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ لأن الله تعالى شرط في وقوع ذلك الجزاء عليهم الموت.

٢٩ ـ توجّه بقلبك إلى ربّك، فهو الذي ينفع ويضـرّ، ويعطي ويمنع، وما عداه لا شـيء ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ فهو إله واحد لا شريك له في خلقه وملكه وتدبيره.

٣٠ ـ من صفا له التوحيد فقد تحقَّق له كلُّ شيء ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ وكلّ المخالفات التي يقع فيها الإنسان، إنما أصلها ضعف صلته بربّه ﷻ، ووهن هذا الرابط بين الإنسان وربّه تعالى.

❀ ❀ ❀

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ
دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ
مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ
حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ
جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ
ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ
كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ
مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا
وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا
يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

التفسير

• ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ تعاقبهما ﴿وَٱلْفُلْكِ﴾ السفن ﴿ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من الأرزاق والبضائع ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾ غيث ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وحياتها بالزرع والثمر والشجر ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ نشر فيها ﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ ممَّا يدبُّ على الأرض ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ تقليبها وتوجيهها ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾ المذلل ﴿بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ﴾ دلائل وعلامات ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ يدركون حكمة الله تعالى.

• ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ آلهة ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ كحبّ المؤمنين لله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ حبهم لله تعالى أشدُّ من حبِّ الكفار لآلهتهم ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ باتخاذهم الآلهة ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ يوم القيامة ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ لعلموا أنّ القوة والقدرة يوم القيامة لله تعالى وحده ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ للمخالفين.

• ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ تبرأ السادة والكبراء ممَّن تبعهم من الضعفاء ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ يوم القيامة رأي عين ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ الصلاتُ والعلاقات التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا.

• ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ أي الضعفاء والبسطاء ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ من السادة والكبراء ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾ أول مرة

﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ السيئة ﴿حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾ تتقطع قلوبهم أسفاً وندماً ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ يوم القيامة.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ ممّا أحلَّ الله تعالى لكم من الطيبات ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ طرقه التي يأمركم بها ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الشيطان ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ واضح العداوة.

• ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ بكل منكر وقبيح ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ ما تناهى قبحه وفحشه ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ١٦٩﴾ كذباً لا علم لكم به.

١ ـ التفكر في آيات الله تعالى الكونية من أعظم ما يدل الإنسان على ربه تعالى ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾ وإذا أردت أن تتعـرّف إلى ربك فأمعن النظر في هذه الدلائل ترى كل شيء.

٢ ـ من كمال عقلك أن تهبَ من وقتك وفكرك للتأمل في هذه الدلائل والآيات التي تُعرّف بالله تعالى، وتدل عليه ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

٣ ـ في القلب حاجة إن لم تُسـدَّ بما يشـبعها من الحق تاقت لغيره ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ لا يمكن أن تبقى فارغة، إن لم تشبع بالوحي، وإلّا تدنّست بالأهواء والشهوات.

٤ ـ من أَجَلِّ علامات الإيمان بالله تعالى هذا الحبّ المثمر في قلوب المؤمنين ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ ومن علامات هذا المعنى أن يكون الله تعالى عندك هو كل شيء أمراً ونهياً وتعظيماً.

٥ ـ هل أنت من جملة هؤلاء الذين عناهم الله تعالى بهذا الوصف ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾! إن كنت كذلك فيا لأرباحك في الدارين!

٦ ـ إذا أردت أن تعرف حظوظك من هذا المعنى، فتأمل مواقفك من الوحي ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.

٧ ـ كم من متحسّرٍ بعد الفوات! ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ هذا المعنى مبسوطٌ في كتاب الله تعالى إلى أبعد مدى، ولكنها الغفلة.

٨ ـ نافذة على مشهد من مشاهد الحسرات بين الأتباع والمتبوعين ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ المتبوعون يتبرؤون من الأتباع، والأتباع يودّون أن لو عادت الأيام إلى الوراء لينتقموا من كبرائهم.

٩ ـ الحرية لا تقدّر بثمن ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ أعتقهم الله تعالى من نفوذ البشر فأبوا إلّا أن يكونوا أتباعاً للضلالات.

١٠ ـ توحيد الله تعالى تخليص لصاحبه من أغلال العبودية للبشر، ونفوذ المستبدين ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ

يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ ما أكثر الأدلة التي رآها هؤلاء على صدق هذا المعنى، فأبوا إلَّا الوقوع في أسر المخلوقين.

١١ ـ يُسْرُ الشريعة وجمالها وسعتها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ وهذه الآية أصل في تقرير القاعدة الكبرى: أن الأصل في الأشياء الإباحة.

١٢ ـ لكلِّ شيءٍ حمى ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ فالشيطان لا يدفع بك من أول وهلة، وإنما يسلك بك في فجاج الحمى خطوات ثم يرديك.

١٣ ـ ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ تأصيل للقاعدة النبوية: «**ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه**»(١).

١٤ ـ من كمال عقلك وتوفيقك أن تدع ما يَريبك إلى ما لا يَريبك(٢) ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ أكثر المتأسفين على النهايات هم أولئك الذين تساهلوا في خطوات البداية.

١٥ ـ ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ فكبيرة الزنى كانت من النظر، وموبقة القتل كانت من موقف إشكال في عرض الطريق، وتعاطي المخدرات كانت من لقاءات الجُلّاس والسُمَّار وحب الاستمتاع.

كلُّ الحوادثِ مبدأُها من النظرِ ومُعظَمُ النارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

١٦ ـ تمويه الشريعة، وضياع أحكامها، وتلبيس قضاياها، جزء من المعركة التي يديرها الشيطان على أيدي أوليائه وتابعيه ﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩).

(٢) قال رسول الله ﷺ: «**دع ما يَريبك إلى ما لا يَريبك**» أخرجه الترمذي (٢٥١٨) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا
يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا
يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟
لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ
ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ
ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ
وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا
ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ
﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟
فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

التفسير

• ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ للمشركين ﴿ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من الحق ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا﴾ ما وجدنا ﴿عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ أيتبعون آباءهم حتى لو لم يعقلوا ولم يهتدوا؟!

• ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في عدم سماع الحق ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ كالراعي لغنمه ينادي عليها ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ بما لا تفقه منه إلّا الدعاء والنداء، ولا تدري الغنم ماذا يريد منها ﴿صُمٌّ﴾ عن سماع الحق ﴿بُكْمٌ﴾ عن قوله ﴿عُمْىٌ﴾ عن رؤيته ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ أمر الله تعالى ومراده.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ في الأرض ﴿وَٱشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ على نعمه ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ إن كنتم تعبدونه حق العبادة.

• ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ وهي كل ما مات من غير تذكية شرعية ﴿وَٱلدَّمَ﴾ المسفوح ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ وهو الحيوان المعروف ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ ما ذكر عليه غير اسم الله تعالى ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلى شيء من هذه المحرمات؛ بسبب الجوع، أو بإكراه ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ غير آكل من غير ضرورة ﴿وَلَا عَادٍ﴾ غير متجاوز لِقَدْرِ الضرورة ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ يستلزم العقوبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ بالمؤمنين.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فلم يبينوه للناس ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ﴾ بما أنزل الله تعالى ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من متاع الدنيا ﴿أُولَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ لأنّ ذلك الأكل يوجب لهم النار ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لغضبه عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ ولا يطهّرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ شديد.

• ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ فاختاروا الضلالة على هدى الله تعالى، وإنما عبر بالشـراء لشـدة رغبتهم فيها ﴿وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾ فاختاروا عذاب الله تعالى علـى مغفرته ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥﴾ كيف يصبرون على النار وهم يعلمون شدّة عذابها؟!

• ﴿ذَٰلِكَ﴾ هذا العذاب الواقع لكاتم العلم ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ فمن كتمه اسـتحق هذا الجزاء ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ فبعضهم آمن به، وبعضهم كفر ﴿لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦﴾ لفي خلافٍ ومعاندةٍ لله تعالى بعيدةٍ عن الحق.

التدبر

١ ـ تعطيل العقل عن القيـام بوظيفته الحقيقية وراء كثير من الانحرافات ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾ أعطاهم الله تعالى عقولاً وأنزل لهم كتباً، وبعث إليهم رسلاً، ولكنهم ما زالوا على جاهلية الآباء والأجداد.

٢ ـ الجاهليـة إذا أخذت حظَّها من القلوب والعقـول احتاجت إلى زمن طويل لاجتثاثها من النفـوس ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾ هذا الإذعان للجاهلية لم يأت وليد اليوم، وإنما نتيجة أزمان.

٣ ـ أثر العادات السيئة علـى صاحبهـا ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا

يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ عاشوا زمناً طويلاً على هذا العمى حتى تحوّل إلى عاداتٍ، لا يمكن أن يتخلّوا عنها.

٤ ـ الحق لا يُعرف بالرجال، وإنما يعرف الرجال بالحق ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ من الجهل أن تُدعَىٰ إلى فضيلة أو رأي أو موقف، ثم ينصرف ذهنك إلى حملته وأصحابه، دون أن تعرف قيمته في الوحي.

٥ ـ قُبح التعصب لرأيٍ، أو فكرةٍ، أو جماعةٍ، أو مذهبٍ، أو قبيلةٍ، دون أثر من الوحي ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾.

٦ ـ الإنسان بمعناه لا بصورته ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ هؤلاء الكفار أعطاهم الله تعالى كل شيء، وفي النهاية وصفهم بالدواب التي تسمع هتاف راعيها، ولا تدرك ما يقول.

٧ ـ لا قيمة لهذه الجوارح ما لم يهبها الله تعالى توفيقاً ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ يسمعون ويبصرون، ولكنهم في النهاية لا يعقلون.

٨ ـ النعم سببٌ للشكر ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾.

٩ ـ الشكر عبادة من العبادات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ والمراد شكر العمل الذي أصله في القلب، ومبدؤه من اللسان، وأثره في الجوارح.

١٠ ـ سعة الشريعة وفسحتها ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ لأن المحرَّمَ استثناء من الأصل.

١١ ـ نعمة العلم من أعظم النعم، وأكثرها أثراً في حياة صاحبها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ ألا ترى أن الله تعالى عاقب على عدم شكرها بأشد العقوبات؟!

١٢ ـ كتمان العلم جريمة تستحق العقوبة والجزاء يوم القيامة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ كم من إنسانٍ فتح الله تعالى له في العلم، ولم يستثمره في شيء!!

١٣ ـ من خذلان العبد أن يستعمل نعم الله تعالى في غير ما وجدت له ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ فإنّ هؤلاء منَّ الله تعالى عليهم بالعلم، ثم ذهبوا يشترون به متاعاً رخيصاً من الحياة.

١٤ ـ ما كلُّ مَنْ حملَ العلمَ صار زكيّاً به ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ كم من حاملٍ للعلم كاتم له! وكم من حامل للعلم اشترى به عرضاً من الدنيا!

١٥ ـ طلب العلم، والقيام بواجباته، وحمل أثقاله، وتبليغه للعالمين، من الأسباب الجالبة لمغفرة الله تعالى ورضوانه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ ألا ترى أنّ الله تعالى جعل لهم العذاب في مقابلة الكتمان، واختيارهم عذابه على حساب مغفرته!

۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ
ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى
ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ
ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ
وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَىۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ
بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِى
ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ
ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِۖ
حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ
يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا
فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

التفسير

• ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ ﴾ الخير ﴿أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ أن يولّي الإنسان وجهه جهة المشرق أو جهة المغرب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ ﴾ وإنما الخيرُ حقيقةً ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ فقام بواجبه، وامتثل أمره ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ وصدَّق بالآخرة، وعمل لها ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ فآمن بهم وبأعمالهم الموكلون بها ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ وآمن بالكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله ﴿وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ وآمن بالنبيّين، وأنهم رسل الله تعالى إلى خلقه ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ ﴾ أعطاه لمستحقيه ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ مع شدَّة تعلّقه به ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ فأعطى أهله وأقاربه ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ وهم كل من مات والده ولا يزال صغيراً ﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ ﴾ من لا يجد كفايته ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المسافر المنقطع ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ ﴾ المتعرّضين للناس بالسؤال لحاجتهم ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ عتق رقاب الأرقاء والأسرى ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ كما أمر الله تعالى بها ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ فدفعها إلى مستحقيها ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ﴾ سواء كان هذا العهد مع الله تعالى أو مع خلقه ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ ﴾ حال الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ وحال المرض ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾ وفي شدة القتل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ﴾ في إيمانهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ لله تعالى حقَّ التقوى.

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ﴾ فرض عليكم ﴿ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾ معاقبة القاتل بمثل جنايته ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ ﴾ فيقتل الحر بالحر ﴿وَٱلْعَبْدُ ﴾ المملوك ﴿بِٱلْعَبْدِ ﴾ بالمملوك، ويقتل كذلك الحر بالعبد، والعبد بالحر ﴿وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ﴾ وتقتل الأنثى بالأنثى، وتقتل الأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، لا فرق ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ ﴾ عفى المقتول قبل موته، أو عفا

أولياؤه وطالبوا بدية المقتول ﴿فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ فليطالب العافون بدية قتيلهم بالمعروف، كإنظاره إن كان معسراً، وعدم إتباع عفوهِ منَّةً عليه أو أذًى بـه ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ وعلى القاتل أداء الدية بإحسان من غير مماطلة وتسويف ﴿ذَٰلِكَ﴾ العفو والدية ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ عليكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بكم ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد العفو أو أَخْذِ الدية ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ قاسٍ ومؤلم.

• ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ تحقن به الدماء، ويرتدع به الناس عن قتل بعضهم بعضاً، ويسود الأمن فيما بينهم ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يا أصحاب العقول ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ الله تعالى.

• ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ فرض عليكم إذا جاء أحدكم الموت أو أسبابه ومقدماته ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ إن ترك هذا الذي حضره الموت مالاً ﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ﴾ أن يوصي لوالديه ﴿وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ ويوصي لأقاربه ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ على قدر حاله دون إسراف ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ واجباً ثابتاً على المتقين لله تعالى القائمين بأمره، وهذه الآية منسوخة بآية المواريث، وعلى هذا فـ«**لا وصيةَ لوارثٍ**»[1]، وإنّما الوصية لغير الوارثين من الأقارب.

• ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾ بعد ذلك الإيصاء ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ﴾ بعدما وعاه وعقله ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ يغيّرونه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾ بالأفعال.

• ﴿فَمَنْ خَافَ﴾ فتوقَّع أو عرف ﴿مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ ميلاً في وصيته من غير قصد منه ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ميلاً في وصيته بقصدٍ، وتعمُّد ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ أصلح

(١) أخرجه الترمذي (٢١٢١) وابن ماجه (٢٧١٢) وأحمد (١٧٦٦٥).

ما أفسد الموصي بنصحه، وأصلح ما وقع بين الورثة من الخلاف ببيان الخطأ، وتصحيح الحق فيها ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ فلا جناح عليه، ولا عقوبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾ بالمؤمنين.

التَّدَبُّر

١ ـ للشارع مقاصد كبرى في كل عبادة ما لم تتحقق لا تؤتي العبادةُ ثمرتها الشرعية الصحيحة ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ ألا ترى أنّ الله تعالى نبّه على أنّ مجرّد التوجّه للقبلة لا يصنع مقصود العبادة الكبير، وإنما الإيمان والعمل الصالح هو الكفيل بذلك.

٢ ـ من أكثر المشكلات التي تواجه الأمة اليوم في تاريخها ذهاب مقاصد العبادات الشرعية، واكتفاء الناس بالصور عن الحقائق ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

٣ ـ الدين يلُمُّ شمل العلاقات الثلاث: علاقة الإنسان مع ربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع غيره من الخلق ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ

ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

ألا تراه ذكّر بحقائق الإيمـان ومقاصد العبادة بأنها ما جرى بين الإنسـان وربه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ وما جرى بين الإنسـان وغيره من الخلق ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ وما جرى بين الإنسـان ونفسه ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾.

٤ ـ الإيمان مسؤولية كبرى، والتزام وثيق، وليس مجرّد دعوى عارضة ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

٥ ـ رعاية الشـرع للأولويـات ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ فبدأ بالقرابة قبل غيرهم، ولهذا فإن إعطاء القرابة أولى من إعطاء غيرهم.

٦ ـ العطاء والوفاء بالعهود والمواثيق، والتجلّد أمام فجائع الزمان من سمات أهل الإيمـان ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ

وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾.

٧ ـ هذه الشريعة محكمة منظمة، وفيها تدابير شؤون الحياة كلّها لا يضيع منها شيء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَىۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ وكل من اعتدى أو خالف عوقب بما يردعه ويرده إلى الصواب.

٨ ـ العدل أصل في شريعة الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَىۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ فهي تتعامل مع المخالف دون النظر إلى جنسه ولونه؛ فالحر يقتل بالحر، ولو كان أحدهما كبيراً شريفاً، والآخر ضعيفاً وضيعاً، لا فرق، ومثل ذلك يقتل العبد بالحر، والحر بالعبد، والرجل بالمرأة، والمرأة بالرجل، لا فرق.

٩ ـ عدوان الأخ على أخيه ولو بالقتل، لا ينفي أخوة الإيمان ورابطة العقيدة، ويتعامل مع الخطأ بما يردعه ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ وإذا كان هذا في القتل فما بالك بالخلاف العارض في موقف من المواقف.

١٠ ـ يُسْرُ الشريعة وسماحتها ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ فجعَلَتْ ثَمَّةَ فرصة للعفو، ولم تحاصِرْ المخطئ في عقاب واحد، وإنما أوجدت له البدائل.

١١ ـ الاستمرار على الخطأ مع وضوح كبيرته موجبٌ لسخط الله تعالى وعذابه ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

١٢ ـ العقوبة منهجٌ شرعيٌّ، يحفظ الأمة من الفوضى والشتات ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ ونتائج هذه الشريعة في البلاد التي طبقتها أكبر من كل وصف.

١٣ ـ جمال هذه الشريعة ومراعاتها لنفوس الناس، وتلبية حاجتها بما تهواه وترغب فيه ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ فشرع الله تعالى الوصية لغير الوارثين. وحكمها الذي أشارت إليه منسوخ فيما عدا غير الوارثين.

١٤ ـ سامع الوصية مؤتمَنٌ عليها، متوعَّدٌ على التفريط فيها بتبديل أو ضياع ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾.

١٥ ـ من كمال عقلك، ودقّة فقهك أن توصي بشيء من مالك ينفق في وجوه الخير قبل الفوات ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ إذا كان الله تعالى فرض ذلك حقاً للأقارب في مالك؛ فأنت أولى بالحق من غيرك.

❀ ❀ ❀

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ
فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ
وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ
خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ
﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ
ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ
مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ
فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

التفسير

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ فرض عليكم الصيام ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ كما فُرِضَ على الأمم السابقة من قبلكم ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ تجعلون بينكم وبين عذاب الله تعالى وقاية بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

• ﴿ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ ﴾ كتب عليكم الصيام أياماً محدَّدةً معدودةً، وهي شهر رمضان ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم﴾ في زمنها ﴿مَّرِيضًا ﴾ لا يستطيع الصيام ﴿أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾ مسافراً ﴿فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فيصوم أياماً أخرى يقضي بها هذه الأيام ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ يستطيعون الصيام ﴿فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ﴾ يطعمون مسكيناً عن كل يوم يفطرونه، وكان هذا في بداية فرض الصوم، إذ لم يكن صوم رمضان حتماً، وإنما على التخيير بين الصوم والفدية ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا﴾ بأن زاد على مقدار الفدية ﴿فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ﴾ أفضل وأحسن ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ من أن تفدوا ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤﴾ ما هو خير لكم وأفضل.

• ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ ابتدئ فيه نزوله ﴿هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ هادياً لهم إلى الخيرات ﴿وَبَيِّنَٰتٖ ﴾ وآياتٍ بيّناتٍ واضحات ﴿مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ ﴾ الدالة على الخير ﴿وَٱلۡفُرۡقَانِ ﴾ ما يفرّق بين الحق والباطل ﴿فَمَن شَهِدَ ﴾ حضر ﴿مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾ تاماً ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا ﴾ لا يستطيع الصوم ﴿أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾ مسافراً ﴿فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فيصوم أياماً أخرى مكانها ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ﴾ التخفيف عنكم ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ ولا يريد أن يشقّ عليكم ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ

ٱلْعِدَّةَ ﴾ عدة الصيام شهراً كاملاً ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ فتعظموه تعالى بالتكبير ليلة الفطر ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ على هداية الله تعالى لكم، فإنها أفضل نعمه وأكبر آلائه وفضله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ الله تعالى على ما يسَّر لكم.

• ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾ عن قربي منهم وإجابتي لدعائهم ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ منهم، وعالم بأحوالهم، وسامع لدعائهم ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ صادقاً مخلصاً ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى ﴾ فلينقادوا لي ولأوامري ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى ﴾ أني قريب أجيب دعاءهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ يهتدون.

التدبر

١ ـ تحقيق التقوى هي الغاية الكبرى من شريعة الصيام ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ فتأمل صومك، وانظر لجوارحك في يومك، وإياك وصيام الصور والأشكال!

٢ ـ للعبادات غايات ومقاصد كبرى، هي أولى ما عُنِيَ به الإنسان في عبادته ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾.

٣ ـ من حسن التربية وكمال أثر المتربي على من يربيه تقريب صور الطاعة، وتخفيف شأنها، وإقناع أصحابها بها بكل وسيلة ممكنة ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ

تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ ألا ترى كيف أن الله تعالى قرّب صورة فريضة الصيام، وأبان أنها مجرَّد أيام، وعذر فيها المريض والمسافر لأيامٍ أخر؟!

٤ ـ سماحة الشريعة ويسرها ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ فلم تكلِّفهم الصيام إلَّا في شهر واحد، وتجاوزت عن أصحاب الأعذار لوقت الصحة والعافية، فأين هذا المعنى من المتهوِّكين في سياج الشريعة بأنها صعبة وقاسية وضيقة، لا تراعي أحوال العالمين؟!

٥ ـ التدرّج منهجٌ شرعيٌ وضرورةٌ مهمّةٌ في استيعاب أحكام الله تعالى وتطبيقها ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ لم تبدأ الشريعة بفرضية الصيام مباشرة، وإنما جعلت ذلك خياراً في بادئ الأمر بينه وبين الفدية، ثم أوجبت صيام عاشوراء، ثم أوجبت صيام رمضان بعد ذلك، وعلى هذا الفقهِ يجري التعامل مع المسلمين الجدد ونحوهم في هذا الباب.

٦ ـ عظمة القرآن، وأنه كتاب هداية ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ ومن أدرك هذا المعنى وفقهه حق الفقه بذل له كلَّ الوسائل الممكنة لحفظه وتلاوته وتدبره.

٧ ـ أعظم أوقات عمرك وأجلها هي الأوقات المصروفة لتدبّر كتاب الله تعالى وفقه معانيه ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ وهذا الوصف من الله تعالى له كافٍ في استيعاب هذا المعنى.

٨ ـ شهر رمضان بالذات ظرفٌ مناسبٌ لتدارس القرآن وتدبُّره ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ ولذا كان النبي ﷺ يعارض به جبريل عليه السلام في كل عام مرة، وعارضه به في العام الذي مات فيه مرتين.

٩ ـ سماحة الشريعة ويسرها وجمالها وذوقها ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ وكل أمر فيه عنتٌ على فرد، أو جماعة، أو أمة، فهو ليس من شريعة الله تعالى في شيء.

١٠ ـ أعظم نعيم الإنسان في الدنيا عبادة الله تعالى وطاعته ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ ألا تراها هنا استوجبت تكبير الإنسان فرحاً بإتمامها، وشكره لله تعالى على وفائها.

١١ ـ تمام النعم مستوجبٌ للشكر والعرفان ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ كم من معوّقٍ عن طاعة الله تعالى لم يبلغها! وكم من مصروفٍ عنها لم يصل إليها!

١٢ ـ إذا فتح الله تعالى لك طريقاً في دينه، فاستمسك به، وأدمن دعاء الله تعالى، واسأله الثبات على الحق، وإياك وأسباب الحرمان ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ فإن هذا من أعظم وسائل الثبات على الحق.

١٣ ـ فضيلة الدعاء وأثره في تحقيق مراد الإنسان من ربه تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾.

١٤ ـ من كمال فقهك أن تهب لهذا المعنى من وقتك جلَّه وأكثره، فإنه كاف في تقريب مساحات الأمل، وحائل بينك وبين مساحات السوء ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ

عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ ومــن فقه الخليفــة الفاروق رضي الله عنه: إنــي لا أحمل همَّ الإجابة، ولكن أحمل همَّ الدعاء.

١٥ ـ إذا حلّت بك ضائقة، أو عَسُرَ عليك أمر، أو أُقفلت في وجهك الأبواب؛ فتوجه إلى ربك وأحسن الظن به، وألحَّ عليه بالدعاء ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾.

١٦ ـ الإيمان بالله تعالى والاســتجابة لــه من أعظم موجبات الرشــاد والتوفيق ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ وعلى قدر هذه الاســتجابة يكون رشدك في الدارين.

❀ ❀ ❀

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ
وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ
وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ
ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى
ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِۗ تِلْكَ
حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ
وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ
بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِۖ قُلْ هِىَ
مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن
ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ
أَبْوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَـٰتِلُوا۟
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا
يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

التفسير

• ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ أي الجماع ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ بمنزلة اللباس لبعضكما البعض ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ تخادعونها وتسوغون لها بإتيان نسائكم في الليل وهو محرّم عليكم، وذلك أنه كان في أول فرض الصيام إذا نام الإنسان من الليل حَرُمَ عليه الأكل والشرب وإتيان أهله، فشقَّ ذلك عليهم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ بنسخ هذا الحكم، وأباح لكم الجماع في الليل قبل النوم وبعده ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾ ما حصل منكم من جماع أهلكم في ذلك الوقت ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾ جامعوهن في أي وقت من الليل ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ وانووا في مباشرتكم لزوجاتكم التقرب إلى الله تعالى بإعفاف أنفسكم وزوجاتكم وحصول الولد، ونحو ذلك ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ﴾ بياض النهار ﴿مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ سواد الليل ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فيتبين ظهور الفجر الصادق ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ أكملوه على وجه التمام ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ ولا تجامعوا زوجاتكم ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ حال اعتكافكم في بيوت الله تعالى ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ التي حدَّها لكم ومنعكم منها ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ فتقعوا فيما نهاكم عنه ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ يعرفونها، فيمتثلون ما فيها من أوامر فيحصل لهم بذلك تقوى الله تعالى.

• ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بوجه غير مشروع ولا مأذون فيه؛ كالسرقة والغصب والغش، ﴿وَتُدْلُوا۟ بِهَآ﴾ تتوصلوا بها ﴿إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ فتجحدوا ما عليكم من حق، أو أن المعنى وتدلوا بها: أي بالأموال

فتوصلوها إليهم رشوة ﴿لِتَأۡكُلُواْ﴾ بذلك ﴿فَرِيقٗا﴾ جماعة ﴿مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ﴾ بالظلم والعدوان ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٨﴾ أن أفعالكم غير صحيحة ولا سديدة.

• ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ﴾ عن الحكمة فيها ﴿قُلۡ هِيَ﴾ أي الأهلة ﴿مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ ليعرف بها الناس مواقيت عباداتهم ﴿وَٱلۡحَجِّۗ﴾ ويعرفون بها زمن الحج ﴿وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ﴾ أي الخير ﴿بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ من خلفها، وذلك أن الناس كانوا في الجاهلية إذا أحرموا بحج أو عمرة، لا يأتون البيوت من أبوابها اعتقاداً منهم أن الإحرام يبطل بذلك ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ﴾ الخير ﴿مَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ الله تعالى، فجعل بينه وبين عذاب الله تعالى وقاية بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ﴾ المعدة لذلك ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٨٩﴾ تفوزون بمطلوبكم.

• ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لإعلاء كلمة الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ من الأعداء ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾ في قتالهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ لا في القتال ولا في غيره.

التدبُّر

١- غرض الشريعة الكبير وهدفها الأسمى من فرض العبادات تأهيل النفوس، وتدريبها لتمثّل هذا الدين في واقع الحياة ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ

حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾.

٢ ـ النفوس تحتاج إلى تأهيلٍ ورباطٍ حتى تصلَ إلى مرادها في النهاية ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾.

٣ ـ معاناة المنع موجبةٌ في النهاية التلذذ بما يأتي، والفرح به، والشكر عليه ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾.

٤ ـ اللذة فرع عن المعاناة ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾.

٥ ـ المعصية خيانة لنفسك وإذلال لها ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ وكم من خائنٍ لها في ظلام الليل! وكم من خائنٍ لها في الخلوات!

٦ ـ لله تعالى حدود وحرمات، لا يحل بحال مقارفتها والوقوع فيها ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾.

٧ ـ لحدود الله تعالى حمًى لا يحل أن تُستباح بحال ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ ألا تراه هنا نهى عن قربانها، رعاية لتلك الحدود.

٨ ـ سدّ الذرائع قاعدة مهمّة في رعاية دين الإنسان وحرصه من الضياع ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ ومن ألزم نفسه بتبعات هذه القاعدة نجا من خطوات الشيطان، ومن تساهل فيها وقع في نهايات السوء، وفي الحديث: «**كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يقع فيه**»[1].

(١) أخرجه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩).

٩ ـ العلم من أعظم مباهج الحياة ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ألا تراه هنا جعله الطريق إلى التقوى!

١٠ ـ العلم أعظم طريق لإسعاد العالم ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ علم الوحي لا سواه.

١١ ـ رعاية الشريعة لحقوق الآخرين ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾.

١٢ ـ الشريعة تُجرّم المعتدين على حقوق الآخرين ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ وكم من معاملةٍ في ظاهرها العون لصاحبها، وهي قائمة على الغش والخداع والحرمان وسوء التوفيق!

١٣ ـ كم من فسادٍ في المال العام أوشك بالأمة على الهلاك! ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾.

١٤ ـ كثيرة هي الحقوق اليوم التي لا تنالها إلّا بالرشوة ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾.

١٥ ـ إذا أردت أن تعرف قدر هذه الوصية، فانظر للمشاريع التي صرفت فيها ملايين، ثم تهاوت لهذا الفساد الذي اعترى الأموال ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾.

١٦ ـ دقة سؤالات الصحابة ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟

ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ وكم من سؤالٍ اليوم لا قيمة له في الواقع!

١٧ ـ كل سؤال لا يترتب عليه عمل فلا مفروح به، وحقه الهوامش ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ لمّا كان هذا السؤال يترتَّب عليه علم احتفلت به الشريعة وأقامت له جواباً.

١٨ ـ من كمال أدبك ألا تأتي بيتاً أو موضوعاً أو رسالة أو مشروعاً أو مهمة إلّا من بابها الحقيقي، وإياك وتخطي الحقائق! ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

١٩ ـ نصيحة الحكام والمسؤولين والعلماء لها أبواب! ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وتقحّم هذا الجانب من غير بابه رعونةٌ في الرأي، وافتئاتٌ على الشارع.

٢٠ ـ مشكلة المفاهيم أعظم مشكلة تواجه الأمة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ يُحرِمُوْنَ فيأتون البيوت من ظهورها، لأنّ مفاهيم الجهل بلغت مداها في واقع حياتهم.

٢١ ـ الجهل أكثر الأمراض خطورة في حياة الأفراد والجماعات ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا

وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ صنع لهم الجهل شريعةً، وجعل لهم سلوكاً وحمّلهم تباعات، لا علاقة لها بالعلم في شيء.

٢٢ ـ ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ مع والديك، وزوجك، وولدك، وجارك، ورحمك، وصديقك، وعاملك، ومن التقيت به في طريق المسلمين العام.

٢٣ ـ فلاح كل إنسان معقود على ناصية التقوى ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

٢٤ ـ أدب الشريعة وجمالها وأناقتها ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ تأمر بحماية حوزة الإسلام، وتوسيع دائرته، وإزاحة العقبات من طريقه، ثم تجرّم الاعتداء، وتحرّم صوره.

٢٥ ـ الاعتداء جريمة أياً كانت صورته وشكله ومسوغاته ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾.

٢٦ ـ إذا كان الاعتداء جريمة في مواجهة العدو المقاتل المستبيح للدماء والأرض والأوطان، فكيف به مع أسرتك أو جارك أو رحمك، أو مع مسلم يجمعك به رحاب هذا الدين! ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾.

٢٧ ـ تحرير راية الجهاد من كل علائق الدنيا ضرورةٌ تدل على صحة المقصد، وتعين على بلوغ غاياته الكبرى ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾.

٢٨ ـ ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ كل راية في الجهاد غير راية (في سبيل الله) لا قيمة لها، أياً كانت هذه الرايات، سواء كانت رايات قومية، أو وطنية، أو لأحزاب أو جماعات، كلُّها لا شيء، وهي في النهاية إلى بوار.

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ
مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن
قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ
فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ
وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا
اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾
وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا
اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ
مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ
نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن
لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ
ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

التفسير

- ﴿وَاقْتُلُوهُمْ﴾ أي المقاتلين لكم ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أينما وجدتموهم ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ من المكان الذي أخرجوكم منه ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ التي فعلوها، وهي صدُّ الناس عن الدين ﴿أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ الذي تصنعونه بهم ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ عند المسجد الحرام ﴿فَإِن قَاتَلُوكُمْ﴾ في ذلك المكان ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾ ردعاً لهم ﴿كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾ عقوبتهم.

- ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ فكفوا عن قتالكم، ودخلوا في الإسلام ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾ بالمؤمنين.

- ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾ أي الكفار ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ حتى لا يصدّوا الناس عن الإيمان بالله تعالى ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ فيكون دين الله تعالى هو الظاهر الغالب ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عن كفرهم وقتالكم ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾ فلا مقاتلة ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ المعتدين المتجاوزين لحدود الله تعالى.

- ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ فإن قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم فيه ﴿وَالْحُرُمَاتُ﴾ كل ما يحترم من زمان ومكان ومنافع وأعيان ﴿قِصَاصٌ﴾ إذا انتهكت اقْتُصَّ من صاحبها بمثل ما انتهك منها؛ ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ فتجاوز الحدَّ في معاملتكم بقتل أو أخذ مال ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ خذوا حقكم منه ﴿بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ كما فعل فيكم تماماً لا فرق ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ لا تتعدّوا ما فعل بكم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ يسدِّدهم ويوفِّقهم ويعينهم.

• ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ادفعوا أموالكم فيما يرضي الله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ لا تلقوها إلى ما فيه هلاككم هلاكاً حسياً؛ كمن يُعرِّضُ نفسه للأخطار والهلاك، أو معنوياً؛ كترك الجهاد والإنفاق في سبيل الله تعالى ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾ في معاملتكم لله تعالى، ومعاملتكم لخلقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾.

• ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ فأتوا بهما كما أمركم الله تعالى ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ مُنِعْتُمْ من إتمامهما ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ فاذبحوا ما تيسر لكم من الهدي، وهو ذَبْحُ بدنة أو بقرة أو شاة ﴿وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ﴾ لا تتحللوا من إحرامكم ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ﴾ أي الحرم ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ فاحتاج إلى حلق رأسه ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ كالقمل ونحوه، واحتاج إلى حلقه ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ فعليه مقابل ذلك فدية، وهي صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستةِ مساكين، كل مسكين نصف صاع، أو ذبح شاة ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ من العدو، فأتموا الحج والعمرة بعد ذلك ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ فحج متمتعاً ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ فيذبح لذلك هدياً مما تيسر له شكراً لله تعالى على إتمام نسكه ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ هدياً يذبحه أو ثمنه ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ﴾ في مكة ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهليكم ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ تامة ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الهدي ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ لم يكن من سكان الحرم، فإن كان من سكان مكة سواء كان في الحل أو الحرم، فليس عليه هدي لتمتعه ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾ لمن خالف أمره وارتكب نهيه.

التدبر

١ ـ متى قويت شوكة المسلمين وجب عليهم ردع العدو المقاتل بما يكف شره ويردع أذاه ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ وهذا الأمر كان بعد الهجرة إلى المدينة، لمَّا قوي المسلمون، وكان لديهم الاستعداد الكافي لردع العدو، وكف أذاه وشره.

٢ ـ حرمة المسجد الحرام، وأنه لا يحل تشويش أمنه، والقتال فيه، وترويع الآمنين فيه إلَّا في الحال التي يبدأ فيها العدو بالقتال فيه ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

٣ ـ من أعظم الفتن وأشدها خطراً فتنة الصد عن سبيل الله تعالى ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾.

٤ ـ الإعلام المشوّه لدين الله من أكبر الأدوات وأكثرها خطراً على الإسلام، والصدّ عن دين الله تعالى ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ والفتنة الحاصلة به اليوم فوق ما يتصوّر إنسان.

٥ ـ المضلون عن دين الله تعالى، والمشوّهون لمفاهيمه، أكثر الخصوم ضراوةً، وأشدهم فتنةً في الطريق ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾.

٦ ـ خطر الأفكار على العقول هي أعظم الفتن التي تواجه الإنسان في واقع الحياة ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾.

٧ ـ من أعظم مقاصد الجهاد إزاحة العقبات من طريق الدعوة ورفع الظلم عن المؤمنين ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾ وكل من اعتقد أن الجهاد شُرِعَ لإراقة الدماء، أو لقتل الأبرياء، أو للانتقام من المعارضين فهو جاهل لا يفقه من شريعة الله تعالى شيئاً.

٨ ـ جلالة كل راية ومشروع وفكرة وقضية تسهم في إشاعة مفاهيم دين الله تعالى وتوسّع في آثاره ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾.

٩ ـ جمال هذا الدين وروعته وأناقته ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾ شُرِعَ القتال لإزاحة العقبات العارضة في الطريق، وحرّم العدوان على الآخرين، وأباح الردَّ على الظالمين.

١٠ ـ التقوى أعظم الروادع وأكثرها زجراً لعادات السوء ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ لما أباح الاعتداء على المعتدين ذكّر بالتقوى حتى تغالب النفوس هواها.

١١ ـ إذا أردت أن تربي ولدك أو طالبك أو من تقوم على رعايته فَصِلْهُ بالله تعالى وذكّره بنهايات الطريق ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

١٢ ـ أعظم أساليب التربية أثراً وأجلّها قدراً، تلك التي تركّز على علاقة الإنسان بربّه، وتدقّ في قلب صاحبها جرس الإيمان ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

١٣ ـ المال من أعظم دعائم الدين وأكثرها أثراً عليه ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في كل مشروع يسهم في إظهار دين الله تعالى، وتوسيع رقعته في العالمين.

١٤ ـ ترك ما أمر الله تعالى أو الوقوع فيما نهى إلقاءٌ للأنفس في التهلكة ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾.

١٥ ـ كل طريق وقف حائلاً بين الإنسان ودين الله تعالى، فهو داخل في هذا المعنى ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾.

١٦ ـ كل عمل أوشك بصاحبه على الخطر، فهو من هذا الباب وداخل في عموم قول الله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ ما لم يكن ذلك العمل لغاية شرعية لا تقوم إلَّا به.

١٧ ـ الإحسان مطلب شرعي في كل عمل يبتغي به صاحبه وجه الله تعالى ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ والإحسان عام في نفقة المال، وجاه الشفاعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعميم العلم النافع، وقضاء حوائج الناس، وتفريج كرب المحتاجين، داخل في هذا المعنى.

١٨ ـ ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في عملك، وبيتك، وإدارة مشروعك، والتعامل مع صديقك وزميلك، وكل شيء في حياتك.

١٩ ـ الإحسان أوسع الطرق إلى محبة الله تعالى لك ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ سواء ما كان منه في إقامة شعائر الله تعالى، أو الإحسان إلى المخلوقين عموماً.

٢٠ ـ جزء من الضياع الذي أصاب الأمة في مشاريعها ناتج عن التفريط في هذا المعنى الكبير ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وما أودى بكثيرٍ من مواردنا الكبرى إلَّا هذا الضياع لهذه القضية في واقع كثيرين.

٢١ ـ المعرفة هي الطريق الأول لبناء الإنسان ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا

ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ﴾ ثم يأتي تحويل هذه المعرفة إلى سلوك في واقع الإنسان.

٢٢ ـ السعة ورفع الحرج أصلٌ في شريعة الله تعالى ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ﴾.

٢٣ ـ دين الله تعالى وشعائره من الأمانات التي يجب أن يجريها الإنسان على مراد الله تعالى ودينه وشرعه ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾.

❀ ❀ ❀

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا
فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ
وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ
﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن
رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ
عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن
كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ
أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾
فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ
رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾
وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى
ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ
مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

التفسير

• ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ أي إنه في أشهرٍ معلومات، وهي: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ﴾ في هذه الأشهر ﴿ٱلْحَجَّ﴾ فعزم على حج بيت الله الحرام ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ فلا يحلّ له الجماع، ولا مقدماته ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ ولا يحل له فعل المعاصي ﴿وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ ولا يحل له أن يخاصم وينازع ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ أيّاً كان ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ فيثيب عليه بأعظم الجـزاء ﴿وَتَزَوَّدُوا۟﴾ من الخير ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي فعل أوامر الله تعالـى واجتناب نواهيه ﴿وَٱتَّقُونِ﴾ خافوني وقومـوا بمـا أمرتكـم بـه، ونهيتكم عنـه ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ يا أصحاب العقول.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ إثم ﴿أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ من خلال التجارة وطلب الرزق ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ دفعتم منها، وخرجتم إلى مزدلفة ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ تعظيماً بقلوبكم، وذكراً بألسـنتكم، وعملاً بجوارحكـم ﴿عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ جبل في آخـر المزدلفة، وفيه الآن المسـجد ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ لمعالم دينه، ومناسك حجه ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾ من قبل هداه وتوفيقه ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾ عن شريعته.

• ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ من المكان الذي يفيضون منه من مزدلفة ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ سلوه المغفرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ بالمؤمنين.

• ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾ انتهيتم من شـعائر الحج ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أديموا ذكره ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ كما تفخرون بآبائكم، وتثنون

عليهم ﴿أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾ مما تصنعون مع آبائكم ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ أعطنا نصيبنا في الدنيا من شهوات وملذات ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ٢٠٠﴾ من نصيب.

• ﴿وَمِنۡهُم﴾ من الناس ﴿مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾ من كل ما تقر به العين، ويطيب به القلب ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾ من الفوز بالنعيم المقيم ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ نجِّنا منها.

• ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ كلا الفريقين ﴿لَهُمۡ نَصِيبٞ﴾ حظ ﴿مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢﴾.

التدبر

١ ـ من إجلال الله تعالى تعظيم شعائره ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ فإذا أحرم الإنسان بالحج حَرُمَ عليه الرفث والفسوق والجدال، تعظيماً لهذه الشعيرة وإجلالاً لها.

٢ ـ ثمة مقاصد كبرى من تشريع العبادات ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ فهي الطريق إلى تربية الإنسان على إجلال شعائر الله تعالى وتعظيم شرعه.

٣ ـ حاجة الإنسان للتأهيل والتدريب، وإعادة برمجة ذاته لمستقبل الأيام ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ﴾.

٤ ـ العناية بالمشاريع والبرامج التي تركّز على تأهيل الإنسان، وتُعينه على تربية ذاتــه ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ فكما أنّ الحج فرصة لتأهيل الإنسان وتربيته، فكذلك يمكن أن تصاغ مشاريع أو برامج تعين الإنسان على ترميم واقعه، وإعادة وهج روحه، وتأهيله لخوض تجربة الحياة في ضوء شريعة الله تعالى.

٥ ـ التربية شاقة تحتاج إلى برامج ومشاريع جادة، يشعر فيها الفرد بضرورة أخذ قضاياها بقوة ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ ولا يمكن أن يتم هذا النوع مـــن التربية والتأهيل إلّا في برامج ومشاريع جادة تعينه على ذلك.

٦ ـ الالتزام ضرورة لرفع شـــأن الدين في حياة صاحبه ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ فهـــذه الفريضة فيها تكاليف كبيرة، وكل ذلك من أجل تأهيل الإنسان لحمل هذه الشريعة.

٧ ـ العبادات بما فيها من مقاصد كافيةٌ لتأهيل الإنسان، ورفع شأنه الإصلاحي ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾.

٨ ـ الدرس الإيماني أبلغ الدروس أثراً في تربية صاحبه ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾.

٩ ـ تعزيز مبـــدأ الرقابة الذاتية كفيـــل بتأهيل صاحبه للقيـــام بحقوقه وواجباته الشرعية ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾.

١٠ ـ إذا أردت أن تأخذ الموعظةُ حقَّها من قلـــب صاحبها، فذكّره برقابةِ اللهِ تعالى وعلمِهِ واطلاعِهِ على بواطـــن الأمور وخفاياها ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾.

١١ ـ الحافز الأخروي أكثر أثراً في دفع الإنسان لتحقيق غاياته الكبرى في الحياة ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾.

١٢ ـ ضرورة تذكير المربي لمن يربيه بما يعينه على بلوغ غاياته وأمانيه ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾.

١٣ ـ سعة هذه الشريعة وجمالها وأناقتها مكّنت الإنسان من عبادة الله، وأتاحت له الفرصة ليقضي وطره من متاع الحياة ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾.

١٤ ـ الأرزاق بيد الله تعالى، وهو المتفضّل بها على الإنسان ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وحسب الإنسان بذل الأسباب الممكنة في الطريق.

١٥ ـ من إجلال الله تعالى تعظيمُ شعائره، والوقوف عند حدودها ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾.

١٦ ـ للعبادة حدود ثابتة ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ والأصل ألا تُتجاوَز في شيء ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

١٧ ـ الهداية توفيق من الله تعالى وكرم ومنّة ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ ومَنْ وَعَى هذا المعنى وَهَبَ له من قلبه وجسده وفكره كل شيء.

١٨ ـ من أقبل على ربه تعالى صادقاً هداه، ووفّقه، ويسّر طريقه، وأعانه ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾.

١٩ ـ تبرؤ الإنسان من حوله وقوته ومواهبه وموارده سر توفيقه في الدارين ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ وما من شيء بلغه صاحبه إلّا بعون الله تعالى وتوفيقه.

٢٠ ـ بلوغ الحج وقضاء مناسكه منّة من الله تعالى، يحتاج إلى شكر وعرفان ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾.

٢١ ـ الأصل في عمل الإنسان النقص ما لم يتداركه الله تعالى بعفوه ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾ فالاستغفار فرع عن النقص وحصول التقصير.

٢٢ ـ الاستغفار متممٌ لنقص العبادة، ساتر لعيوبها، آتٍ عليها بالكمال ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾.

٢٣ ـ استشعار مقاصد العبادات وآثارها فرع عن وعي الإنسان بمراد الله تعالى منها ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ وإذا لم توجب العبادة حب الله تعالى والتعلّق به، والرغبة فيما عنده صارت فارغة من معانيها وآثارها.

٢٤ ـ للحج حلاوة وأثرٌ وسلوكٌ على صاحبه ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ لولا ذلك لما أمرهم الله بالتعلق بذكره لهذه الدرجة.

٢٥ ـ الأماني تختلف، والهموم تتفاوت ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ فمن الخلق من يكفيه من قضاء وطره تحقيق مطالب الدنيا، وآخرون لا يرون عن الآخرة بدلاً.

٢٦ ـ الدنيا تبع لمطالب الآخرة ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ فـإذا صحَّ مقصود العبد فـي طلب ما عند الله تعالى، فلا حرج بعد ذلك في طلب ما يعينه على قضاء هذا المعنى من الدنيا.

٢٧ ـ يُعطي الله تعالى كل إنسان على قدر جهده وآماله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾.

٢٨ ـ دعوات الحـج عاجلة الأثـر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ فوصفه تعالى بسـرعة الحسـاب بعد أماني القوم، وجواز طلب حسن الدنيا برفقة طلب الآخرة دليل بيّن على ذلك. ومن هذا الباب قال من قال من السلف: إني ما دعوت بدعوةٍ في الحجِّ إلَّا ورأيتها قبل ذهابِ ذلك العام.

❀ ❀ ❀

۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي
يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ
مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي
ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ
ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِۚ
فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ
﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً
وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ
﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ
فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن
يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُۚ
وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

التفسير

- ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ أيام التشريق الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر، من أيام شهر ذي الحجة ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ بعد اليوم الثاني عشر، فرمى الجمار ثم خرج قبل غروب الشمس ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في ذلك التعجل ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ إلى اليوم الثالث عشر ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ كذلك ﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ الله تعالى في تعجله وفي تأخره، فالحرج منفي عنه، ومن لم يتق الله تعالى في ذلك، فهو واقع في الحرج ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله تعالى وقاية بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣)﴾ تُجمَعُون يوم القيامة للحساب والجزاء.

- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إذا تكلَّم راق لك كلامه وأعجبك ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ يقسم بالله تعالى على صدق حديثه ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤)﴾ شديد الخصومة والبغض لك.

- ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ ذهب عنك ﴿سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ بالكفر والمعاصي ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ فيكونَ سبباً في هلاكهما بكفره ومعاصيه ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥)﴾.

- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ اتخذ وقاية من عذاب الله تعالى بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ حملته حميته وعزته بنفسه إلى الذنب الموجب للعقوبة ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ كافيه عذابها ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦)﴾ ما أسوأ المستقر والمسكن!

• ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ﴾ فيبيعها ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ من أجل رضا الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ شديد الرحمة بهم.

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ ادخلوا في الإسلام كله، وخذوه جملة، ولا تتركوا منه شيئاً ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ طرقه ومسالكه ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ واضح العداوة، لا يحتاج إلى بيان.

• ﴿ فَإِن زَلَلْتُم ﴾ مِلْتُم عن الحق، وعدلتم عنه ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ عن علمٍ ويقينٍ ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا غالب لأمره ﴿حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ في تدبير خلقه وأمره.

• ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ ما ينتظر هؤلاء المكذبين ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يوم القيامة إتياناً يليق بجلاله تعالى ﴿فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ السحاب ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ وتأتيهم الملائكة تحيط بهم في ذلك اليوم ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ انتهى بهلاك المكذبين، ونجاة وفوز المؤمنين ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ فيجازي كلاً بعمله.

١ ـ الدعوة فنٌّ يجب أن تأخذَ بقلوب الناس إلى حياض الخير دون تشديد ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ لم تزجُرِ النَّاسَ للإتيانِ بالحقِّ، وتأمرهم به جبراً، وإنما أخذت بقلوبهم، وقرّبت لهم

المسافة، وخففت لهم زمن البقاء في تلك المشاعر، كل ذلك من أجل أن تقتادهم إلى تلك الخيرات بشوق.

٢ ـ سعة الشريعة ويسرها ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ من أراد أن يتعجل في يومين فله ذلك، ومن أراد أن يتأخر فله ذلك.

٣ ـ التقوى أعظم مطالب الحج، وأهم مقاصده وأهدافه ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ فالعجلة والتأخر في قضاء النسك مشروطة بهذا المقصد العظيم.

٤ ـ التقوى وتعظيم شعائر الله تعالى، والقيام بشريعته، لا يتعارض مع يسر الشريعة وسماحتها ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ فلا يظنَّ أحدٌ أن تحقيق التقوى موقوف على تشديد الإنسان على نفسه، وإرهاقها بما هو فوق طاقتها.

٥ ـ تكرار الوصية بأمرٍ دليلٌ على عمقه وأثره وأهميَّته ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

٦ ـ التكرار وسيلة لتعميق المفاهيم والأفكار والغايات والمقاصد ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وما أكثر ما ذكّر الله تعالى بالتقوى في شعيرة الحج!

٧ ـ الشريعة لا تبني أحكامها على الصور والأشكال والمظاهر ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ وكم من صورة جميلة لباطنٍ خبيث!

٨ ـ كم من فصيح لسان غارقٌ في شُعَبِ النفاق ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾.

٩ ـ إذا خرب القلب، فلا فرح بشيء ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ يحلف أيماناً على صدقه، وهو من أفجر خلق الله تعالى!

١٠ ـ أثر اللسان في نصرة الحق، وإفشاء مفاهيمه، وتعميق آثاره، وتوسيع دوائره ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ فإذا كان لسان الباطل قادراً على قلب الحقائق ونيل الرضا والإعجاب من السامعين، فما بالك بلسان الحق؟!

١١ ـ الإعلام أخطر أدوات الحرب، وأشدها تأثيراً في الواقع ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ وكم من زورٍ وباطلٍ عَلِقَ بعقول الناس! وكم من حقٍّ بات في موضع التهمة والسؤال!

١٢ ـ عظم أثر الدعوة في بسط مفاهيم الحق وتوسيع دوائره ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ وإذا كان المنافق بلسانه أبهج السامع له، فما بالك بالدعوة التي توسع في دين الله تعالى!

١٣ ـ عظم أثر الكلمة ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ وكم من كلمةٍ بسط الله تعالى بها فضيلة! وكم من كلمةٍ دفعت بباطل إلى مواقع ليست له!

١٤ ـ الدعوة إذا رزقت بصاحبِ علمٍ، وصدقِ سريرةٍ، ولسانٍ فصيحٍ، فقد بلغت أمانيها ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ إذا كان صاحب باطل يستميلك بحديثه، فكيف بصاحب الحق؟!

١٥ ـ الخصام والجدال ليسا من أخلاق المؤمنين في شيء ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾.

١٦ ـ الدعوى لا قيمة لها دون برهان ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ فكل قول ما لم يصدقه العمل والتطبيق فلا خير فيه.

١٧ ـ المنافقون أعظم الأعداء خطورةً على الإسلام والمسلمين ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾.

١٨ ـ الفساد موجبٌ لذهاب الخيرات، ومُوقِعٌ بالأمة أشدَّ الخسارات ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ وإذا تأملت الواقع اليوم، وما يدار فيه من فسادٍ عريضٍ في كثيرٍ من المواقف والمشاهد، أدركت ما ينتظر الأمة من سوء حال، نسأل الله تعالى العافية.

١٩ ـ الانزواء عن المواعظ والغضب منها بضعة من نفاق أصحابها ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ كم مرة صاح غاضباً من أثر موعظة! ولم يحرّك ساكناً لمنكرات!

٢٠ ـ من صفات المؤمنين الاطمئنان للنصيحة، والفرح بها، والأخذ بمضامينها ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾.

٢١ ـ حظ الإنسان من ربه ودينه وشريعته على قدر ما يبذل فيها ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ تصل الأمور ببعضهم إلى أن يبيع نفسه كلّها لله تعالى.

٢٢ ـ أعظم صفقات البيع والشراء تلك التي تتم على النفوس في سبيل الله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾.

٢٣ ـ مشروعية الأوقاف البشرية ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ فإذا كان الواقف وقفاً من جمادٍ موعودٌ بدوام عمله، وسرور نهاياته؛ فالواقف وقفاً بشرياً موعودٌ بأعظم النهايات وأبهجها.

٢٤ ـ الإسلام كلٌ لا يتجزأ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ إما أن نأخذه بكلِّ مفاهيمه وأفكاره وتصوراته؛ وإلَّا لن يصنع فينا تلك الآثار التي ننشدها.

٢٥ ـ الأخذ ببعض ما في الدين، وترك بعضه: من تتبع خطوات الشيطان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾.

٢٦ ـ التشهّي في أحكام الشريعة نقص في الاتباع ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ وروح المسلم الحقيقية تلك التي تأخذ بكل ما جاءت به الشريعة من أحكام.

٢٧ ـ أضخم المعارك تلك التي يديرها الإنسان مع الشيطان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ حتى المعركة التي تدار بين الخلق، إنما هي أثر من المعركة مع العدو الأكبر الشيطان.

٢٨ ـ الجهل رافع لأحكام الشريعة ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ توعَّدَ اللهُ تعالى صاحبَ الزللِ الواقعِ فيه عن بيِّنةٍ وعلمٍ، فدلَّ ذلك على خروج الجاهل من التبعة.

٢٩ ـ للعلم تكاليف ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ فقد علّق الله تعالى المؤاخذة على تكاليف العلم.

٣٠ ـ التخلّف عن شريعة الله تعالى، والقصور في حمل تبعاتها موجب للخذلان ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ فقد توعد الله تعالى المتخلف عنها بالعذاب، فإن العزيز الحكيم إذا عصاه العاصي قهره بقوته، وعذّبه بمقتضى حكمته.

٣١ ـ دعوة لكل المخالفين لأوامر الله تعالى بأن يتوبوا قبل حلول ساحات القصاص والعذاب ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾.

٣٢ ـ رحمة الله تعالى بخلقه والمخالفين لأمره والساعين بالفساد في أرضه ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ تراه يعرض عليهم التوبة قبل فوات الأمر، ويبيّن لهم آثار ذلك اليوم ليتداركوا أنفسهم قبل الفوات.

❀ ❀ ❀

سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ
مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ
ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ
فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢١٢ كَانَ
ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ
فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ
ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ
مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣
أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ
مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤
يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ
وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٢١٥

التفسير

• ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ تدلّ على الحق وتهديهم إليه، فكفروا بها، فنزل بهم عذاب الله تعالى ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ التي أعطاه الله تعالى ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾ قوي الجزاء.

• ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ بما فيها من متع وملذات وشهوات ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يستهزئون بهم ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ ربهم فقاموا بما أمرهم به وتركوا ما نهاهم عنه ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ منزلة ومرتبة ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾ بلا عدٍّ ولا حساب.

• ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ﴾ قبل أن يُبْعَثَ إليهم الرسل ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على دينٍ واحدٍ، وهو دين الإسلام جاءهم من أبيهم آدم؛ لأنه نبي موحًى إليه، ثم كثر الناس، واختلفت أهواؤهم، فصاروا بحاجة إلى بعث الرسل ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ لأهل الكفر والمعاصي ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ والكتاب هنا مفرد يراد به الجنس، فيعمّ كل كتاب من كتب الأنبياء ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي إن ما جاءت به الكتب حق، أو إن الكتب نفسها حق من عند الله تعالى ﴿لِيَحْكُمَ﴾ الكتاب أو النبيّون أو الله تعالى ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ في الكتاب الذي جاء به كل نبي ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أُعطوه، وهم كل الأمم التي نزل عليها كتاب ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ الدلائل الواضحة على صدقه ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ حسداً وعدواناً ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ بمشيئته وإرادته ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى﴾ يدلّ ويوفق ﴿مَن يَشَآءُ﴾ ممَّن يستحق الهداية ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ طريق واضح.

• ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾ هل ظننتم ﴿أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ ﴾ يوم القيامة ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ﴾ من الابتلاء والاختبار والتمحيص ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ ﴾ شدّة الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءُ ﴾ المرض ﴿وَزُلْزِلُواْ ﴾ خُوِّفوا خوفاً شديداً ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾ من شدة ما بهم من ضر ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ من المؤمنين المتوكلين.

• ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ ﴾ الصحابة ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ من أموالهم ﴿قُلْ ﴾ لهم ﴿مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ ﴾ فأنفقوا للوالدين أولاً ﴿وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ عموم القرابات الأولى فالأولى ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ وهم كل من فقد أباه ولا يزال صغيراً ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المسافر المنقطع ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ ﴾ أياً كان هذا الخير ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾ يعلمه ويثيب عليه أجزل الثواب.

١ ـ لا حدَّ للإعراض، وكم من آية بيّنة لم تأخذ حظَّها من قلوب كثيرين! ﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ ﴾.

٢ ـ دين الله تعالى أعظم النعم التي ينالها إنسان في الحياة ﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ ﴾ وإذا فتح الله تعالى لك طريقاً في الخير، وشرح صدرك له، فذلك من عاجل البشرى.

٣ ـ التخلّف عن العلم والعمل به بعد بلوغه خسارةٌ كبيرةٌ لصاحبه ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾.

٤ ـ الإعراض عن الشريعة موجبٌ لعذاب الله تعالى وسوء توفيقه ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

٥ ـ تزيين الحياة للإنسان، وولهه بها، وإقباله عليها، عقوبة عاجلة لصاحبها ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢)﴾ وإنما انحرفوا عن الطريق لزينة الحياة.

٦ ـ إقبال الإنسان على مشاريع دنيوية لا علاقة لها بدين الإنسان ومساحات الشريعة والوحي دليل استدراج ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾.

٧ ـ لا عبرة بعطاء الدنيا وإن كثر ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ فإنها زينة عارضة لا قيمة لها في النهاية.

٨ ـ انحراف المفاهيم من أكثر الأزمات التي تواجه الأمة في تاريخها ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ترى هؤلاء جعلوا نعمة الله تعالى عليهم دليلاً على رفعتهم ومكانتهم عند ربهم تعالى وموجبة لِكِبْرهم وعلوهم.

٩ ـ شعور أهل الباطل بالمعركة الدائرة بينهم وبين أصحاب الحق ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فهذه السخرية دليل ذلك الشعور.

١٠ ـ العبرة بكمال النهايات ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾.

١١ ـ العلو الحقيقي والمعنى الكبير للحياة علو الإيمان والتقوى والطاعة والتمسك بشرع الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ والموازين الحقيقية موازينُ الآخرة.

١٢ ـ لا تتحسّر على فائت، فللّه تعالى حكمة يُجْرِي فيها أقداره كيف يشاء ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

١٣ـ الدعاة إلى الله تعالى مكلّفون بدلالة الخلق على الله تعالى ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ وهي مهمة الرسل، وهم أتباعهم على الطريق.

١٤ـ أثر الكلمة في توسيع مساحات الدين، ودورها في تحقيق مراد الله تعالى في العالمين ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ ولا يمكن أن تقوم الدعوة بدورها بشارةً ونذارةً إلّا عن طريق الكلمة المؤثرة.

١٥ـ لا قيمةَ للعقلِ دون الوحي ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ وما يصنع عقل إنسان دون أن يهبه الله تعالى من أثر وحيه وهداه!

١٦ـ الخلاف واقع لا محالة ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ ومن فَقِهَ هذا المعنى أدرك كيف يتعامل معه، ويحقق من خلاله مصالح الدارين.

١٧ـ الخلاف شرٌّ أياً كان مستوى هذا الخلاف ودوره ورقعته ومساحته ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾.

١٨ـ من شقاءِ طالبِ العلمِ وسوءِ طريقه أن يكونَ العلمُ الذي تلقّاه سبباً في الفرقة والخلاف ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ وكل علم لا تتحقق منه غايات الاجتماع والائتلاف، فلا خير فيه في حياة إنسان.

١٩ـ الأعمال الظاهرة تبع لما في القلوب ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ لمّا خربت القلوب جاء البغي نتيجةً لذلك الخراب.

٢٠ ـ الإيمان والعمل الصالح وصدق النية موجبٌ للنجاة في الدارين ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾.

٢١ ـ النجاةُ من الخلافِ والفرقةِ وسوءِ الظنِّ والنزاعِ هدايةٌ واصطفاءٌ وتوفيقٌ من ربِّ العالمين ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

٢٢ ـ الهداية والاستقامة توفيق من الله تعالى ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

٢٣ ـ الاعتداد بالقوة والمهارات الشخصية والقدرات البشرية سببٌ للخسران ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ مَنْ نحنُ لولا الله! كم من متَّكلٍ على قواه لم يجنِ سوى الخذلان!

٢٤ ـ الابتلاء جزءٌ من تكاليف الطريق ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾.

٢٥ ـ النهايات مُكْلِفَةٌ وشاقَّةٌ، وتحتاج إلى عناء ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ إياك أن تتخيّل أنك ستبلغ آمالك على أكفِّ الراحة!

٢٦ ـ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ عزاء وسلوة للمكلومين والمظلومين والمطرودين والمسجونين في طريق الحق.

٢٧ ـ سنن الله تعالى لا تحابي أحداً من خلقه ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ حتى الأنبياء لقوا في الطريق لأواءه، وعاشوا مَضَضَهُ ومشاقّه.

٢٨ ـ مهما طال الطريق، فثمّة نهايةٌ لكلِّ تلك المعاناة ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ واصلْ سيرك، وثِقْ بربك، وابذلْ جهدك، وستعانق أمانيك.

٢٩ ـ النصر الحقيقي أن تحتسب تكاليف الطريق في سبيل الله تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ ولا تتوقف لعارض من العوارض.

٣٠ ـ إدارة الأولويات ضرورة يجب أن تأخذ حظَّها في حياة كل سالك في الطريق ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾ فبدأ في النفقة بالأهم ثم المهم والأقرب فالأقرب.

❀ ❀ ❀

كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا
وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ
وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ
فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ
وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ
أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن
دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ
فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا
وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ
﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ۞
يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ
وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا
يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ
تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ

التفسير

• ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ فُرِضَ عليكم قتال أعداء الله من الكفار ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ أي القتال تكرهه نفوسكم، ولا تحبه ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لعل الخير فيما تكرهـون ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ ولعل الشَّرَّ فيما تحبّون وتشتهون ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما فيه صلاحكم وفلاحكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ من ذلك شيئاً.

• ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي الصحابـة ﴿عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ هل يقاتلون في الشـهر الحرام ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ عظيم ومسـتنكر عند الله تعالـى ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ بـالله تعالـى ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ﴾ رسول الله ﷺ وصحابته ﴿مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أعظم جرماً وإثماً من القتال في الشـهر الحرام ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ وهي الصدُّ عن سبيل الله تعالى، ومنع الناس من الإيمان ﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ أعظم منه ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي الكفار ﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ إلى ذلك سبيلاً ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ فيكفر به ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ مرتدٌّ عن الدين ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ بطلت ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ لا يخرجون منها.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ تركوا ديارهم وهاجروا إلى ديار الإسلام رغبة في إقامة دينهم ﴿وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فقاتلوا أعداء هذا الديـن ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ يأملون في بلوغها ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ بالمؤمنين.

• ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ ﴾ أي الصحابة ﴿عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾ وهو: كل ما أسكر على وجه اللذة والطرب ﴿وَٱلْمَيْسِرِ﴾ وهو كل معاملة دارت بين غانم وغارم ﴿قُلْ فِيهِمَآ﴾ أي الخمر والميسر ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ مخالفة كبيرة ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ كالتجارة واللذة ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ أعظم وأشد ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ من أموالهم ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ ما زاد عن الحاجة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ هذه الأحكام ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ يبين الله تعالى بها آياته ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾.

التدبر

١ ـ في الشريعة من الأحكام ما يتعارض مع شهوات النفوس ويخالفها ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ وفي ذلك من المقاصد والآثار على المكلف ما فيه.

٢ ـ كم من مكروهٍ على النفوس، وفيه سعادتها في الدارين! ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

٣ ـ كم من محبوبٍ عاجلٍ فيه عطب الإنسان وفساده ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ وما أكثر ما يستعجل الإنسان شيئاً فيودي به إلى الخسران!

٤ ـ مغالبة النفوس في البدايات مؤذنٌ لها بالفرح في الخواتيم ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وهذا الخير كما هو من نتائج العمل، كذلك هو في اللذة به، والرغبة فيه، والاستمرار عليه.

٥ ـ للشريعة مقاصد وغايات كبرى ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ليس بالضرورة أن تعرف كل شيء، يكفيك أن تتمثّل شريعة ربك، وتعلم أن ما ينتظرك خير.

٦ ـ الإنسان أجهل ما يكون بالخير ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ وإذا كان كذلك، فعليه أن يحسن التوجه إلى ربّه، ويسأله التوفيق للخيرات!

٧ ـ ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ دعوة ألا تتقدّم إلى أمرٍ أو خيارٍ أو عرضٍ عاجلٍ دون أن تستخير الله تعالى فيه.

٨ ـ عليك أن ترضى بما يكتب الله تعالى لك في النهاية ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ فإنه أعلم بما يصلح لك في الدارين.

٩ ـ للشريعة حرمات يجب تعظيمها والقيام بحقوقها ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

١٠ ـ أسئلة الفرد أو الجماعة فرع عن صلاح القلوب وفسادها ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِ﴾ والألسن مغاريف القلوب، هؤلاء سألوا لمعرفة أمر الله تعالى؛ وآخرون يسألون ليعوِّقوا طريقاً، أو يهدموا صرحَ فضيلةٍ، أو يغلقوا باباً في وجه برٍّ وخير.

١١ ـ في شريعة الله تعالى أوقاتٌ وأزمانٌ معظّمة لها حرمة، لا يحل الاستهانة بشيء من تلك الحرمات ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ﴾ وهذه الأشهر المشار إليها هي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وشهر رجب.

١٢ ـ الذنب يعظم بحسب الزمان والمكان الواقع فيه ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ﴾ فإياك وانتهاك الحرمات!

١٣ـ الفتنة في الدين أعظم الفتن التي تواجه الإنسان في حياته ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ وما عدا ذلك من الفتن فهي أقل شأناً وأثراً.

١٤ـ كل وسيلةٍ، أو وظيفةٍ، أو مقامٍ، أو عملٍ، يحول بين الإنسان وتمكينه من إقامة دينه، هي من الفتن التي يجب أن يحذر منها الإنسان ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾.

١٥ـ الصراع بين الحق والباطل أزليٌّ إلى قيام الساعة ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ فلا تستطل الطريق، أو تستثقل همومه وأحماله.

١٦ـ لا مطمع لك في عدوٍّ يدرك الحرب الدائرة بين الحق والباطل ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ وإن كان الواجب على كل مقتدرٍ البلاغُ بحسبه وإمكانيته.

١٧ـ الشعور بالمعركة بين الحق والباطل أحد مقومات النصر والتمكين ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ وأي فردٍ أو جماعةٍ أو أمّةٍ لا تعيش هذا الشعور الوجداني، لا يمكن أن تحمل سلاحاً في وجه عدوها، مهما طال زمان ذلك الصراع.

١٨ـ أول دلائل الهزيمة في واقع أمة، موت شعورها بأن لها عدواً يطاردها، ويحاول أن يستبيح حماها ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾.

١٩ـ الردة محبطة للعمل، مجهضة لتاريخه، مُضيّعة لكل مساحات جهده ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

٢٠ ـ الأهداف المجهدة في تكاليفها مبهجة في نهاياتها ونتائجها ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ آمنوا وهاجروا وجاهدوا فكانت النتائج على قدر تلك التحديات.

٢١ ـ تعاهد نيتك، فعليها مدار الفلاح في الدارين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ في سبيل الله دعوة لذلك المقصد العظيم.

٢٢ ـ من كمال عقلك استصغار ما تقوم به من عمل، وعدم الاعتداد به، والنظر إليه بعين القلة في جنب نعم الله تعالى عليك ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ تأمل هؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا ومع كل ذلك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ ﴾ هذا والله الفقه!

٢٣ ـ الرجاء في رحمة الله تعالى وتوفيقه وعونه وسداده لا يأتي إلَّا بعد العمل الجاد والتضحيات الكبيرة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ لا رجاء الكسالى القاعدين!

٢٤ ـ من كمال عقلك وحسن إدارتك لنفسك أن تتدرج معها في برامج التأهيل التي تريدها لبناء مستقبلك ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾.

٢٥ ـ إذا أردت أن تبني مترببياً، فترَفَّق به في بداية الطريق، وابدأ معه متدرّجاً، واسلك معه سبل التشجيع والتحفيز ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾.

٢٦ ـ جاء الدين لتحصيل المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتقليلها ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾.

٢٧ ـ الأفكار والمفاهيم وبناء التصورات من أكثر ما عُنِيَ بها الوحي ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ ولولا هذه المعاني لم يستقم حال إنسان!

٢٨ ـ إدارة الأولويات من أكثر المفاهيم أثراً في نجاح الإنسان أو تخلفه ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ بيّن لهم أن دفع الحاجات أفضل من الإنفاق، ثم أمرهم بإنفاق العفو، وهو ما زاد عن الحاجة.

٢٩ ـ لله تعالى حِكَمٌ ومقاصد وآثار من التشريع، ينبغي أن تأخذَ حظَّها من القراءة والتأمل والتفكير ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾.

٣٠ ـ لَفْتُ نظر الناس إلى مقاصد العبادات من أعظم ما ينبغي أن يُعْنَىٰ به الدعاة والمصلحون ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ ﴾.

❀ ❀ ❀

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ
فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ
يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا
تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ
أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ
وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾
وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى
ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ
حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾
نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟
ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ
ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ
وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾

التفسير

• ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ كيف تتعاملون معهم؟ ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ عاملوهم بما يقتضي الإصلاح في أموالهم ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ بأن تجمعوا طعامكم مع طعامهم ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ فهم إخوانكم في الدين ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ يعلم من يريد إصلاح أموالهم، ومن يريد أكلها وإفسادها ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ لشقّ عليكم في أمر اليتامى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا غالب لأمره ﴿حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ في تدبير أمره وخلقه.

• ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ لا تتزوجوا المشركات بالله تعالى حتى يؤمِنَّ بالله تعالى ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ امرأة مؤمنة ﴿خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ من امرأة مشركة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ في جمالها وخلقها ومالها ونسبها ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ لا تُزوِّجوهم ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ﴾ بالله تعالى ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ﴾ بالله تعالى ﴿خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ بالله تعالى ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ في جماله وأخلاقه ونسبه وماله ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ أي المشركون ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ بشركهم ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾ بالحثّ على الأعمال الصالحة ﴿وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾ ومغفرة الذنوب بالحثّ على التوبة ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بإرادته وتوفيقه ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾ فيظهرها ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ يتعظون.

• ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ عن حكمه ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ قذر وضرر ﴿فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ اجتنبوهنّ ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ تجامعوهنّ ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ حتى يطهرن من الحيض بانقطاعه ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ اغتسلن ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾ جامعوهن ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ في الفرج ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ كثيري التوبة ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ من الأحداث والنجاسات.

• ﴿نِسَآؤُكُمْ﴾ زوجاتكم ﴿حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ من أي جهة شئتم بشـرط أن يكون في موضع الحرث، وهو القُبل ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ من الطاعات ما ينفعكم عند الله تعالـى ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بفعل أوامره، واجتنـاب نواهيه ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ فيجازيكم على أعمالكم ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣)﴾ بما يجدون يوم القيامة من جزاء.

• ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ﴾ لا تجعلوا أيمانكم التي حلفتموها مانعـة وحائلة بينكم وبين البر، والتقوى، والإصلاح بين النـاس؛ فإذا رأيتم نقضها خيراً، فافعلوا ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ (٢٢٤)﴾ بأفعالكم.

• ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ﴾ لا يحاسـبكم ﴿بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ بالأيمان التي تجري على ألسنتكم من غير قصد كقول الإنسـان: لا والله، وبالله، وبلى والله ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم﴾ يحاسبكم ويؤاخذكم ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ باليمين التي قصدتموها، وعقدتم عليها قلوبكم، وهذا في الحال التي يعقدها صاحبها ويحنث فيها ولا يكفرها ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿حَلِيمٌ (٢٢٥)﴾ لا يعاجل بالعقوبة.

١ ـ أثر النية وخطرها في شؤون الإنسان الخاصة والعامة ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِـدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾.

٢ ـ أثر السـؤال في بيان أحكام الشـريعة ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْيَتَٰمَىٰ﴾ وكلُّ سؤالٍ يترتب عليه عمل فهو من دلائل توفيق صاحبه.

٣ ـ يُسْرُ الشريعة وسماحتها ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ لم تكلّفهم أن يفرزوا أموال اليتامى عن أموالهم، أو تحرِّج عليهم الخلطة بهم، لما في ذلك من العسر على المكلّف.

٤ ـ مصالح الدين أولى المصالح، وأهمها على الإطلاق ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ فجعل التفاضل على دين الله تعالى، ولم ينظر إلى غيره من الصفات.

٥ ـ قرارات الإنسان مهما بلغ شأنها وأثرها مبنيّةٌ على دين الله تعالى، ولا ينبغي بحال أن تخرج عن ذلك ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾.

٦ ـ صفة الدين أولى وأهم صفة في اختيار الزوج رجلاً كان أو امرأة ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾.

٧ ـ اللذة العاجلة لا عبرة بها في مقابل نعيم الآخرة ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾.

٨ ـ خطر مصاحبة أهل الكفر والفسق والبدع والانحراف ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾.

٩ ـ الحضُّ على مصاحبة أهل الإيمان والصلاح والتقوى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾.

١٠ ـ أثر الخلطة وعاقبتها على صاحبها ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ وإذا نهى الله عن الزواج من المشركة والمشرك مع ما فيه من مصالح؛ فالنهي عمّا سوى ذلك من باب أولى. وكم من خلطة أفقدت الإنسان دينه، وأودت به إلى سوء الخواتيم!

١١ ـ مسؤولية الأولياء بين يدي الله تعالى ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ﴾ فقد أوكل الله تعالى إليهم اختيار الأصلح لمن يتولون شؤونهن.

١٢ ـ ضعف المرأة وحاجتها إلى وليّ يقوم بأمرها وشؤونها، ويعينها على قراراتها المستقبلية في حياتها ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ﴾ وهذا أمر عام يجري في كل شيء، ولولا أثره عليها لما كان صحة نكاحها مبنية على هذا المعنى «**لا نكاحَ إلّا بوليٍّ**»(١).

١٣ ـ الأصل في أحكام الله تعالى أنها معلّلة مبيّنة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾.

١٤ ـ يجب أن يكون الدين محور كل قرارٍ يتخذه الإنسان في حياته ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾ أيّاً كان ذلك القرار سواء كان زواجاً أو وظيفةً أو سفراً أو شركة أو أي شيء.

١٥ ـ جمال دين الله تعالى وأناقته ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٨٥) والترمذي (١١٢٦) وابن ماجه (١٨٨١) وأحمد (١٩٥١٨).

ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ يزرع في الإنسان معاني الطهر والنظافة، ويباعده عن كل ما يعارض ذلك.

١٦ ـ أهمية السؤال وأثره في بيان أحكام الشريعة ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِ﴾ وكل سؤال ترتب عليه علم فهو حقيق بالإجلال!

١٧ ـ لا يُستحيا من سؤال العلم ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِ﴾ وكم من سؤال تركه الإنسان، وتوقّف عليه عمله، وهو أحوج ما يكون إليه!

١٨ ـ محبة الله تعالى للتائبين والمتطهرين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾.

١٩ ـ من كمال عقلك وفقهك في دينك أن تلوذ بربك في يومك وليلتك، وتتوب إليه من كل خاطرٍ في طريقك، وتسأله الصفحَ والعفوَ والغفرانَ، فإن ذلك موجب لمحبّته، وداعٍ إلى غفرانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾.

٢٠ ـ ينبغي ألّا يغيب عن ذهنك أن طهارة قلبك من الغل والحسد والغش والنفاق تقودك إلى موارد الخيرات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾.

٢١ ـ جمال دين الله تعالى ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ فكما أنه نظّم العلاقة بين الإنسان وربه، نظّمها كذلك في أخص أحوال الإنسان مع الإنسان وزوجه في حال الفراش.

٢٢ ـ الجماع في حال الحيض مع قبحه وتحريمه موجبٌ لنيل صاحبه العقوبة في الآخرة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾.

٢٣ ـ لله تعالى حدود وحرمات يجب أن تعظَّمَ وتقدَّرَ، وتأخُذَ حظَّها من حياة كلِّ إنسان ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾.

٢٤ ـ جماع الرجل لأهله بنيَّة إعفاف نفسه وزوجه من القربات التي يتقرّب بها الإنسان إلى ربه ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ في معرض تعامل الرجل مع زوجه زمن الحيض والطهر.

٢٥ ـ ابتغاء الولد من الأعمال الصالحة التي ينتظر الإنسان برها وأثرها ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ وكم من ولدٍ عاد على أبيه بالخيرات! لكن ينبغي ألّا تفوت النية في مثل هذه المواطن، فإنها أقرب ما تكون إلى النسيان!

٢٦ ـ تعامل الرجل مع زوجه وفق مراد الله تعالى موجبٌ لصاحبه الإيمان ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٢٧ ـ إقامة حدود الله تعالى موجبٌ لصاحبه بشائرَ الخير ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾.

٢٨ ـ معاشرة الرجل لزوجه وسيلة لغايات كبرى ومصالح شتى ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾.

٢٩ ـ لا ينبغي أن يحول بينك وبين صنائع المعروف شيء ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ لو حلفت ألا تفعل معروفاً، كفِّرْ عن يمينك، وأتِ الذي هو خير.

٣٠ ـ الحنث في اليمين من أجل عمل الخير أولى، وأفضل عند الله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ وفي الحديث: «**لا أحلفُ على يمينٍ فرأيتُ غيرَها خيراً منها، إلّا أتيتُ الذي هو خيرٌ، وكفّرتُ عن يميني**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٢١).

٣٢ ـ لا تدَّخر من جهدك شيئاً في مشروع برٍّ وخيرٍ وإصلاح ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ فإذا كان الله تعالى منع أن تكون اليمين التي حلفها الإنسان مانعاً من البر، فكيف إذا لم يكن في الأصل يمين؟!

٣٢ ـ عظم أثر إصلاح ذات البين ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ وقد نصَّ الله تعالى عليه مع أنه داخل في البر والتقوى للعناية والاهتمام به.

٣٣ ـ عظم أثر النية في عمل الإنسان ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ ألا تراه ختم الآية بهذين الاسمين ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يعلم ما تقصدون، ويسمع ما تقولون.

٣٤ ـ من كمال توفيقك ألا تجعل مانعاً بينك وبين الخير الذي تريده ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾.

٣٥ ـ كم مرة اعتذر عن المشاركة في مشروع لحاجةٍ عارضة، كان يمكن أن يدفعها عن طريقه ويمضي للخير! ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾.

❀ ❀ ❀

لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾
وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ
أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ
ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ
ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا
يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا
يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا
فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ
تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ
أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

التفسير

• ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾ فيحلفون ألَّا يطؤوا نساءهم مطلقاً أو مقيداً بأربعة أشهر أو أكثر ﴿تَرَبُّصُ﴾ انتظار مدة ﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو﴾ أي الأزواج بأن رجعوا إلى نسائهم، وتركوا الإيلاء الذي فرضوه على أنفسهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم على حلفهم وحرمان زوجاتهم من حقوقهن ﴿رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾﴾ بالمؤمنين.

• ﴿ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ ﴾ قصدوه، ولم ينووا الرجوع ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾ بأفعالهم.

• ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي ينتظرن ﴿بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ ثلاث حيضات ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ﴾ أي للنساء المطلقات ﴿أَن يَكْتُمْنَ﴾ يخفين ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ من الحيض أو الولد ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ فإنّ مقتضى الإيمان بالله تعالى يوجِبُ عليهنّ ذلك ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ أزواجهن ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي لهم الحق في ردهن إليهم ﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا﴾ على أن يكون قصده من ردها الإصلاح ﴿وَلَهُنَّ﴾ أي الزوجات ﴿مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ للمرأة من الحق على زوجها مثل الذي عليها من الحق ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ زيادة في الحق ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ لا غالب لأمره ﴿حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ في تدبير أمره وخلقه.

• ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ الطلاق الذي فيه الرجعة مرتان؛ يطلق ثم يراجع، ثم يطلق ثم يراجع ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ﴾ فإما إمساك بمعروف بعد ذلك، وهو المعاشرة الحسنة الطيبة ﴿أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ وإما طلاق بإحسانٍ لا سوء فيه ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أيها الأزواج إذا طلقتموهنّ ﴿أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ

ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ أعطيتموهـــنّ ﴿شَيْـًٔا ﴾ من المـــال أو الحلي ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ ﴾ يتوقعا ويخشـــيا الزوجان ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ شرائعه في حق بعضهما البعض ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ ألا يَفِي كل واحد منهما بحق صاحبه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ على الزوجيـــن ﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ﴾ فيما دفعته المرأة من مالٍ لزوجها لتفتدي نفســـها منه ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾ ما مضى من الأحكام ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ فلا تجاوزوها ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ يتجاوزها ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ المنقصون لحقوق الله تعالى.

• ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا ﴾ طلّق الزوج زوجته الطلقة الثالثة ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ ﴾ من بعد ذلـــك الطـــلاق ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾ حتى تتزوج مـــن آخر، ثم يجامعها ذلك الزوج، ﴿فَإِن طَلَّقَهَا ﴾ رغبة عنها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ ﴾ من جديد هي وزوجها الأول بعقدٍ جديـــد ﴿إِن ظَنَّآ ﴾ أي الزوجان ﴿أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ فيمـــا بينهمـــا ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا ﴾ يوضّحها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ ﴾ هذه الشرائع وحدودها، ويقومون بها كما أمر الله تعالى.

التدبر

١ ـ الإسلام دين يحكم علاقات الإنسان مع غيره، وينظّمها، ويرتبها، ويوجّهها إلى مقاصدها الكبرى ومصالحها العظمى ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ

شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ ﴾ وهـي دعوة إلى رؤية كمال هذا الدين وجماله وذوقه وشموليته.

٢ - لم تدع الشريعة سؤالاً خالياً من الجواب، وكل ما يجري بين الزوجين بيّنته وعرّفت به.

٣ - تعامل الرجل مع زوجه شريعة ودين ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ توعّد الله تعالى المخالف فيها بأنه يسـمع كلامه، ويعلم صنيعه ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾.

٤ - تحرم الشريعة الظلم والعدوان، وتنهى عن كلّ ضررٍ يلحق بالآخرين ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ فحدَّ الإيلاء بأربعة أشهر، وجعل ترك ذلك الحلف موجبٌ للغفران.

٥ - التوبة موجبةٌ لغفران الذنوب ﴿ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فلا تسـتكثر على ربك شيئاً.

٦ - جمال هذا الدين؛ حيث جعل فرصة كافية للزوجين بعد طلاقهما أن يراجعا فيه حالهما، وينظرا الأصلح لهما ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ وكم كان هذا الأمد مفضياً إلى كثير من الخيرات!

٧ - الإنسان مسؤول عن نفسه ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ فجعل المرأة هي المسؤولة عن ما في رحمها من ولد، وحذّرها من كتمان ذلك.

٨ ـ قاعدة الأعمال ومردّها إلى نيّات أصحابها ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗا﴾ فصحّة الرجعة معلّقةٌ بصلاح النية، وهذا الأمر في كل باب من أبواب المعاملات.

٩ ـ القاعدة في معاملة الزوجين بعضهما بعضاً مردّها إلى العرف ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ وهذه قاعدة تجري في كل شيء ممّا لم يحدّه الشارع.

١٠ ـ للرجال على النساء درجة ومنزلة ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞ﴾ كالقوامة، وأمرِ الطلاق ونحو ذلك. وهذا حكم الله تعالى، وهو أعلم بخلقه، وأحكم بشرعه، وكل ناعق منكر هذا المعنى، فإنما أوتي من ضعف عقله، وسفه نفسه، والانحراف لا حدود له!

١١ ـ للشريعة حدود لا يجوز تجاوزها بحال ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ فمن طلّق فوق هذا العدد، فقد جاوز القدر الذي حدَّدته الشريعة، وأصبحت زوجه امرأةً غريبةً عنه لا علاقة له بها.

١٢ ـ إذا تعسّرت العلاقة بين الزوجين، فمن الواجب أن تجري في حدود المعروف بينهما ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ إنّ الحياة التي بُنِيَتْ على الحب عند اللقاء، يجب ألا تتخلى عنه عند الفراق! ومن وعي الإنسان أن يرعى حق أيام سالفة، وأحداث ماضية، وألا يكون الفراق على جزع وأحزان.

١٣ ـ من كمال العشرة وحق الوفاء ألا يأخذ الزوج مما أعطى زوجته شيئاً وفاءً لحقوق تلك الأيام ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا﴾ يكفيها جرح الفراق!

١٤ ـ جمال الشريعة وحسن نظامها ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا

﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ جعل الشــارع الطلاق بأمر الزوج، ومع ذلك مكّن المرأة من الخُلع دون إذنه إذا عسر عليها البقاء معه، تدفع مالاً للفكاك، ويكون خلاصاً لها من صحبته.

١٥ ـ الشريعة أقامت للأسرة حدوداً لا يجوز تجاوزها بحال ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ وهــذه من معالــم جمال هذا الدين وأناقته.

❀ ❀ ❀

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُوا۟
نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ
يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾
وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ
أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ
مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۗ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ
حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ
وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ
فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ
أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ
ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

التفسير

• ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربن انقضاء عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ ردوهنّ إلى عصمة الزوجية ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ طلّقوهنّ بمعروف ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ فتعيدوهن إلى الزوجية من أجل الإضرار بها ﴿لِّتَعْتَدُوا۟﴾ عليهن بذلك الفعل ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ يمسكهنّ مضارة بهنّ ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ جلب لنفسه الإثم والعقوبة ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ على سبيل الاستهزاء واللعب والاستخفاف ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بألسنتكم وقلوبكم وقوموا بحقّها من الشكر ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم﴾ واذكروا كذلك من الأحكام ﴿مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾ السنة ﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ يذكركم به ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ فلا تخفى عليه خافية.

• ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ انتهت عدة طلاقهنّ ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ لا تمنعونهنّ أيها الأولياء ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ فلا تمنع المرأة من نكاح زوجها الذي طلقها دون الثلاث، وانتهت عدتهن، وأراد الزوج أن يتزوجها بعقد جديد ﴿إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ﴾ ما ذكر من الأحكام ﴿يُوعَظُ بِهِۦ﴾ يذكّر به ﴿مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ فإنه أحق بالذكرى من غيره، لما معه من الإيمان ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ تلك الأحكام التي وردت ﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ في أعمالكم ﴿وَأَطْهَرُ﴾ لقلوبكم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ ما فيه مصلحتكم.

• ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ﴾ اللاتي لهنّ أبناء إذا افترق الزوجان وبينهما ولد ﴿يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ عامين كاملين ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ فتمامها

حولين؛ وإن اقتصر على ما دون الحولين، فله ذلك ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ الزوج الذي له ولد يرضع ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ رزق أم الطفل وكسوتها بما تعارف عليه الناس، وهذا في حق المطلقات ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ﴾ في النفقة ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الذي تستطيعه ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾ لا يحلُّ أن تضار الوالدة بسبب ولدها، فتُمنع من إرضاعه، أو لا تُعطى ما يجب لها من النفقة والكسوة والأجرة ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ بأن تمتنع من إرضاعه على وجه المضارة له، أو تطلب زيادة في إرضاعه ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ وعلى وارث الطفل إذا لم يكن له أب، وكان الطفل لا مال له، مثل ما على الأب من النفقة للمرضع والكسوة ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ الأبوان ﴿فِصَالًا﴾ فطام الصبي قبل الحولين ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا﴾ من الأبوين ﴿وَتَشَاوُرٍ﴾ بينهما ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فلا إثم عليهما في فطامه قبل الحولين ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ من غير أمهاتهم على غير وجه المضارة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ لا إثم عليكم في ذلك ﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أعطيتم ما اتفقتم عليه في العقد على الإرضاع ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣)﴾ فيجازيكم على ذلك.

١ ـ كفلت الشريعة للمرأة حقوقها، وحرَّمت كل طريق يفضي لضياع هذه الحقوق وذلك في خطابها للأزواج ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ أو في خطابها للأولياء ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ

أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾.

٢ ـ سوء التعامل مع المرأة، وقصد الإضرار بها من اتخاذ آيات الله تعالى هزواً ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾.

٣ ـ الوفاء بحقوق الآخرين، والتعاطي معهم وفق ما أمر الله تعالى من دلائل التقوى ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾.

٤ ـ قيام الأولياء بحقوق بناتهم، وتيسير أمورهن، ورعاية شؤونهن، وفق ما أمر الله تعالى طريق للتقوى والزكاء والطهارة ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾.

٥ ـ شريعة الله تعالى أعظم نعم الله تعالى على الإنسان ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ ولو لم يكن في ذلك إلّا هذا البيان الكبير الذي تُوْلِيْهِ لحلول مشكلات الإنسان وعوارض حياته لكانت كافية.

٦ ـ تنظيم الإسلام لأحوال الخلق، ورعايته لحقوقهم، وبيانه لكل ما يتعلق ببناء العلاقة فيما بينهم ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ

مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾ منعت الشريعة الزوجَ من الإضرار بزوجه، ونهت الأولياءَ عن العضل، وحرّمت على الزوج منع المطلقة من إرضاع ولدها بقصد الإضرار، وبيَّنت الطريق الأسلم في إدارة الخلاف، وذكّرت بالله تعالى في كل تصرف وتعامل في هذا الجانب.

❀ ❀ ❀

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ
أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ
فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ
أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ
سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ
حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ
فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن
طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى
ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ
فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ
عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ
بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

التفسير

• ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا﴾ أي إذا مات الرجل وفي عصمته زوجة أو زوجات ﴿يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ ينتظرن ﴿أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗا﴾ هذه المدة هي حق الزوج ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ انتهت هذه المدة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أيها الأولياء ﴿فِيمَا فَعَلۡنَ﴾ مَنْ تُوُفِّيَ عنها زوجها ﴿فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ من زينة وطيب، ونحو ذلك ما دام في حدود المعروف ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٣٤﴾ عالم بأعمالكم لا يفوت عليه منها شيء.

• ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ لا إثم ﴿فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ بأن خطبتم نساءً على وجه التعريض، كأن يقول: أخبريني إذا انتهت عدتك، أو مثلك يُطلب، ونحو ذلك. وهذا في حق المعتدة من وفاة، أو المبانة من زوجها، يجوز للخاطب التعريض في خطبتها، ويحرم عليه التصريح بخطبتها، وإنما حرم التصريح حتى لا تستعجل في قضاء عدتها ﴿أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ ولا جناح عليكم إن أخفيتم وأضمرتم في أنفسكم الرغبة فيهن ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ﴾ في أنفسكم وعند من تحبون ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ بالتصريح لها برغبتك في نكاحها ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ وهو ما كان على سبيل التعريض ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ ولا يحلّ لكم أن تنووا العقد بالزواج ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ حتى تنقضي عدتها بالكلية ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ لا يخفى عليه شيء من ذلك

﴿فَٱحۡذَرُوهُ﴾ اتقوا سخطه وعقابه ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿حَلِيمٞ ٢٣٥﴾ لا يعاجل بالعقوبة.

• ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ لا إثم ﴿إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ﴾ قبل أن تمسوهنّ بجماع ﴿أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ﴾ وقبل أن تسمُّوا لهنّ مهراً محدداً ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن شيئاً من المال يجبر نفوسهنّ بفراقكم ﴿عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ قدر سعته ﴿وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ﴾ الفقير ﴿قَدَرُهُۥ﴾ كذلك ﴿مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ لهن بما يقتضيه العرف ﴿حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٣٦﴾ واجباً عليهم.

• ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ تجامعوهنّ ﴿وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ﴾ سمَّيتم لهن مهراً ﴿فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ﴾ فلهنّ منه النصف ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ﴾ تعفو عنه الزوجة، وتسامح فيه زوجها ﴿أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ أو يعفو الزوج، ويسلمها المهر كاملاً ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ﴾ أي الزوج أو الزوجة ﴿أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ فذلك العفو أقرب للتقوى من أخذ ذلك الحق ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ﴾ الإحسان فيما بينكم، فإنه عظيم جليل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٧﴾ فيجازيكم على عدلكم أو فضلكم.

التَّدَبُّر

١ـ عظم حق الرجل على زوجه ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٣٤﴾ فقد أوجب الله تعالى عليها العدة ـ هذا القدر من الزمن ـ وحرّم عليها الزينة في تلك الأيام وفاءً لحقه، وهذا الحق لا يشاركه فيه إنسان.

٢ ـ تحريم التعدي على الآخرين ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ وهذا الإذن في حق المعتدّة من وفاة، والمبانة من زوجها فحسب، وما عدا ذلك، فهو على التحريم.

٣ ـ وسيلة المحرّمِ محرّمةٌ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ فأباح الله تعالى التعريض، وحرم التصريح؛ لأنه يخشى منه أن يفضي إلى الاستعجال في قضاء العدة وحصول المحرّم.

٤ ـ مراعاة الشريعة لمشاعر الإنسان ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ علمت رغبته الجامحة في هذا الطريق، فأذنت له في التعريض تلبية لتلك المشاعر التي لا يتمكّن من الصبر عليها حتى انقضاء العدة.

٥ ـ جمال الشريعة وأناقتها تلبّي احتياجات الإنسان الشعورية والنفسية، وتضبط انحرافاته في الوقت نفسه ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ فأذنت له في التعريض، وحذّرته من المواعدة سرّاً، لما في ذلك من خوف التعدِّي على حدود الله تعالى.

٦ ـ من كمال دورك مع مَنْ تربّيه تذكيره بتقوى الله تعالى، وأن الله تعالى مطلع

على أحواله وأموره وشؤونه، وربط كل قضية بهذا المعنى الكبير ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

٧ ـ الإنسان روح وجسد، وينبغي للدعوة أن تتعامل مع ذلك الإنسان وفق هذا المعنى، وتراعي في مشوارها معه ظروفه وأحواله ومشاعره ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

٨ ـ رعاية الإسلام لشؤون الأسرة وترتيبه وتنظيمه لكل ما يتعلّق بها، سواء في أيام الوفاق أو الخلاف والفراق ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ وإن ديناً يرعى حتى مسائل الخلاف، ويضبط شأنها، ويقيم لها شأناً لهو دينٌ حقٌّ!

٩ ـ رعاية الإسلام لمشاعر الآخرين وعنايته بها ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لا تتركها للفراغ، والحياة البائسة، وحالات الضياع، وسؤال الآخرين، ضع في يدها ما يعينها على مواجهة صعوبات الحياة، وضع في قلبها ومشاعرها ما يعينها على لحظات فراقك وضياعك من حياتها.

١٠ ـ العفو عن الحقوق في زمن الطلاق من دلائل التقوى ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ لا يترفع عن الحقوق في تلك اللحظات إلّا كبير! ولا يعينه على ذلك مثل التقوى!

١١ ـ ما لا ينبغي أن يفوت في كل موقف من مواقف الحياة ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ سـواء مع الوالدين أو الإخوة، أو زوجة رضيت بـك زوجاً في طريق الحياة الطويل، أو قريـبٍ، أو صديق رضي بك صاحبـاً، أو خِلٍّ وهب لك من مشاعره يوماً ما.

١٢ ـ كلّما عرض لك موقفٌ من هـذه المواقف، وحدثٌ من هذه الأحداث يمِّمْ وجهك تجاه هذه القاعدة الكبرى ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾.

١٣ ـ على عتبـات هذه القاعـدة ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ تتكسّـر حظوظ النفوس، وتموت شهواتها.

١٤ ـ يا لجمال هذا الدين! يدعوك ألا تنسى مواقف الذكريات الطيبة ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾.

* * *

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ
﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ
كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ
مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ
غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ
فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾
وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾
۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ
ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُواْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى
يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ
يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

التفسير

• ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ بأن تقيموها في أوقاتها بشروطها وأركانها وواجباتها ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ وحافظوا على صلاة العصر خاصة لأهميتها ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ متذلّلين خاشعين.

• ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدوٍّ ونحوه ﴿فَرِجَالًا﴾ فصلّوا على أقدامكم ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ أو صلّوا على دوابكم ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ زال الخوف عنكم ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أديموا ذكره، ومن ذلك إقامة الصلاة ﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾ الله تعالى ﴿مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾.

• ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ من رجالكم ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ ويتركون من بعدهم زوجات ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ فعلى الأزواج قبل موتهم أن يوصوا لزوجاتهم ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ يُمتّعنَّ بعد موتهم حولاً كاملاً في بيوتهنّ سكنى ونفقةً، لا يخرجن منها ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ باختيارهنّ قبل الحول ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأولياء ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ من التزيّن رغبة في الزواج بما هو معروف غير منكر، وهذه الآية منسوخة بالآية التي فيها تحديد مدة العدة بأربعة أشهر ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ لا غالب لأمره ﴿حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ في تدبير أمره وخلقه.

• ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ ولكل مطلقة متاع بالمعروف، وهو كلّ ما تتمتع به المرأة؛ من مالٍ أو حليٍّ أو لباسٍ ونحو ذلك، حقاً على كل متّقٍ لله تعالى جبراً لخاطرها، وهذه المتعة واجبة على كل من طُلّقت قبل المسيس سُنّة في حق غيرها.

• ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ حدوده وحلاله وحرامه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾ تعرفونها وتفهمونها، وتعقلون ما فيها من أحكام.

• ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ خلق كثير وعدد كبير ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ خرجوا خوفاً من الموت من وباءٍ ونحوه ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ فماتوا جميعاً ﴿ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ﴾ بعد موتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ تفضَّل عليهم بكثيرٍ من النعم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ نعمه.

• ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ قاتلوا أعداء الدين من الكفار مبتغين في ذلك رضا الله تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ للأقوال ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾ بالأفعال.

• ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ فينفق ماله في سبيل الله تعالى ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ ﴾ يقلِّل في الرزق ﴿وَيَبْصُۜطُ ﴾ ويوسّع فيه ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ يوم القيامة.

التدبر

١ ـ أهمية الصلاة في حياة الإنسان، وأثرها الكبير في تكوين مستقبله في الدارين ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ ولولا ذلك المعنى لما كانت الوصية بها في أحلك الظروف، وأشد الأزمات التي يمر بها الإنسان.

٢ ـ عظم الصلاة، وصلاة العصر منها على وجه الخصوص ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾.

٣ ـ تعظيم الله تعالى من أعظم مقاصد الصلاة ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ مطيعين خاشعين متذلّلين لله تعالى، وما يصنع العبد بصلاة ليس فيها سوى الحركات؟!

٤ ـ ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ معنى يجب أن يتحرّك في قلبك ومشاعرك عند كل صلاة ينادى لها.

٥ ـ للأمن حقوق يجب أن تأخذ حظّها من واقعك! ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ هذا التشريع الذي يقرّره الله تعالى في حال الخائفين، فكم لله تعالى من اهتمامك في حال الأمن؟!

٦ ـ العلم منّة من الله تعالى على خلقه ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ كم هي آثار العلم على أصحابه لو كانوا يفقهون!

٧ ـ كل ما تراه في دينك، فإنما هو لِحكَمٍ وغاياتٍ كبرى ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾ يسوق الله تعالى الآيات والدلائل والأحكام لِتُفَقِّهَ الناسَ كيف يجري الله تعالى أحكام هذه الشريعة في نسق ونظام، لا يمكن أن يعرض له شيء من الخلل.

٨ ـ الإيمان يصنع مباهج الحياة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ خرجوا وَجَلاً من الموت، فتلقّاهم الموتُ في الطريق نفسه. حين نؤمن أن ما أصابنا لم يكن ليُخْطِئنا، وما أخطأنا لم

يكن ليصيبنا[١]، وأنّ الله تعالى قد كتب أجل الإنسان ورزقه وشقي أو سعيد. وهو في بطن أمه[٢] عشنا سعداء مبتهجين.

٩ـ عظيم فضل الله تعالى على خلقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ مَنْ نحن لولا الله تعالى؟! مَنْ نحن لولا توفيقه وستره وسداده وعونه لنا في طريق الحياة الطويل؟!

١٠ـ عظم فضل الصدقة وشأنها الكبير في استجلاب رضا الله تعالى ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ ومضاعفة الله تعالى لعبده الخير ومكاثرة أرزاقه دليل رضا وتوفيق.

١١ـ الصدقة لا تُنْقِصُ مال صاحبها، بل تزيده.. بل تزيده.. بل تزيده.. كما قال نبينا ﷺ[٣] ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾.

١٢ـ إذا أراد المربي أن يؤسس قضية في ذهن مَنْ يربيه فليذكّره بأمد الدنيا، وليقرّب له الآخرة، وليشعره أن مراد الله تعالى أحبُّ إليه من كل شيء ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

❀ ❀ ❀

(١) أخرج أحمد (٢٦٦٩) عن ابن عباس قال النبي ﷺ: «واعلمْ أنَّ ما أصابكَ لم يكن ليُخطِئَكَ وما أخطأكَ لم يكنْ ليصيبكَ».

(٢) معنى حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ وطرفه: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً» رواه البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣).

(٣) أخرج مسلم (٢٢٣) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقةٌ من مالٍ».

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ
لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ
عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا
لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا
وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ
وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٢٤٦ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ
بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ
عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ
قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ
وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ
عَلِيمٞ ٢٤٧ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن
يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ
مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٤٨

التفسير

• ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الأشراف من بني إسرائيل ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾ من بعد زمن موسى عليه السلام ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ عيّن لنا ملكاً ﴿نُّقَٰتِلْ﴾ معه ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾ لعلكم تطلبون القتال، ثم إذا كُتب عليكم تركتموه ﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وما الذي يمنعنا من القتال ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا﴾ بسبب العدو ﴿وَأَبْنَآئِنَا﴾ وسُبِيَتْ ذرارينا؟! ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾ فرض ﴿تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ ثبتوا وقاتلوا عدوهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ فيجازي كل ظالم بما يستحق.

• ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ مجيباً لهم إلى ما طلبوه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ فهذا هو الملك الذي طلبتموه ﴿قَالُوٓا۟﴾ أي الطالبين له: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ أي كيف يكون ملكاً علينا ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾؟! فهو ليس بأفضل منا ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ ولم يكن صاحب مال حتى يعطى الملك ﴿قَالَ﴾ نبيهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾ اختاره ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ وفضّله عليكم علماً وجسماً ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ من يريد ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ في فضله ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ بمن يستحق ذلك الفضل.

• ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ علامة ملكه ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ صندوق من الخشب ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في التابوت طمأنينة تصاحبه ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ

هَـٰرُونَ ﴾ وفيه علمٌ وحكمةٌ هي بقايا ما ترك آل موسى وآل هارون ﴿ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ تأتي به الملائكة تحمله، وهذا التابوت كان مفقوداً منذ زمن، فجاءت به الملائكة، وفيه هذه السكينة والعلم والحكمة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ التابوت ﴿لَأٓيَةً لَّكُمۡ ﴾ عبرة وعظة ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٤٨ ﴾ بالله تعالى.

١ ـ لا ينبغي تمنّي لقاء العدو ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ٢٤٦﴾ وهي وصية رسول الله ﷺ[1]، تمنّى هؤلاء لقاء العدو، ثم نكلوا عن المواجهة حين اللقاء.

٢ ـ لا ينبغي للإنسان أن يعرّض نفسه للفتن، فقد لا يقوى على مواجهتها ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ٢٤٦﴾.

---

(١) أخرج مسلم (١٧٤١) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لا تتمنّوا لقاء العدوّ، فإذا لقيتموه فاصبروا**».

٣ ـ نقض العهود والمواثيق ظلم يجب التنزه عنه ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وكم من موثّقٍ عقداً مع صاحبه، ثم اختلق الأعذار للفكاك منه، والخروج من تبعته!

٤ ـ لا تبنِ على أقوال الآخرين، ووعود الرخاء، وأحاديث المجالس حكماً أو قراراً، بل انتظر ساعات العمل والجد والتطبيق، تأتيك الأخبار ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ ۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ كم من حديثٍ في أوقات الرخاء، لم يبقَ منه شيءٌ في أوقات الشدة!

٥ ـ الاعتراض على أمر الله تعالى وقدره، ومشيئته يناقض الإيمان ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ انظر إلى هؤلاء سألوا الله تعالى أن يبعث لهم ملكاً، فلما بعثه إليهم اعترضوا عليه، ولم يقبلوا به. ما أحوجنا للاستسلام لكل ما جاء من عند الله تعالى!

٦ ـ خلل الموازين ناشئ عن خلل المفاهيم ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ ظنّوا أن المال كل شيء.

٧ ـ النبوة والرسالة والهداية والاستقامة اصطفاء من الله تعالى ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾ فاحمد الله تعالى على ما منَّ به عليك، واسأله الثبات على الحق، واصنع في تلك الدائرة ما يثري مساحاتها بالخير.

٨ ـ أعظم مقومات القائد العلم بما يكون قائداً فيه، والقوة عليه، وإذا اجتمعت هاتان الخصلتان في إنسانٍ حُقَّ له أن يكون حامل راية فيما هو فيه ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾.

٩ ـ اجتماع الصفتين (العلم بما هو فيه، والقوة عليه) شرط في أي عمل، وإذا تخلّفت إحداهما تخلّف الأثر، وكم من عالمٍ قاعدٌ خامل! وكم من قويٍّ لكنه جاهل في غير طريق!

١٠ ـ من توفيق الله تعالى لك أن يفتح عليك في العلم، ويعينك على المضي في طريقه؛ والقيام بحقوقه وهمومه ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾.

١١ ـ لله تعالى حكمة في الاختيار والاصطفاء، قد تفوت أنظار العالمين ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

١٢ ـ إياك أن يهبك الله تعالى توفيقاً، ويَمُنَّ عليك بشيء، ثم لا تقوم لله تعالى بواجبه من الشكر والعرفان ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

١٣ ـ من حسن أدبك ألا تنازع الله تعالى في حكمته مهما كان بصرك حادّاً وعقلك رشيداً ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

١٤ ـ فضل الله تعالى واسع، وإن فتح الله به على فلان، فهو قادرٌ أن يفتح به على آخرين ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فقط أصلح ما بينك وبينه، واصدق في طلبك، وأحسن التوجه إليه، وانتظر مباهج التوفيق تأتيك وأنت أحوج ما تكون إليها.

❀ ❀ ❀

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ
فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ
ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ
هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ
بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ
كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ
مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟
رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى
ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ
دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم
بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ
عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا
عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

التفسير

• ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ خرج بهم عن البلد ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ تمرُّون عليه ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ من النهر ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ ليس من أصحابي ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ ومن لم يشرب منه ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ من أصحابي ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ فهذا لا جناح عليه فيما فعل ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ﴾ أي أكثرهم، وخالفوا أمر ملكهم، وفشلوا في الاختبار ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ ثبتوا ونجحوا في الابتلاء ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ﴾ طالوت ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ ممَّن لم يشرب من النهر ﴿قَالُوا۟﴾ حين رأوا أنفسهم قلةً قليلةً مقابل من عادوا بعد فشلهم ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا﴾ لا قوة لنا ﴿ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ لكثرتهم وقوتهم ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ فقال بعضهم ممن ثبته الله تعالى بالإيمان: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ في العدد ﴿غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ومشيئته ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ يثبتهم ويؤيدهم وينصرهم.

• ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أنزل على قلوبنا صبراً وقوّنا به ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ في قتال عدونا ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ اجعل لنا الغلبة عليهم.

• ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ انتصر المؤمنون ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ﴾ وهو من جنود طالوت ﴿جَالُوتَ﴾ ملك الكفار ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ آتى الله تعالى داود عليه السلام ﴿ٱلْمُلْكَ﴾ على بني إسرائيل ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ النبوة ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ مما به بقاء ملكه، وتحقق فضله ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ لولا أن الله تعالى يدفع بمن يقاتلُ في سبيله كيدَ

الفجار، وتكالب الأعداء ﴿لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ باستيلاء أهل الكفر عليها، وإقامتهم شعائر الكفر، ومحوهم شعائر الله تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ في نصرهم على عدوّهم، وتمكينهم من الغلبة عليهم.

• ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ فيما اشتملت عليه هذه القصة ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالخبر الصحيح الذي لا شكَّ فيه ﴿وَإِنَّكَ﴾ يا رسول الله ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ من جملة الرسل الذين اصطفاهم الله تعالى واختارهم وبعثهم إلى العالمين.

التَّدَبُّرُ

١ ـ ضرورة وجود القائد في صناعة الواقع الذي يعيش فيه ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾.

٢ ـ من فنون القادة عرض أفرادهم على مواقف تبيِّن لهم معادن الرجال ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾.

٣ ـ مَنْ لم يصمد أمام شهواته العاجلة كان أعجزَ مِنْ أن يُتِمَّ طريقه إلى النهاية ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾.

٤ ـ كثيرون سقطوا في بداية الطريق، وكثيرون سقطوا في وسطه، وقلة قليلة تلك التي صابرت حتى بلغت النهايات ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾.

٥ ـ كل الذين لم يبلغوا آمالهم في الحياة هزمتهم الشهوات في بداية الطريق ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾.

٦ ـ آمالك على قَدْرِ صبرك ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وكل الذين تراهم بلغوا آمالهم صبروا على مضض الأيام، وظروف الحياة وعقبات الطريق.

٧ ـ من كمال فقه القائد وحكمته ألا يدفع بفردٍ من جنوده في معركة من معارك الحياة، حتى تتبيَّن له صلاحيته لتلك المعركة ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ وكذلك مشاريع الدعوة والعلم والعمل، ينبغي أن يُختار الأصلح والأنفع والأقرب في قيادة كل مشروع، كلٌّ بحسبه.

٨ ـ لا عبرة بالكثرة في مواقف الحياة، وكم من كثيرٍ كانوا مجرَّد سراب! ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾.

٩ ـ الأحداث الكبرى والمواقف الصعبة واللحظات الحرجة تُظْهِرُ مكنون كل إنسان ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ حتى الذين ثبتوا أمام الاختبار الأول حين حانت ساعة الصفر قالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾.

١٠ ـ في زمن المواقف الكبرى لا تنظر إلى عدد من حولك، ولكن انظر إلى إيمانهم وقِيَمِهم لحظة الأحداث ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

١١ـ الإيمان يصنع المواقف العظيمة في الأحداث ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾.

١٢ـ من فقه المؤمن وكمال وعيه أن يفزع إلى الله تعالى زمن الشدائد، ويلوذ به قبل كل شيء ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

١٣ـ أثر الدعاء في صناعة واقع أصحابه ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ فتأمل هذا الموقف ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ وانظر إلى نهايته وتمامه ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ وإذا صدق الإنسان في التعلق بربه، والتوجه إليه، والإقبال عليه، بلّغه كلَّ مطلوب.

١٤ـ أجرى الله تعالى الكون على الأسباب ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ فهيَّأ من الأسباب ما يُنفذ به حكمته، ويجري فيه قدره.

❀ ❀ ❀

۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ
وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ
بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم
مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ
وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ
ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا
شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ
ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ
ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ
ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

التفسير

• ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ كموسى بن عمران عليه السلام ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ كمحمد ﷺ ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الدلائل البيِّنة على نبوته ورسالته ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ بجبريل يؤيده ويعينه، أو أيدناه بالإيمان واليقين ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ولو أراد الله تعالى ﴿مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾ من بعد الرسل ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ الدلائل الواضحة ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ فيما بينهم، فأوجب ذلك قتالهم ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾ بالله تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ بالله تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أراد ﴿مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ فيما بينهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ مما تقتضيه حكمته ومشيئته.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ ابذلوا في سبيل الله تعالى ممَّا فتح لكم فيه من الخيرات ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ يوم القيامة ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ فيكتسب الإنسان فيه ما ينفعه ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ صداقة تنفعه في ذلك اليوم ﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ تدفع عنه العذاب ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ المنتقصون حقّ الله تعالى.

• ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود بحقٍّ إلَّا هو ﴿ٱلْحَىُّ﴾ من له الحياة الكاملة ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ القائم بتدبير أمر الخلق ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ فلا يصيبه نعاس، وهو ما يسبق النوم ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ ولا ينام لكمال حياته تعالى وقيوميته ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وتدبيراً ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾ فلا أحد يقدر على الشفاعة عنده ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ إلَّا بعد أن يأذن له في ذلك ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر القيامة وما يصيرون إليه من ثواب

وعقاب ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ وما خلّفــوه وراءهم من أمر الدنيا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ فلا يعلمون عن الله تعالى شيئاً إلّا بما شاء أن يعلّمهم إياه، أو لا يحيطون بشيء مما يعلمه في السموات والأرض إلّا بما شاء أن يُعْلِمهم إياه ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي أن الكرسي يســع الســموات والأرض كلهــا ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ لا يثقله ولا يشــق عليه ﴿حِفْظُهُمَا﴾ حفظ السموات والأرض ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ ذو العلو المطلق في كل شيء ﴿ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ في ذاته وصفاته وسلطانه.

• ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ فلا يُكْرَهُ أحدٌ على دخول دين الله تعالى ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ عُرف كل منهما ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ وهــو كل ما عُبد من دون الله تعالى ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ تعالى ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾ تمسّك تمسّكاً بالغاً ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ التوحيد الذي ينجو به ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ لا انقطاع لهذه العروة بل هي محكمة قوية ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ بالأفعال.

الفوائد

١ ـ تفاضل الرسل فيما بينهم ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ ومرد هذا التفاضل غير معروف في جنس الرســل، وإنما مرده إلى حكمة الله تعالى، بخلاف التفاضل بين البشــر، فإنهم يتفاضلون بتفاضل إيمانهم وعملهم الصالح.

٢ ـ كل ما يجري في الكون إنما هو بقضاء الله تعالى وقدره ومشيئته ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ وهــذه الحروب

التي تغتال الأمة في كل جانب، وتقوم نائبتها في كل زمن، إنما جرت وفق حكمة الله تعالى، ولو شاء الله ألا تكون لما كانت، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

٣ - الأصل في العلم أنه مانع من الخلاف، لولا ما جرى في قدر الله تعالى أولاً ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾.

٤ - الخلاف شرٌّ، وإذا دبَّ في واقعٍ أو انتشر في جماعة أو أسرة أو أمة أتى على مقدراتها، وأدى إلى شتاتها وخرابها ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾.

٥ - المال مال الله تعالى، والنفقة منه في سبيل الله تعالى أَعْوَدُ ما يكون على صاحبه في النهايات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾.

٦ - من كمال فقه صاحب المال أن يهب منه ما يُلْبِسُه الأفراح في يوم الدين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ ما أكثر الفرص العارضة! وما أكثر فواتها على كثيرين! هذا ربّ العالمين يدعوهم للربح قبل فوات وقته، ويَحُضُّهُمْ على الخيرات قبل الرحيل! يكفي هذا المعنى عن كلام كثير!

٧ - أثر المال في توسيع مساحات دين الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ وهذه الدعوة للإنفاق دعوة في الوقت نفسه لمدِّ مساحات الدين. كم كان المال سبباً في كثير من الخير الذي تراه في واقع الأمة! وكم كان الشحُّ والبخل مانعاً لكثيرٍ من الخيرات!

٨ ـ أظلمُ الخلقِ، وأسوأ الناس، وأجرؤهم على الرذيلة الكافرون ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ليس لأنهم لم يؤمنوا فحسب، وإنما لأنهم حالوا بين الناس وبين حقائق الإيمان، ومنعوا شريعة الله تعالى أن تأخذ حظَّها، وحاولوا جاهدين وما زالوا يحاصرون هذا المعنى الكبير. وهل هناك أظلم ممَّن حال بين العالمين وبين منهج الله تعالى!

٩ ـ هذه الآية أعظم آية في كتاب الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾.

١٠ ـ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ درس في وحدانية الله تعالى، فلا إله إلَّا الله، ولا نافع سواه، ولا ضار غيره، ولا معطي ولا مانع إلَّا هو، سبحانه جلَّ في علاه!

١١ ـ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ فلا دين إلَّا دينه، ولا تشريع إلَّا تشريعه، ولا حكم إلَّا حكمه، كل ما في الأرض إذا لم يستمد من وحيه تعالى، فلا قيمة له، ولا عبرة به.

١٢ ـ كمال ملك الله تعالى ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فهو المالك لكل شيء، ولا يُقضى أمرٌ في كونه إلَّا بإرادته جل في علاه، وكل تصرفات الخلق سواء الحاكم أو المحكوم إنما تجري وفق هذا الأمر، وليس لهم تجاوز شريعة الله في شيء، مهما كانت المصالح المتوهمة في هذا الشأن.

١٣ ـ الشفاعة عند الله تعالى لا تجري إلَّا فيما يأذن به تعالى ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ وكل من زعم أن هناك وسائط بين الخالق والمخلوقين، أو أنداداً، يشفعون عند الله تعالى كما يشاؤون، فهم إلى الضلال والضياع.

١٤ـ كمال علم الله تعالى بما يجري في الكون ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فما من عمل يجريه الخلق في واقعهم، إلّا والله تعالى عالمٌ به، مطلعٌ عليه، كاشفٌ لأسراره وخفاياه، هذا المعنى يكفي عن كلام كثير. ماذا لو علم كل إنسان أن الله تعالى يعلمُ كلَّ شيء، وأن كل ما يجري من الإنسان في ساعة ليلٍ أو نهارٍ أو لحظةِ خلوةٍ أو جلوةٍ إنما يجري وفق علمه تعالى، لا يفوته شيءٌ منه؟! ماذا لو رافق هذا المعنى الإنسان في السفر والإقامة، والعمل والوظيفة، وكل شيء؟! ما أحوجنا اليوم إلى هذا المعنى قبل كل يوم!

١٥ـ لا يُكرَهُ أحد من الخلق على الدخول في دين الله تعالى ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ وكل من زعم أن الإسلام يُجبر الناس على اعتناقه، فإنه واهم، والقتال الذي جرى مع غير المسلمين لا لدخولهم في الإسلام، وإنما لإزالة العقبات العارضة في طريق الإسلام.

١٦ـ إما الإسلام وإما الضلال، وليس ثمة طريق ثالث في الحياة ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾.

١٧ـ الإسلام لا يتحقق في حياة صاحبه إلّا بعد الكفر بشرائع الأرض قاطبة، والتحاكم إلى الله تعالى في كل شيء ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

❀ ❀ ❀

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى
حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ
ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى
بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا
يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ
عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ
بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ
مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ
حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ
كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ
أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ
تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ
أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ
ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

التفسير

• ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يتولّاهم وينصرهم، ويثبتهم على الحق ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمات الكفر والمعاصي ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ نور الإسلام ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بالله تعالى ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ﴾ من يتولاهم ويؤيدهم ﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾ وهو كل ما عُبِدَ من دون الله تعالى ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ نور الإسلام ﴿إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمات الكفر والمعاصي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين كفروا ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ أهلها ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ لا يخرجون منها.

• ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ في وجوده وفي ألوهيته ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ لأن الله تعالى أعطاه الملك ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ المتصرِّف في الخلق ﴿قَالَ﴾ المجادل: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ أملك أن أَرُدَّ القتل عن إنسان فذاك إحيائي له، وأملك أن أميته ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾: إن كنت كذلك ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ﴾ من جهة المشرق ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ من جهة المغرب ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ تحيّر واندهش ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ لا يدلهم على الهدى، ولا يصلح شأنهم.

• ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ من القرى ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ هالكة مندثرة ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ كيف يحيي الله تعالى هذه القرية بعد هذا الموت الواقع بها؟! ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ بعد موته ﴿قَالَ﴾ له: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ كم بقيت ميّتاً؟ ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لست متأكداً، لكنه ما بين يوم أو بعضه ﴿قَالَ﴾ الله تعالى له:

﴿بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ﴾ كاملة ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾ الذي تأكله ﴿وَشَرَابِكَ﴾ الذي تشربه ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغيّر ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ الذي كنت راكباً عليه حال قولك ما قلت ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ عبرة وعظة ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ﴾ البالية ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ نرفعها ونصلها ببعض ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ نسترها به ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾ قدرة الله تعالى ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ لا يعجزه شيء.

• ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ اجعلني أرى بعيني كيف تحيي الموتى، والسؤال عن الكيفية لا عن الإمكان والقدرة؛ لأن إبراهيم عالمٌ بقدرة الله تعالى ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ ألست قد آمنت؟ ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ علمتُ وآمنتُ بقدرتك على ذلك ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ ليزداد طمأنينة ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ اضممهنّ إليك وقطّعهنّ ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ بعضاً منها ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ إليك ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ يأتينك طيراناً ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا غالب لأمره ﴿حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ في تدبير خلقه وأمره.

التدبر

١ ـ الإيمان يصنع الحياة ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ تؤمن فيتولاك الله تعالى بحفظه وتوفيقه ونصره وتمكينه، ويكون الله تعالى معك في كل شيء.

٢ ـ هذه الولاية بحسب ما لصاحبها من الإيمان ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ زيادة ونقصاناً، وكلّما كملت أخذ صاحبها حظّه من

التوفيق، وهذا يدفع الله تعالى عنه كل شيء، وذاك يدفع عنه بعض شيء، وثالث لا يدفع الله تعالى عنه شيئاً.

٣ ـ للإيمان والعمل الصالح آثار عاجلة على صاحبه ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ يخرجهم من ظلمات الحيرة والاضطراب والقلق والألم والمعاناة إلى نور الراحة والسعادة والطمأنينة، يخرجهم من ظلمات الفوضى، ويدخلهم إلى نور النظام والسكينة والحياة. ما أكثر آثار الظلام على أصحابه في نفوسهم وبيوتهم ووظائفهم! وما أكثر آثار النور على أصحابه، في كل لحظة من حياتهم!

٤ ـ الغرور بالقوة والسلطان من أعظم أسباب الطغيان في الأرض ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ كم من مشؤوم اتكأ على هذا المعنى فبطر واستطال في الطغيان!

٥ ـ من شؤم الإنسان وخذلانه أن تتحوّل نعم الله تعالى التي وهبها إياه إلى جنود تصطف ضد الفضيلة، وتحارب دين الله تعالى، وتقف دون أمانيه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾.

٦ ـ النفس أمارة بالسوء ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا

يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ وما لم يعتن الإنسان بها تربيةً وتأهيلاً، وإلَّا قد تجنح به إلى مواطن الخذلان.

٧ ـ الحامل للواء الدعوة ومشروعها الكبير يجب أن يكون على مستوى الحدث ﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾ انظر إلى هـــذه المناظرة كيف ألقمت هذا المعــارض حجراً، وبهتته فلم يستطع مواصلة الجدال.

٨ ـ حملة الراية في أي مشروع هم سبب نجاحه وإخفاقه ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وإذا صدقتِ النيةُ، وصحَّ المقصد، واستجمع صاحب الحق أدواتِ النصر، كان له بإذن الله تعالى ما أراد.

٩ ـ إذا أردت أن تعرف قدرة ربك، فأمعن فــي هذه الصورة لترى فيها اختصاراً لكثير من مشاهد القوة والعزة ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾﴾ وإياك أن تفوتك خاتمة هذا الدرس ومقصده الكبير ﴿قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ وإذا علمت هذا المعنى، واســتقر في ذهنك، لم تبرح أن تراعيه في كل شأن من حياتك.

١٠ ـ لا عبرة بالأسماء والصور والأشــخاص في الحوادث، وإنما العبرة بالآثار التي تصنعها تلك المواقف والأحــداث ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ وإنما أبهم اسمه، لأنه لا أثر لذكر الاسم في شيء.

١١ ـ في ما يجري من حوادث عامة كانت أو خاصة على جماعة أو على أفراد ما يستحق النظر والتأمل والعبرة ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ فتأمل قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ تجد ذلك بيّناً واضحاً.

١٢ ـ من كمال فقهك في دعائك أن تتوسّل إلى ربك بربوبيته ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى ﴾ ومن تعلّق بهذا المعنى رزق كل شيء.

١٣ ـ (يـا رب) تدق بها باب الرجـاء، وتدني مطلوبك كما تشـاء ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى ﴾.

١٤ ـ لا حرج على الإنسان أن يطلب ما يزداد به يقينه ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾.

❀ ❀ ❀

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ
لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًىۙ لَّهُمْ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ
أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ
صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا
يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ
فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًاۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ
مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ
ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا
مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ
أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّۗ وَٱللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾

التفسير

• ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في طاعته ومرضاته ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ كمثل الزارع الذي يزرع حبة واحدة ﴿أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ فتنبت سبع سنابل ﴿فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ﴾ منها ﴿مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ بفضله ورحمته ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ في فضله ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ بمن يستحق ذلك.

• ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في طاعته ومرضاته ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا﴾ فلا يتحدثون بما بذلوا ﴿وَلَآ أَذًى﴾ كلاماً أو فعلاً، يؤذون به من أنفقوا عليه ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ثوابهم الذي ينتظرون ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يُستقبل ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ على ما فات.

• ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ كلامٌ طيِّبٌ ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لمن أساء إليك ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ أفضل من صدقة تدفعها، ثم تمنُّ بها ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ﴾ عن صدقة المانِّ والمؤذي ﴿حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ لا يعاجل عباده بالعقوبة.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ لا تفسدوا ثواب صدقاتكم بالمنِّ على المتصدَّق عليه وإيذائه، فذلك ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ من أجل مدح الناس وثنائهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ﴾ لا يرجو ما عند الله تعالى ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ مثل هذا المنفق ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ الحجر الأملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ غيث غزير ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ أجرد لا تراب عليه ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ لا يستطيعون الحصول على أجر ما أنفقوه ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ لا يدلهم، ولا ييسر لهم، ولا يوفقهم للخير.

• ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ قصدوا رضا الله تعالى ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يدفعونها بنفسٍ مطمئنةٍ سخيَّةٍ لا يتردَّدون في إنفاقها، فمثلهم ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ مرتفع من الأرض ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ غيث غزير ﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا﴾ ثمرها الذي يؤكل ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ مثلي ما كانت تثمر ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ﴾ غيث غزير ﴿فَطَلٌّ﴾ فغيث خفيف ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ مطَّلعٌ على كل شيء.

التدبر

١ ـ النفقة في سبيل الله تعالى من أكثر الطرق بركةً للمال ونماءً له وزيادةً فيه ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾.

٢ ـ البخل بالمال عن سبل الخير وطرقه وموائده يتعارض مع الإيمان، ودليل بيّن على ضعفه ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ لا يتوقف عن الدخول في مباهج هذا الواقع الذي يَعِدُ الله تعالى به إلَّا شحيحٌ بخيل.

٣ ـ البذل في سبيل الله تعالى، والتخلِّي عن حظوظ النفس من المنِّ والأذى موجبٌ لسعادة الدارين ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾.

٤ ـ من خذلان الإنسان لنفسه أن يهب من ماله في سبيل الله تعالى، ثم يمحقه بعد ذلك بالمنِّ والأذى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ

تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾.

٥ ـ الدعوة فن، وهذا التقريب لصـورة المانّ في صدقته، والمبتغي بها وجه الله تعالى طريقة رائعة لإقنــاع الناس بضرورة الإخلاص في الإنفاق في ســبيل الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ
وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ
فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ
تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ
مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟
ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ
وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ
وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ
وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا
يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

التفسير

• ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ ﴾ أيتمنّى أحدكم ﴿أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ بستان فيه ثمرات كثيرة ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ من ثمـــار النخيل والعنب ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ الكثيرة المتنوعة ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ الضعف لكبر سنه ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ لصغرهم أو عجزهم ﴿فَأَصَابَهَآ﴾ أي الجنة ﴿إِعْصَارٌ﴾ ريح شديدة ﴿فِيهِ نَارٌ﴾ ومع شدتها مصحوبة بنار ﴿فَٱحْتَرَقَتْ﴾ تلك الجنة كلها ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ يُفصِّلُها ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ فيما ينفعكم.

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ ابذلوا في سبيل الله تعالى من أفضل كسبكم ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ وأنفقوا مما خرج لكم من الأرض ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟﴾ تقصدوا ﴿ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ منه في سبيل الله تعالى ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ لو جاءكم به أحد لما قبلتموه لرداءته ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ تتغاضوا عن رداءته ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ عن صدقاتكم ﴿حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ يحمد من يستحق الحمد من عباده.

- ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ يخوفكم من الإنفاق بالفقر ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ وهو كل ما فحش من الأقوال والأفعال ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ على الإنفاق ﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ لذنوبكم ﴿وَفَضْلًا﴾ عليكم ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ في فضله ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ بمن يستحق فضله.

- ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ﴾ وهي العلم النافع والعمل الصالح ﴿مَن يَشَآءُ﴾ من يريد ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ من يُعْطَاها ﴿فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ فضلاً عظيماً ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ ﴿إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ أصحاب العقول.

التدبر

١ ـ سوء عواقب الرياء، وأنه ماحقٌ للبركات، وآتٍ على خيرات العمل ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾.

٢ ـ من الأدب مع الله تعالى أن تنفق من خير مالك وأطيبه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ فذلك أدل ما يكون على صدقك.

٣ ـ من سوء الأدب مع الله تعالى أن تنفق من أسوأ ما عندك وأحقره ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ فكيف بالذي لا ينفق مما أعطاه الله تعالى شيئاً.

٤ ـ ما تنفقه إنما تقدمه لنفسك، وهو عائد إليك في النهاية وأنت أحوج ما تكون إليه ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ ليس لربك من ذلك شيء، إنما أغراك بالدعوة لنفسك!

٥ ـ قصور يد الإنسان عن النفقة في سبيل الله تعالى أثر من انتصار الشيطان في معركته الكبرى ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾.

٦ ـ صاحب الصدقة موعود بمغفرة ذنبه، وسعة فضل الله تعالى عليه ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ كم من صدقةٍ بلغت بصاحبها أجمل النهايات!

٧ ـ المستكثر على الله تعالى شيئاً في هذا الباب لم يستكمل معاني الإيمان ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ لو قرأ هذا المعنى بوعيٍ لطار إليه بالأشواق!

٨ ـ ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فلو أنفقت كل ما في يدك لله تعالى ولدينه ولمنهجه، فلا تظنّنَّ بالواسع العليم أن يتركك ولا يغيثك بالخيرات.

٩ ـ نعم الله تعالى يصطفي لها من يريد، ويهبها لمن يشاء ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ ومن تعرَّض لرحمة الله تعالى، وأقبل على مرضاته نال من تلك النعم ما يتمناه.

١٠ ـ إذا منّ الله تعالى عليك بفقه وعلم وحكمة، فقم لله تعالى بحقّ ذلك الفقه والعلم والحكمة، واستشعر منّة الله تعالى عليك، وقم بواجبك؛ فإن ذلك من دواعي استمرار تلك النعم ودوامها عليك ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾.

١١ ـ إتيان الحكمة وإن كان هو هبة وتوفيق من الله تعالى، إلَّا أن أسبابه كسبية من خلال العمل والمثابرة ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥۗ
وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ
فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ
وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن
يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ
إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ
وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ
يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم
بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ
خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم
بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

التفسير

• ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ أيّاً كانت ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ أيّاً كان ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ فيجازي عليه ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ ينصرونهم من دون الله تعالى.

• ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ تظهرونها، فتكون علانية ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾ فنِعْمَ ما فعلتم ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾ فتكون سراً بينكم، وبين المستحق ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ عند الله تعالى ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ يمحو ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ فلا يخفى عليه شيء.

• ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ﴾ يا رسول الله ﴿هُدَىٰهُمْ﴾ فلستَ مكلفاً بهداية الناس ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بفضله وكرمه ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ أياً كان ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ أجره وثوابه ﴿وَمَا تُنفِقُونَ﴾ نفقة مقبولة عند الله تعالى ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ إلّا ما أريد به وجه الله تعالى ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ أيّاً كان كثيراً أو قليلاً ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ يأتيكم كاملاً ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ لا تنقصون منه شيئاً.

• ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ أي الصدقة ينبغي أن تنفق للفقراء ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ منعوا من الخروج من ديارهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لا يقدرون على السفر للتكسب ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ﴾ بأحوالهم ﴿أَغْنِيَآءَ﴾ غير مستحقين للصدقة ﴿مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ بسبب تعففهم عن السؤال ﴿تَعْرِفُهُم﴾ أنهم أهلٌ للصدقة ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾

بعلاماتهم ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ لا يلحّون عليهم في المسألة ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ أياً كان قليلاً أو كثيراً ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ يعلمه ويثيب عليه.

• ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ في كل الأوقات ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ على اختلاف الأحوال ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ العظيم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ ممّا يستقبلون ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ على ما يتركون.

التدبر

١ ـ كل ما يجري منك من جهد وعمل وحركة في سبيل الله تعالى، فهي في علم الله تعالى، يثيب عليها، ويجازي أصحابها بما يشاء ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ فإياك وفوات الأرباح!

٢ ـ عِظَمُ أثر الإخلاص في تحقيق آمال صاحبه ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ لا تحتاج أن تصوّر جهدك أو تكتب عن أثرك، فالله تعالى يراك ويرقب عملك، ويكتب حظّك منه في الدارين!

٣ ـ ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ حتى لو لم تحضره وسيلة إعلامية، أو لم يشهده أحد من العالمين!

٤ ـ للنية شأن كبير في العمل ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ أعلنت صدقتك أو أسررتها مدارُ أثرها على ما في قلبك، ونيتك تُبلّغك آمالك، أو ترمي بك في قعر الخيبة والخسران!

٥ ـ في كثير من الأحيان يكون إفشاء صدقتك وجهدك وعملك وفكرتك، ومشروعك للآخرين أعظمَ عند الله تعالى من كتمها وإخفائها ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ المهم أن تكون نيتك متعلقةً بالله سبحانه، وليس للنفس منها شيء!

٦ ـ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ اجعلها في شاشة حاسبك، وفي غرفة نومك، وأمام نظرك في لحظات سفرك، وفي عمق الظلام، وفي كل لحظة خلوة، وسترى من يكلؤك.

٧ ـ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ لا يفوته شيء من عملك، أسررته أو جهرت به، أعلنته أو أخفيته، ضجّ به الإعلام أو واراه، كلُّ ذلك لا يفوت شيء منه على ربك تعالى.

٨ ـ مهمة الدعوة البلاغ، وليس لك من هداية الناس شيء ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ لا أعني بلاغاً يبحث صاحبه عن الفكاك، وإنما أعني بلاغاً يستوعب صاحبه كل أدوات النجاح، ويأتي منه على النهايات.

٩ ـ الداعية إذا بلغ جهده ووسعه في بيان دين الله تعالى، فقد برئت ذمته، ولا يلزمه هداية العالمين ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

١٠ ـ تعلّم أن تقدِّم جهدك وتعبك ومشروعك، وفكرتك خالصاً لله تعالى، ثم لا تتلفّت باحثاً عن الأرباح الدنيوية ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

١١ ـ مشكلة كثيرين أنهم يسألون عن الأثر، ويبحثون عن النتائج، والأصل ألا تعير ذلك شيئاً من اهتمامك ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

١٢ ـ كلّ ما تبذله في سبيل الله تعالى، فهو لك ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ فلا تستكثر على نفسك شيئاً!

١٣ ـ ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ليس من ربا أو غش أو سرقة أو احتيال أو كذب وزور! كل هذه أنفقتها للفكاك وليس للأرباح!

١٤ ـ فضيلة التعفف عن ما في أيدي الناس ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ فرق كبير بين من يقف على قدميه رغم ظروفه، ومن يتواكل على الآخرين حتى لا يأخذ حظّه من واقعٍ إلّا على آثار الناس!

١٥ ـ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ حتى لو كان درهماً أو عشرة، أو حتى نية صالحة! لا يغيب عن الله تعالى من عملك شيء، فابذل ما يفيض عليك أفراحَ الدارين.

١٦ ـ على قدر صدقتك يكون جزاؤك ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾.

١٧ ـ بشارة عظيمة للباذلين والمنفقين في ساعات الليل والنهار بانشراح صدروهم، وفرح قلوبهم، وذهاب غمهم وأحزانهم في الدارين ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾.

❀ ❀ ❀

ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ
ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ
فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ
أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي
ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ
أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم
مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن
تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ
﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ
لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ
إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

التفسير

• ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ﴾ يوم القيامة من قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ إلّا كما يقوم المصروع من الجن ﴿ذَٰلِكَ﴾ إنما يقومون كذلك ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ جعلوا الربا كالبيع لا فرق ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ فهو حلال ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ فهو حرام ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ ذُكّر بحكم الربا ﴿فَٱنتَهَىٰ﴾ عن التعامل به ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ فله ما أخذه من الربا قبل العلم حلال له ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ في العفو عنه، وإسقاط التبعة عليه ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى الربا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾.

• ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ فيُذْهِبُ بركته في الدنيا ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يزيد في أثرها وبركتها على المنفق ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ كثير الكفر أو عظيمه ﴿أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ واقع في الإثم.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله تعالى ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أدّوها كما أمرهم الله تعالى ﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أعطوها لمستحقيها ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلون ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾ على ما فات.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله تعالى وقاية بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ اتركوا ما بقي من الربا ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ بالله تعالى حق الإيمان.

• ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ ﴾ فتتركوا الربا ﴿ فَأْذَنُوا۟ ﴾ فاستيقنوا ﴿ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ فقد أعلن الله ورسوله ﷺ الحرب عليكم ﴿ وَإِن تُبْتُمْ ﴾ من الربا، ﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾ أصولها، وليس لكم ما زاد عنها عن طريق الربا، وهذا في المال الدائر بينكم وبين غيركم من الخلق ﴿ لَا تَظْلِمُونَ ﴾ أحداً بأخذ زيادة على رأس المال ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ لأن أموالكم جاءت وافية كاملة.

• ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ لا يجد المدين لكم وفاءً ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ فأنظِروه إلى أن يتيسر له المال ﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ ﴾ فتبرئوا المعسر ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ فذلك أفضل، وأحسن عند الله تعالى ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ ما عند الله تعالى من الخير والفضل.

• ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا ﴾ يوم القيامة ﴿ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ فتُعطى ﴿ مَّا كَسَبَتْ ﴾ ما حصلت عليه من جزاء ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ لا ينقصون من أعمالهم شيئاً.

التَّدَبُّر

١ ـ الربا كبيرة من كبائر الذنوب ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾.

٢ ـ سوء أثر الربا على صاحبه في الدارين ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا

يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ هذا أثره في الآخرة، وأثره في الدنيا كما جاء في حديث النبي ﷺ: «**لعن رسول الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء**»(١). وقد قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ: آكلُ الربا مجرَّبٌ له سوءُ الخاتمة. نعوذ بالله من الخذلان.

٣ ـ الخلط في المفاهيم والخلل في التصورات موجبٌ لسوء النهايات ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ وغالب أخطاء الناس هي نتيجة للخلط في المفاهيم والتصورات.

٤ ـ فهم الحقائق، وبناء المفاهيم، وتجلّي التصورات: لا يتم إلّا من خلال الوحي ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾.

٥ ـ الإصرار على المعصية موجبٌ للخذلان ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

٦ ـ مال الربا ممحوقُ البركةِ، عديمُ الفائدةِ، ولو كان كثيراً وعاجلاً ومُخَلِّصاً للإنسان من كرب ذلك الحين ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾.

٧ ـ المعصية تورث بغض الله تعالى لصاحبها وسوء توفيقه ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٩٨).

٨ ـ الإيمان يصنع القرارات الصعبة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾ فإن التخلي عن المال مع شدة تعلّق النفس به من أعظم القرارات التي يتخذها الإنسان في واقعه.

٩ ـ المرابي المستمر على رباه معرِّضٌ نفسَه لحربٍ من الله تعالى ورسوله ﷺ ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾.

١٠ ـ عنده عدد من المكيفات يبيعها مئة مرة، وهي لم تبرح مكانها بعد ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾.

١١ ـ بنى معرضاً، ويبيع سيارات بأوراق جمركية لا تبرح مكانها منذ سنوات، يخادعون الله تعالى كما يخادعون الصبيان ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾.

١٢ ـ يبيع رزاً في دولة أخرى، ومعدناً في دولة ثانية، ويشتريها المشتري ورقاً، ويأخذ أرباحها خلال دقائق معدودة ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾.

١٣ ـ العفو عن الأموال التي عَسُرَ على أصحابها سدادها موجبٌ لبشائر البركة والعواقب الحسنة ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾.

١٤ ـ في «صحيح مسلم»: «أنّ رجلاً كان يداين الناس، ويقول لعامله: خُذْ ما تيسّرَ، واتركْ ما عَسُرَ، وتجاوَزْ لعلَّ اللهَ تعالى أنْ يتجاوزَ عنّا، فلمَّا مات قال اللهُ تعالى

لملائكتِهِ: انظروا إلى عملِ عبدي وهو أعلمُ، فقالوا: لَمْ نَجِدْ له من العملِ إلّا أنّه كانَ يُدَايِنُ الناسَ، ويقولُ لعاملِهِ: خُذْ ما تيسّرَ، واتركْ ما عَسُرَ، وتجاوَزْ لعلَّ الله تعالى أنْ يتجاوَزَ عنّا، فقالَ اللهُ تعالى: أنا أحقُّ بالتجاوُزِ عنه، أدخلوه الجنّةَ» ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾.

١٥ ـ التذكير بنتائج العمل ولقاء الله تعالى يوم القيامة من أعظم ما يربّي النفوس على تمثّل الحق والقيام به ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾.

١٦ ـ إذا أردت أن تبني سياجاً من الفضيلة لأي عمل أو مشروع، فذكّر القائمين عليه في كل حين بهذا المعنى الكبير ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾.

١٧ ـ حتى ولدك، وزوجك، والعامل الذي في بيتك أو مزرعتك، وطالبك أعد عليه هذا المعنى كرات ومرات ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾.

❀ ❀ ❀

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى
فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ
أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ
ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي
عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ
وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ
يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن
تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ
إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ
ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ
أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ
جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ
وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ
وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢

التفسير

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إذا كان بينكم دين مؤجل ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾ اضبطوه ودوّنوه، حفظاً للمال، ودرءاً للخلاف.

• ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ بالحق كما هو ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ﴾ فلا يمتنع عن الكتابة إذا طُلبت منه ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ كما منَّ الله تعالى عليه بالعلم، فليشكر هذه النعمة ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ ما طُلب منه.

• ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ أي المدين ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ في تدوين الحق ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ لا ينقص من حق الدائن شيئاً ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ أي المديون ﴿سَفِيهًا﴾ لا يحسن التصرّف ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ في عقله أو سنه ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ لا يقدر على إملاء ما عليه لمرض ونحوه ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ﴾ من أبٍ وغيره ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾ لا يُنقِصُ من حق الدائن شيئاً.

• ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ يشهدون على الدين ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ مقام الرجلين ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ ممّن ترضونهم في الشهادة لاستقامتهم وعدلهم ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ وإنما كانت امرأتان إذا نسيت إحدى المرأتين ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ تذكرها الأخرى.

• ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ ولا يمتنعون من الشهادة إذا طلبت منهم.

• ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾ لا تملوا من كتابة الدين ﴿أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ سواء كان الدين قليلاً أو كثيراً، فاكتبوه إلى أجله ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أقوم وأعدل ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ وأقرب إلى إقامتها ﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾

وأقرب إلى انتفاء الريبة عنكم ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً﴾ السلعة والثمن ﴿تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ﴾ يداً بيد، هذا يأخذ سلعته، والآخر يأخذ ماله ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَا﴾ فلا حرج عليكم في عدم كتابتها.

• ﴿وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡ﴾ أشهدوا على البيع الحاصل بينكم ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞ﴾ ولا يضر بالمتبايعين بزيادة أو نقص ﴿وَإِن تَفۡعَلُواْ﴾ المضارة في الدين ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡ﴾ خروج منكم من طاعة الله تعالى إلى معصيته.

• ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ ما تحتاجون إليه من أحكام ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾﴾ لا يغيب عنه من علم الخلق شيء.

الفوائد

١ ـ تكامل الشريعة وجمالُها واتساقُها؛ فترعى وتنظِّم علاقة الإنسان بغيره، كما نظّمت علاقة الإنسان بربه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ﴾.

٢ ـ حفظ حقوقك كما هو كمالُ عقلٍ، فهو قَبْلَ ذلك شرعُ الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ﴾.

٣ ـ كلُّ تفريطٍ في هذه الوصية عائدٌ على أصحابه بالحسرات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ﴾ كثيرة هي صور تلك الحسرات.

٤ ـ العدل شرط في الوظائف الشرعية ﴿وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِ﴾.

٥ ـ من أعطاه الله تعالى مهارة، أو منَّ عليه بنعمةٍ من النعم فالواجب عليه ألّا يبخل بها على مستحقيها ﴿وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾.

٦ ـ الأموال مظنةٌ للسقوط والإخفاق والفشل ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ وما أكثر الساقطين في وَحْلِها في أيامنا هذه!

٧ ـ التذكير بالتقوى سوط لا تفتر حرارته من ظهور المخطئين ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ وحق هـذا المعنى الفقه بأهميته، والتذكير به، وإلهاب قلوب العالمين به.

٨ ـ نقص المرأة جبلّة فيها، ناشئ عن تركيبها وتكوينها النفسي ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ وهذا باعتبار الجنس، وإلّا فكم من امرأةٍ أعقل من رجال!

٩ ـ إذا دُعِيْتَ للشهادة على موقفٍ أو قضيةٍ أو شيءٍ وأنت تعلم به، فإياك والتخلّف ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾.

١٠ ـ الشريعة تنظّم حياة الإنسان، وترعى مشاعره، وتحفظ أمواله، وتدلُّه على ما ينفع نفسه في الدارين ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾.

١١ ـ من جمال الشريعة وأناقتها أنها تحارب كل طريق يفضي إلى القلق والاضطراب والشتات ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾.

١٢ ـ كل عملٍ أو موقفٍ أوجب لك ريبةً فدعه، فلا يعدل الطمأنينةَ شيءٌ ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾.

١٣ ـ تنمية الشعور بالآخرين ورعاية أحوالهم ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾ وفي الحديث: «لا يؤمنُ أحدُكم حتى يُحِبَّ لأخيهِ ما يُحِبُّ لنفسِهِ»[1].

١٤ ـ تقوى الله تعالى وطاعته من أعظم أسباب تحصيل العلم ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾.

١٥ ـ العلم منّة من الله تعالى على صاحبه ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ وحق هذه النعمة أن يُحتفى بها، ويُجَلَّ قدرُها، ويرفع شأنها، ويوسّع بها دين الله تعالى.

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥).

۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ
أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ
وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ
وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ
فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ
كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن
رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ
﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا
ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا
تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا
تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ
مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

التفسير

• ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ مسافرين ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ يكتب الدين ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ فليدفع المدين إلى دائنه رهناً يستوثق به دَينه ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ فاستغنى بأمانته عن أخذ الرهن ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ في وقتها المتفق عليه ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ فيما اؤتمن عليه ﴿وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ مع حاجة الإنسان إليها ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا﴾ فيتعمّد عدم إظهارها ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ أي وقع قلبه في الإثم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾ لا يغيب عنه من أعمالكم شيء.

• ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وتدبيراً ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ فتظهروه ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تسروه ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ يعاقبكم عليه ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ بفضله ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ بعدله ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ لا يعجزه شيء من أمر الخلق.

وهذه الآية شقّت على صحابة رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ، وشكوا إليه، فأرشدهم أن يقولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]، فأنزل الله تعالى ما بعدها من الآيات تخفيفاً عليهم، ولم يعد أحدٌ محاسَباً بما لم يقله أو يعمله.

• ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ أي أقر مذعناً لله تعالى ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ من القرآن والسُّنّة ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ كذلك كرسولهم ﷺ ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ بل يؤمنون بهم جميعاً ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ كل ما أمرتنا وكلّفتنا به ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ نسألك أن تستر علينا ذنوبنا وتتجاوز عنها ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ المرجع في كل شيء.

• ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أي لا يلزم الله تعالى عباده بما فيه مشقة عليهم ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ ما عملت من خير ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ ما اقترفت من إثم.

• ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ لا تعاقبنا بخطئنا ونسياننا ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا ﴾ مشقةً وثقلاً ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ من أهل الكتاب ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ لا قدرة لنا على حمله ﴿وَٱعْفُ عَنَّا ﴾ تجاوز عمّا قصرنا فيه ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا ﴾ تجاوز عنا ما اقترفناه من السيئات ﴿وَٱرْحَمْنَآ ﴾ برحمتك التي وسعت كل شيء ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا ﴾ متولي أمورنا ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾.

التدبر

١ ـ احتياط الشريعة، وعنايتها بالبدائل الممكنة ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾.

٢ ـ عناية الإنسان بحفظ ماله ورعايته وصونه من الضياع فقه في الشرع ووعي في العقل ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾.

٣ ـ من علم حقاً أو وقف على شيء منه، فينبغي أن يأتي به كما كان، ولا يتخلّف عن الشهادة إلّا لعارض قوي ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾.

٤ ـ رقابة الله تعالى واطلاعه الدائم على أحوال الخلائق، وعلمه بكل ما يجري من شؤونهم ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ

تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾.

٥ ـ من كمال إيمانك السمع والطاعة لكل أمر جاء في شريعة ربك ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

٦ ـ من كمال عقلك وعلمك ألا تخفي في قلبك شيئاً لا يرضاه الله تعالى ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾.

٧ ـ يسر الشريعة وسماحتها؛ فلم تكلّف أحداً من المخلوقين بما يعنته أو يشق عليه ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾.

٨ ـ رحمة الله تعالى بعباده؛ فلم يكلفهم ما لا يطيقون ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾.

٩ ـ للإنسان طاقة محدودة ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ فلا يكلف فوق طاقته، والقاعدة الشرعية: لا واجب مع العجز.

١٠ ـ لكل إنسان قدرة تخصّه وتناسبه ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ويجري عليه من التكليف ما لا يجري على غيره.

١١ ـ ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ دعــوة أن تســتنفد قدراتك بأوســع ما يكون.

١٢ ـ إذا استنفدت كامل قدراتك وإمكاناتك، وبذلت غاية وسعك؛ فلا يكلفك الله تعالى بعد ذلك شيئاً ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾.

١٣ ـ من فقهك سؤال الله تعالى العفو والعافية والمغفرة والرحمة على سوء فعلك وعظيم تقصيرك ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾.

١٤ ـ هذه الآية ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ مع التي قبلها من الغنائم لصاحبها، فهي من كنزٍ تحت العرش، وفُتِحت لها أبواب السماء عند نزولها، ولم يُعْطَهَا أحدٌ من الأنبياء قبل رسول الله ﷺ، وإن مَنْ قرأها في ليلةٍ كفتاه.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ
بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ
هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ
شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ
كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ
عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ
مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ
ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ
وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا
مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ
ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾

التفسير

- ﴿الٓمٓ ۝١﴾ من الحروف المقطّعة التي تدل على إعجاز القرآن.
- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود بحق إلّا هو تعالى ﴿ٱلْحَىُّ﴾ له الحياة الكاملة ﴿ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾ القائم على كل شيء.
- ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق في الأخبار والعدل في الأحكام ﴿مُصَدِّقًا﴾ موافقاً ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب المنزلة ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣﴾ على موسى وعيسى عليهما السلام.
- ﴿مِن قَبْلُ﴾ نزلت قبل تنزيل القرآن ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ ونزلت لهداية الناس إلى الحق ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ الذي يُعرف به الفارق بين الحق والباطل، والهدى والضلال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ لا غالب لأمره ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾ شديد النقمة ممن خالف أمره.
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ لكمال علمه وقدرته.
- ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من ذكر وأنثى وأبيض وأسود وحسن وقبيح ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبودَ بحقٍّ إلّا هو ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ فلا غالب لأمره ﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ في تدبير خلقه وشأنه.
- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ واضحات الدلالة ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أصله ومرجعه عند الاشتباه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ يلتبِسُ معناها ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ ميل عن الحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ يتعلقون بالمتشابه ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ يفعلون ذلك طلباً لفتنة الناس في دينهم ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ طلباً لتفسيره على ما يوافق آرائهم ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾

تفسيره حقيقةً ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ تعالى ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ المتمكّنون من العلم ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ كلّه محكمه ومتشابهه ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ المحكم والمتشابه ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ يتّعظ ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ أصحاب العقول.

• ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ تميلها عن الحق ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ دللتنا وأرشدتنا إلى الحق ﴿وَهَبْ لَنَا﴾ أعطنا ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿رَحْمَةً﴾ تهدينا بها إلى الحق ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ المعطي للخيرات.

• ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ يوم القيامة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ الوقت الذي حدده للقيامة.

١ ـ عظمةُ الله تعالى وقدرته وكمال علمه وملكه وإحاطته بالخلائق، وتدبير شأنهم في كل شيء ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾.

٢ ـ أقام الله تعالى الحجة على الخلائق، وقطع أعذارهم بإنزال الكتب وبعث الرسل، ولم يُبق لأحد من الخلق أي عذر ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ وكم من متخلّف عن ربه وقد أبان له كل شيء!

٣ ـ المُعرِضُ عن الحق بعد تبلّغه إياه واضحاً مستحقٌّ لعذاب الله تعالى ونكاله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾.

٤ ـ كمال علم الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾ فلا يفوت على الله تعالى ممّا يجري في الكون شيء، وكم من مخبوء عند الناس مكشوف عند الله!

٥ ـ الرضا بقضاء الله تعالى وقدره، وأنَّ ما شاءه كان، وما لم يشأه لم يكن ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ وهذه الصورة التي أنت عليها إنما هي إرادة الله تعالى ومشيئته.

٦ ـ لا تقلق على فوات حظك من مولودك القادم، فذلك قدر الله تعالى وأمره ومشيئته ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾.

٧ ـ يغضبون من ولادة الأنثى، ويحزنون أنه لم يأت لهم ما يشتهون، وفاتَهُم أن ذلك صناعة اللطيف الخبير ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾.

٨ ـ أولادكم كلّهم ذكورٌ، أو كلّهم إناث، أو هم خليط من النوعين؟ كلُّ ذلك تصوير الحكيم الخبير ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾.

٩ ـ الأخذ بالمحكم ورد المتشابه إليه في كل قضية من قضايا الوحي من دلائل أهل الإيمان ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾.

١٠ ـ من الأدب في التعامل مع النص الشرعي ألا يتجاوز الناظر فيه المحكم، وأن يرد إليه كل شيء ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾.

١١ ـ من إجلال الله تعالى وتعظيمه إجلال كلامه، وحمله على الحق، وتصديقه من خلال ما جاء من المحكمات ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾﴾.

١٢ ـ من دلائل وبيِّنات مرضى الشهواتِ والشبهاتِ تعلُّقهم بالمتشابه من الوحي، وضرب النصوص بعضها ببعضٍ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ فإذا رأيته يتعلّق بكلِّ شبهةٍ، ويدندنُ حولها، فتلك دلائل المرض في قلب صاحبها!

١٣ ـ للشريعة حياضٌ وحمًى، لا يجوز أن تستباح بحال ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ ومن ذلك ألا تؤخذ معانيها إلّا من أهل العلم الراسخين فيه.

١٤ ـ من كمال أدب المؤمن ومباهج علمه إذا أشكل عليه شيءٌ من الوحي أن يسلّم أمره لله تعالى، ويؤمن بما جاء، ويعترف بقصوره أمام حكم الله تعالى وعلمه ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

١٥ ـ إذا رأيت عالماً أو طالب علم يكثر من قول: (لا أدري) فتلك من أعظم البيّنات على تقواه ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

١٦ ـ التعلُّق بالمتشابه، وطرحُ أسئلة الشكِّ من أعظم أسباب الزيغ والخذلان عن دين الله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾.

١٧ ـ إجلال أحكام الله تعالى، وتعظيم نصوص الوحي هدايةٌ يمنُّ الله تعالى بها على من شاء ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾.

١٨ ـ سَلِ الله تعالى أن يهديَك، ويعينَك على لزوم الحق كل حين ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾.

١٩ ـ من أدبك وكمال علمك خوفك من الفتن، ولجوؤك إلى الله تعالى والاعتصام به في كل وقت ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾.

٢٠ ـ القلب أصلٌ في كلِّ شيء والجوارحُ تبعٌ له ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ ومن فقه الإنسان أن يُعنى بقلبه ويهتم به.

٢١ ـ من صفات الراسخين العلمُ والإيمانُ بجميع ما جاء في كتاب الله تعالى من محكمه ومتشابهه، ورد متشابهه إلى محكمه، وسؤال الله تعالى العافيةَ مما ابتلي به أهلُ الزيغ والضلال، والاعترافُ بما منَّ الله تعالى عليهم من هداية وتوفيق، وسؤالهم رحمة الله تعالى، وخوفهم من تبعات يوم المعاد، ومن كان كذلك كان حقيقاً بالتوفيق.

❀ ❀ ❀

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ
ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ
وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ
ٱلْعِقَابِ ١١ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ
إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ١٢ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي
فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَاۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ
كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ
مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ١٣
زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ
ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ
وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ
عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ١٤ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن
ذَٰلِكُمْۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ
ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ١٥

التفسير

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله تعالى ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ لن تنجيهم من عذاب الله تعالى ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾ حطب جهنم.

• ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ كعادة آل فرعون ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وعادةِ مَنْ سبقهم ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ فلم يعملوا بها ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أهلكهم بها ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾ لمن خالفه.

• ﴿قُل﴾ يا رسول الله ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ﴾ ستهزمون ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ فتجمعون إليها يوم القيامة ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾ ساء المستقر والمأوى.

• ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ علامة وعظة وعبرة ﴿فِى فِئَتَيْنِ﴾ فرقتين ﴿ٱلْتَقَتَا﴾ يوم بدر ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهم المؤمنون ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ بالله تعالى ﴿يَرَوْنَهُم﴾ يرى المسلمون الكافرين ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ ضعفيهم ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ رؤية ظاهرة مكشوفة ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يقوّي من يشاء أن يقويه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً﴾ موعظة ﴿لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ لأصحاب البصائر والعقول.

• ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ زيّن الله تعالى للناس ﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ المشتهيات المحببة للنفوس ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ الأموال الكثيرة ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ المعلّمة بالغرّة والتحجيل، أو الراعية في المروج والمسارح ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ من الإبل والبقر والغنم

﴿وَٱلْحَرْثِ﴾ الأراضي وما فيها من حرث وزرع وأشجار ﴿ذَٰلِكَ﴾ ما ذكر ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ متاع قاصر على الحياة ثم يزول ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ المرجع الحسن والعاقبة المثلى.

• ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ الذي ذكر لكم ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ فجعلوا بينهم وبين عذاب الله تعالى وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ مقيمين فيها يوم القيامة ﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من أدناس الدنيا ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يحل عليهم فلا يزول ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ لا يخفى عليه من حالهم شيء.

١ ـ كل ما يملك الإنسان لا يغني عنه شيئاً ما لم يكن على منهج الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾ وما تُغني أموالُ الإنسان وولدُه عنه شيئاً؛ وهو لم يؤمن بالله تعالى ولم يقم حدوده!

٢ ـ ينتفع المؤمنون بأموالهم وأولادهم في الآخرة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾ وكم من مال أو ولد صالح عانق بصاحبه جنان الخلد!

٣ ـ حضارة الغرب لا تدفع عنهم يوم القيامة شيئاً ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ صُنّاع هكذا حضارة وقود النار، ما أحقر الدنيا!

٤ ـ نعم الإنسان ومهاراته وطاقاته إذا لم تكن في طريق الحق، فلا مفروح بها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾ كم من أموال وبنين لم يغنوا عن صاحبهم شيئاً يوم الحاجات!

٥ ـ في التاريخ درس للعبرة والعظة ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾ من فرعون الأمس، ومن فرعون اليوم، ما أغنت عنه أموالُ الأمس وقصوره! ماذا أخذ من ذلك لآخرته وماذا ترك؟!

٦ ـ بشارة بنصر المؤمنين في كل حرب يديرونها مع العدو ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾ هذا وعد الله تعالى للمؤمنين في الأرض! فهل نعي هذا المعنى في واقع الحياة!

٧ ـ تقريب الصورة بالمثال ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ وكم من حقيقة كانت في أمسِّ الحاجة إلى تقريب معانيها وصورها وأمثلتها حتى تقعَ في قلوب سامعيها موقعاً يليق بها!

٨ ـ النصر مقرون بالإيمان والصدق، ولا علاقة له بالعدد في شيء، هذه سنة الله تعالى في التاريخ ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾.

٩ ـ لا تغتمَّ لكثرة عدوك وسلاحه، فالله تعالى يدبّر كل شيء ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾.

١٠ ـ صحّح نيّتك في كلّ خطوة تخطوها في مشروعك في الحياة، وتذكّر هذه الغايات الكبرى ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

١١ ـ كلُّ راية لا تأتي ضمن هذا المعنى ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لا مفروحَ بها في واقع إنسان أو جماعة أو أمة.

١٢ ـ تلك ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وأنت أين موقعك من هذه الغاية الكبرى في الحياة؟!

١٣ ـ الإيمان يصنع فارق الأحداث ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ ومن تأمل مشاهد بدرٍ أدرك تلك المساحات.

١٤ ـ الدنيا بكل ما فيها من زينة ومباهج مجرَّد متاع، وهي إلى زوال ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾.

١٥ ـ كلُّ مباهج الحياة إذا لم تُثرْ مساحاتِ الآخرة، وتدفع بها إلى التمام فلا قيمة لها في واقع إنسان ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾.

١٦ ـ لا تَغْبِطْ صاحب مالٍ أو جاهٍ أو سلطانٍ إلَّا إذا رأيته يدفع به في ساحات الدين ومراضي الله تعالى ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ كم من ساقطٍ في وَحْل هذه الزينة وعاجلها!

١٧ ـ حكمة الله تعالى في ابتلاء عباده بتزيين الشهوات وترغيبهم فيها ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ لولا هذا الشغفُ بالزينة لم يكن ثَمَّةَ فائدة للابتلاء ولا غاية فيه.

١٨ ـ الزينة الكبرى تلك التي ينتظرها كل مؤمن في عَرَصَاتِ القيامة ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ أين هذه الزينة العارضة وأفراحها من لذائذ جنات الخلد، وأزواج الطهر، ورضوان الله!

١٩ ـ لا عبرة بموازين الدنيا في شيء، وإنما مردُّ ذلك إلى موازين الآخرة ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾.

٢٠ ـ الدعوة فنٌّ! أرأيتَ كيف عرض الله تعالى زينة الحياة العارضة، ثم قال تعالى: ﴿ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾ فأتى على كلِّ تلك المباهج من خلال هذا النبأ المثير.

❀ ❀ ❀

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ
وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ
أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ
ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا
جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ
ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ
وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ
أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ
بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ
يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا
وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

التفسير

- ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ﴾ أي يدعون الله تعالى ﴿إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ بك ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ استرها ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾ أي نجِّنا من عذاب النار.

- ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على طاعة الله تعالى، وعن محارمه، وعلى أقداره ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في أقوالهم وأفعالهم ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ المطيعين لله تعالى ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ أموالهم في سبيل الله تعالى ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ المستغفرين لله تعالى قبيل الفجر.

- ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ بيّن وأعلم ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا شريك له ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ شهدوا وأقرُّوا أنه لا إله إلَّا هو ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ أقرُّوا بذلك فآمنوا بالله تعالى ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبودَ بحقٍّ سواه ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ لا غالب لأمره تعالى ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ من اليهود والنصارى ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ حسداً فيما بينهم ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ فلا يؤخِّره عمَّن يستحقه.

- ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ جادلَكَ اليهود والنصارى ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ أخلصت ديني وعبادتي لله تعالى ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ كذلك أخلص دينه، وعبادته لله تعالى ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ من اليهود والنصارى ﴿وَٱلْأُمِّيِّۦنَ﴾ مشركي العرب ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ قبلتم الإسلام ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا۟﴾ قبلوا الإسلام قولاً وعملاً ﴿فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ سلكوا طريق الحق ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا عن دين الله تعالى ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ إبلاغهم دين الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ فلا يعزب عنه من أمرهم شيء.

• ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ فلا يعملوا بها ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ من غير دليل وحُجّة ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ بالعدل ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ قاسٍ موجع.

• ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ بطلت، فلا قيمة لها ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ يدفعون عنهم عذاب الله تعالى.

١ ـ الأماني لا تصنع لصاحبها شيئاً ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ جاء دعاء المؤمنين بعد الإيمان والقيام بتكاليفه وواجباته، وكذلك ينبغي أن يكون كل إنسان.

٢ ـ علوُّ كعب المؤمنين في الالتزام بحقائق الإيمان ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ هكذا الذين يصنعون واقعَ العملِ والبناءِ.

٣ ـ الإيمان ليس دعوى؛ وإنّما واجباتٌ تستحق النهوض بتكاليفها ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾.

٤ ـ هذه المعاني ليست أوصافاً عارية عن حقائقها، وإنّما حقائق جرت في حياتهم، وصارت صفاتٍ لازمةً لهم مع الأيام ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾.

٥ ـ التوحيدُ أعظمُ قضية في حياة المسلم، وأولى الأولويات ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

لقد قرّره الله تعالى بشهادة نفسه وملائكته وأولي العلم من خلقه. ليس توحيد العوام الذي يرددون فيه لا إله إلَّا الله، ولا يفهمون منها شيئاً! وإنما التوحيد الذي يتوجَّه فيه العبدُ إلى ربه بكلِّ شيء، ويعلم يقيناً أنه هو الذي يعطي ويمنع، وينفع ويضر، وما أراد كان، وما لم يرد لم يكن، وأنه لو اجتمع الخلائق كلّهم على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلَّا بشيءٍ جرى في الكتاب، وأنّهم لو اجتمعوا كلهم على أن يضرّوك بشيءٍ لم يضرّوك إلَّا بشيءٍ جرى به قلم القدر(١).

٦ ـ عِظَمُ مقام العلم وأهله عند الله تعالى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨ ﴾ لقد استشهدهم الله تعالى على أعظم القضايا وأهم الأولويات.

٧ ـ هذا الدين هو الحق، وما عداه باطلٌ لا قيمة له ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾.

٨ ـ كُفْرُ اليهود والنصارى ناتجٌ عن بغيٍ وحسدٍ وعدوان ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٩ ﴾.

٩ ـ إذا خربت القلوب خرب كل شيء ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٩ ﴾ هذا البغي الحاصل بينهم هو الذي أوجب هذا الخلاف على دين الله تعالى.

---

(١) معنى حديث ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأمة لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ**» رواه الترمذي (٢٥١٦).

١٠ ـ من شؤم الإنسان أن يكون العلمُ سببَ خذلانه وبعده عن الحق ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾.

١١ ـ الإعراض عن دين الله تعالى مع قيام الحجج موجبٌ لعذاب الله تعالى ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

١٢ ـ شعورك بقضيتك وامتنانك بها كافٍ في ردِّ تكالب المعارضين لدعوتك، وترك رسالتك ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾.

١٣ ـ لا تُقْلِقْ نفسك ومشاعرك باستجابة المدعوين ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ قم بواجبك؛ ودع المتخلِّفين يَلْقَوْنَ مَضَضَ الأيام.

١٤ ـ لا تعجل على المعرضين فثَمَّةَ موعد للنهايات ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

❀ ❀ ❀

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ
ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِي
دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ
لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن
تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن
تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي
ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ
وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا
يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن
يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ
تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن
تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

التفسير

• ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا رسول الله ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى حال اليهود الذين آتاهم الله تعالى حظاً من العلم من التوراة ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ التوراة ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ فيما اختلفوا فيه ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾ ينصرف ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ جماعة من علمائهم ورؤسائهم ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ عن أحكامه.

• ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي توليهم وإعراضهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أيام محدودة بقدر الأيام التي عبدوا فيها العجل ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ ما كانوا يقولونه، ويفترونه على الله تعالى.

• ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ﴾ القيامة ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شكَّ فيه ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ فأُعطيت كل نفسٍ ما لها من العمل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ في شيء من أعمالهم.

• ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ أنت مالك الملك ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ تعطيه وتهبه من تريد ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ ممَّن تريد ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ فترفعه بطاعتك ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ فتخفضه بمعصيتك ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ تملك تدبيره ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ لا يعجزك من أمر الكون شيء.

• ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ فتدخلهما في بعض ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كل حي يخرج أصله من ميت، كالفرخة من البيضة، والشجر من النوى ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ كالبيضة من الطائر، والنوى من الشجرة ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ﴾ من تريد ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ بغير تقدير.

• ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لا تتخذوا أيها المؤمنون الكافرين أولياء تحبونهم، وتنصرونهم من دون المؤمنين ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ يتولى أهل الكفر ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ قد برئ الله تعالى منه ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ إلَّا أن تخافوا على أنفسكم منهم، فتظهروا لهم الموالاة، لتدفعوا بها شرَّهم ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ ينذركم سطوته وبأسه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ المرجع والمآب.

• ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ فتستروه ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾ فتظهروه ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ لا يخفى عليه تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لا يغيب من علم ذلك عليه شيء ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ لا يعجزه شيء.

التدبر

١ ـ التوفيق والهداية بيد الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ مع ما أعطاهم الله تعالى من العلم لم يوفّقوا للعمل به، بل كان سبباً في إعراضهم عن الحق، وما يصنع العلم بصاحبه لولا توفيق الله تعالى؟!

٢ ـ الجرأة على الله تعالى من أعظم أسباب الخذلان ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ وإذا رأيتَ من يتطاول على شريعة الله تعالى، فارصد له أيام البوار.

٣ ـ أخطر ما يعانيه الإنسان في حياته تفشّي الأوهام والتصورات الخاطئة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

٤ ـ للباطل والكذب والزور أمدٌ وإن طال ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

٥ ـ للحقائق يومٌ تأتي فيه كاشفة الرأس ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

٦ ـ التوحيد أعظم مطلوبٍ للنفوس ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ كم من مباهج جلبها هذا المعنى في واقع أصحابها! وكم من حقائق أثبتها في معترك الحياة!

٧ ـ إذا أراد الداعية أن يعزِّز التوحيدَ في قلوب الناس، فليأتِ إليه من خلال القرآن ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ ما يصنع العالَم كله بمن آمن بهذا المعنى، وأيقن بنتائجه!

٨ ـ إذا منّ الله تعالى عليك بملكٍ أو مسؤوليةٍ أو مهارةٍ أو أي شيء، فقم له بحقِّه وأقم له عَلَم الشكر ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾.

٩ ـ ما يجري في هذا الكون، فهو بقدر الله تعالى وعلمه ومشيئته ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ

بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ حين تقوم دولةٌ أو تسقطُ، أو يعتلي إنسانٌ عرشَ مُلْكٍ أو يُخْفِقُ، فذلك قدر الله تعالى شاءه فكان.

١٠ ـ لا تقلق من ظلام الليل، فهو عارضٌ إلى زوال ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ لا أعني ظلاماً حسياً يزول بطلوع الفجر، كلا! وإنما أعني ظلام المشكلات والأزمات والظروف العارضة والأحداث التي تقف في وجه الإنسان. فالذي يملك كل شيء قادر على أن يعيد الأمل من جديد.

١١ ـ لا تقلق على رزقك، أو تخشى جوعك وفقرك، أو تخاف مستقبلك، فالله تعالى يملك كل شيء، ويرزق من يشاء بغير حساب ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾.

١٢ ـ القلق على الرزق والخوف من المستقبل أثر من نقص توحيد صاحبه ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ لو كان يفقه هذا المعنى لم يُعِرْ تلك الأوهام شيئاً من وقته! فكيف لو قرأ ﴿ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ بإمعان!

١٣ ـ الإيمان والكفر نقيضان لا يلتقيان في طريقٍ مهما كانت المصالح العارضة في ذلك الحين ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾.

١٤ ـ ولاء الكافرين وحبهم ومناصرتهم محادَّةٌ لله تعالى، وعدوانٌ على شريعته ووحيه ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾.

١٥ ـ الإسلام وحده هو الذي يحدِّدُ المصالح في التعامل مع الكافر، ويرسم أطر ذلك التعامل ويحـدّده، وليس ذلك إلى أحدٍ من العالمين ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾.

١٦ ـ تميُّز الإسلام بصفائه ووضوحه في كل قضية يتعامل فيها مع الآخرين ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾.

١٧ ـ الإسلام يقدّم حلولاً لمشـكلات المسلم ويعينه ويساعده على تخطي ذلك بكل يسر ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾.

١٨ ـ وضوح منهج القرآن في تعزيز مبدأ الرقابة الذاتية من خلال التذكير في حكم كل مسألة بلقاء الله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

١٩ ـ علـم الله تعالى واطلاعه على كل شـيء ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ ما يصنعُ الإنسان في واقعه وهو يقرأ هذا المعنى الكبير؟!

٢٠ ـ إذا أردت أن تعزز مفهوماً أو تبني قيمةً أو تصحح تصوراً، فادلف إليه بهذا المعنـى الكبيـر ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾.

❀ ❀ ❀

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن
سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ
نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ
فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ
وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا
فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا
وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ
وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ
وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

التفسير

• ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ مشاهداً معايناً ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ﴾ تتمنّى ﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ﴾ بينها وبين السوء ﴿أَمَدًا بَعِيدًا﴾ زمناً طويلاً ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ ينذركم بأسه وسطوته ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ شديد الرحمة بهم.

• ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ صادقين في ذلك ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ فيما آمركم به وأنهاكم عنه ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فيسترها ويعفو عنها ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ بالمؤمنين.

• ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿وَٱلرَّسُولَ﴾ أطيعوه كذلك في أمره ونهيه ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ بل يبغضهم ويمقتهم على إعراضهم.

• ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾ فاختاره فخلقه بيده، وأسجد له ملائكته ﴿وَنُوحًا﴾ فجعله أول الرسل ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فجعل النبوة باقية في ذريته ﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ بيت آل عمران ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ فجعلهم أفضل العالمين.

• ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ في النسب والعمل والإخلاص ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ بالأفعال.

• ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ زوجه ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ خالصاً لك خادماً لبيت المقدس ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ﴾ ما نذرته لك ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولي ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ بفعلي.

• ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ نَفَسَتْ بها ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ بنتاً لا تصلح لخدمة البيت ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ في القوة والعمل والخدمة ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ فاحفظها من إغواء الشياطين.

• ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ قبل نذرها ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ في بدنها وخَلْقِها وأخلاقها ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ جعله كفيلاً عليها وقائماً بمصالحها ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ مكان العبادة ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ طعاماً ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ من أين جاءك هذا الرزق؟! ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ الله تعالى هيأه ويسر أسبابه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ يعطي من يشاء رزقاً واسعاً من فضله.

التدبر

١ ـ ما يجري من الإنسان في الحياة مدوّن مكتوب ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ فليستقل كل إنسان أو ليستكثر.

٢ ـ مَنْ قرأ هذه الآية ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ بوعيٍ لم يُبق من جهده شيئاً.

٣ ـ من تدبر هذا المعنى ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ بتدبُّرٍ أدرك نفسه قبل الفوات.

٤ ـ إذا زاد رجاؤك في ربك فوق حدِّه، فسلّط عليه هذه الآية ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ لو قالها لك مسؤول في الأرض لحُرِمت عينُك النومَ زمناً، فكيف والمتوعِّدُ هو الله؟!

٥ ـ فضل الله تعالى أسبق إلينا من عدله ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾.

٦ ـ لكل دعوى بيّنة ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ فما بيّنتك لهذه الدعوى التي تزعم أنها في واقعك؟!

٧ ـ في متابعة نبيك ﷺ حافزان لو ضَربتَ إليهما أكباد الإبل كل يوم لما كان كثيراً في شأنهما ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾.

٨ ـ إذا أعطاك الله تعالى أمراً، وأسبغ عليك نعمة، ومَنَّ عليك بشيء، فذلك فضله تعالى، وليس لذلك من جزاء غير الشكر والعرفان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.

٩ ـ ليس من شأن المؤمن أن يعترض على الله تعالى فيما وهبه أو أعطاه لأحدٍ من خلقه وعبيده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.

١٠ ـ لله تعالى حِكَمٌ باهرةٌ، فيما يعطي ويهب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ ومن شأنك أن تجلَّ هذا المعنى؛ وألا يرى الله تعالى في قلبك شيئاً يعارض ذلك.

١١ ـ الحياة مشروع ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ لم تجد ما تستثمره في حياتها إلّا أن تهبَ هذا الولد مشروعاً خالصاً لله!

١٢ ـ العمل للدين ومد مساحاته في الواقع من أكثر الهموم التي يعيشها الكبار في حياتهم ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾.

١٣ ـ إذا كانت أوقاف الحجر تصنع آمال صاحبها في الدارين فما تصنع الأوقاف البشرية! ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾.

١٤ ـ الأبناء مشاريع ضخمة لآبائهم إذا أحسنوا رعايتهم، وحدبوا عليهم بالقدر الذي يحقق آمالهم فيما بعد ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾.

١٥ ـ مِنَ النساء من هي في أحلامها وأفكارها وهمومها ومساحات عملها تفوق فئاماً من الرجال ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾.

١٦ ـ استصغار النفوس واحتقارها في سبيل الله تعالى ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ قدَّمتْ ولدها لله تعالى خالصاً له، ومع ذلك ترجوه وتسأله أن يتقبل منها ذلك العمل.

١٧ ـ الإخلاص يصنع فوارق الأحداث ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ هذه تهب ولدها وقفاً محرَّراً لدين الله تعالى، وترجوه أن يُقْبَل منها، وآخر يهب جزءاً من وقته، ويمنُّ على الإسلام بفضله ووقته وهمومه ومشاعره!

١٨ ـ ما أوتي إنسان شيئاً أعظمَ وأجلَّ من احتقار ذاته فيما بينه وبين الله تعالى ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾.

١٩ ـ جمال حسّ هذه المرأة ورقة مشاعرها ولطافة اعتذارها ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ وضعتها أنثى، فذهبت تعتذر لربها عن القصور الحاصل في أثر مشروعها الذي تبرعت به.

٢٠ ـ مسؤولية الآباء تجاه أبنائهم حتى في اختيار الاسم الصالح لهم ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ وكم من اسم صار شعاراً لصاحبه! وكم من اسم عُيّرَ به الابن زمناً طويلاً من حياته!

٢١ ـ حدب المرأة الصالحة على مشروعها ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ مع أنه خالص لربها، إلَّا أنها دعته ورجته أن يعيذها وذريتها من كيد الشياطين.

٢٢ ـ من كمال فقهك ورجاحة عقلك أن ترعى مشروعك حتى يؤتي ثماره ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ اختارت له اسماً جميلاً، ودعت الله تعالى بأن يجنّب مشروعها الخذلان بعد اعتذارها اللطيف لربها عن نقص المشروع عن تحقيق آمالها التي أرادت.

٢٣ ـ الذكر ليس كالأنثى ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾[١] وهذا حكم الله تعالى على مَنْ خلق، وليس حكم المخلوقين! الذي خلقهما فرّق بينهما وهو العليم الحكيم، الرجل يصلح للعمل والجهاد، والمرأة تصلح للتربية والإعداد، الرجل يصلح أن يتولى مسؤولية أمة، والمرأة تصلح أن تتولى مسؤولية أسرة، الرجل يصلح أن يكدح في الأرض، ويتحمّل لأواء الحياة ومشقتها، والمرأة تصلح أن تكدح في

---

(١) ذكر بعض المفسرين: أن هذا من كلام امرأة عمران، والله أعلم.

بيتها، وتتولى ترتيبه وإعداد أسرتها! المرأة قاعدة البيت وروحه الفواحة ونسيمه البارد، وهي لا تصلح أن تلي شيئاً من شأن الرجل.

٢٤ ـ سنة الله تعالى الجارية أنه يقبل ما كان خالصاً له، ويتولى شأنه بعد ذلك ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ أجاب دعاءها كله، فقبلها وجنَّبها كيد الشياطين، ورعاها في سائر حياتها. وكذلك يصنع الإخلاص.

٢٥ ـ بقدر حرصك على مشروعك بقدر ما يؤتي ثماره ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾.

٢٦ ـ إذا أحبَّ الله تعالى مخلوقاً أجرى له من الكرامات ما يحقق له القبول والفوز ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً
طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ
يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ
وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ
يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ
كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً
قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر
رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ
نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي
مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا
كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا
كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ
مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

التفسير

- ﴿هُنَالِكَ﴾ عند ذلك ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ في أخلاقها ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ تسمع دعاء كل محتاج.

- ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ مكان العبادة ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ مولوداً لك ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بعيسى ابن مريم ﴿وَسَيِّدًا﴾ على قومه ﴿وَحَصُورًا﴾ لا يشتهي النساء ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ نبياً ومن الصالحين.

- ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ ولد ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ لا يولد لمثلي ﴿وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ لا تنجب ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾ فلا يعجزه شيء.

- ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ علامةً وبيّنةً على وجود الولد ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ علامتك ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ ينحبس لسانك عن الحديث ثلاثة أيام ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ إشارة ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ أَدِمْ ذكره ﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ﴾ آخر النهار ﴿وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ أول النهار.

- ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ اختارك ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من المعاصي ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ فاختارك وفضّلك على نساء العالمين ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ أديمي طاعته ﴿وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ كوني في جملة المصلين المتعبّدين لله تعالى.

- ﴿ذَٰلِكَ﴾ هذه الأخبار ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ من أخبار الغيب ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ عند سدنة البيت وخُدّامه لما جاءت بها

أمها، فتشــاحّوا وتنازعوا فيمن يكفلها، فاتفقوا على أن يلقوا أقلامهم ﴿إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ﴾ للقرعة بأن يرموا أقلامهم في النهر، فمن لم يجر قلمه فله الكفالة، فوقع ذلك لزكريــا نبيهم ﴿أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ﴾ يقوم على حضانتها؟ ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ﴾ عندهم ﴿إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ۝٤٤﴾ في أمر مريم.

• ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ يخبرك خبراً مفرحاً ﴿بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ ولداً تلدينه هبةً من الله تعالى دون أن يكون لــك زوج ﴿وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ ذو جاه ومقام فــي الدارين ﴿وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٤٥﴾ عند الله تعالى.

١ ـ أقصر الطرق إلى الله تعالى، وأكثرها أثراً في واقع صاحبها الدعاءُ ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٨ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩﴾.

٢ ـ الكبــار يدركون كيف يصلون إلى أحلامهم مــن أقصر الطرق ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٨﴾ ما أقصر المسافة بين دعاء هذا الصالح ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٨﴾ وبين استجابة الله تعالى له ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩﴾.

٣ ـ الإيمان يصنع واقع الأحـداث ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ إنك سميع الدعاء: ليست فكرة في فكر صاحبها، وإنما حقيقة يعيشها في قلبه، ويُهرع إليها وقت الأزمات.

٤ ـ الدعـاء فـنٌّ ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ سأل الله تعالى ذرية طيبة، وأراد أثراً، ولم يرد عدداً وكثرة.

٥ ـ العطايا على قدر الأماني ﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ كانت أمنيته ذرية طيبة، فجاءت العطايا بسيِّدٍ حصورٍ، ونبيٍّ من الصالحين.

٦ ـ عطايا الله تعالى فوق العادة وأعلى من تصورات الإنسان ﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ ولذلك تعاظم هذا الأمر ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾.

٧ ـ ﴿ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ درس فوق العادة! يهبك الولد حتى لو كنت بلغت في السن ما لم تجر به العادة. يهبك العافية حتى لو بلغ بك المرض مداه! يخرجك من مأزقك وظروفك الصعبة حتى لو كان الأمل كثقب إبرة! ماذا لو قرأنا هذا الدرس قراءة شعورية وجدانية، واستلهمناه في كل حين؟!

٨ ـ صلاح نفسـك وحسـن علاقتك بالله تعالى يمنحك كل أمانيك ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ ما أروع الولاية! يسأل الله تعالى ويأتيه الجواب كما يشاء.

٩ ـ مشروعية الفرح بالذرية الصالحة ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾ مِن فَرْطِ فرحه طلب آية عاجلة على صدق تلك البشرى المثيرة.

١٠ ـ مؤهلات التميّز والإبداع، والكمال كما هي في الرجل كذلك هي في المرأة، لا فرق ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

١١ ـ المرأة قادرة على صناعة واقعها كما تشاء ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

١٢ ـ ولاية الله تعالى لا تتوقف على نسبٍ أو جنسٍ أو لون ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ فقط الإيمان يصنع تلك الفوارق بين الناس.

١٣ ـ للولاية والكرامة التزامات ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ تلك المعاني التي تحتاج إلى تزكيات!

١٤ ـ مِنَنُ الله تعالى على رسوله ﷺ ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ لم تحضر كل هذه المشاهد حتى تصفها؛ وإنما هذه بعض مِنَنِنا عليك، وإكرامنا لك.

❀ ❀ ❀

وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ
رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا
يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ
كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ
ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا
تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ
لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا
صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ
مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا
بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ
وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾
وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾

• ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ﴾ وهو رضيع ﴿وَكَهۡلٗا﴾ في حال كبره يبلِّغهم رسالة الله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٤٦﴾ من عباد الله تعالى الصالحين.

• ﴿قَالَتۡ﴾ مريم ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾ والعادة أن الولد لا يأتي إلَّا من زوج ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ ما يريد ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾ قدّره وشاءه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٧﴾ لكمال قدرته.

• ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الكتابة أو الكتب السابقة أو الإصابة والتوفيق ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ العلم ﴿وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٤٨﴾ ويعلمه كذلك التوراة والإنجيل.

• ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ ويرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل ﴿أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ علامةً ظاهرة ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾ على شكل الطير ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ طيراً له روح ﴿وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ﴾ الأعمى ﴿وَٱلۡأَبۡرَصَ﴾ من مرضه ﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم﴾ وأخبركم ﴿بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡ﴾ ما تحفظونه فيها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾ لعظة وعبرة ﴿لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾ بالله تعالى.

• ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ﴾ قبلي ﴿مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ كتاب موسى ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ﴾ كالشحوم وكل ذي ظفر، التي كانت محرَّمةً عليكم في التوراة ﴿وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ وهي ما تقدم

ذكره ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله تعالى وقايةً بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿وَأَطِيعُونِ ۝٥٠﴾ فيما أقول لكم.

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ وحِّدوه ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٥١﴾ لا اعوجاج فيه.
- ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ رأى منهم عدم الانقياد ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ من أعواني في الدعوة إلى الحق ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ تلامذته: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أعوان دينه ورسله ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢﴾ فاشهد لنا يوم القيامة بالإسلام.
- ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ في كتابك ﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾ فيما جاء به ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾ لك بالوحدانية.
- ﴿وَمَكَرُواْ﴾ أي الكفار وهم يحاولون إطفاء نور الله تعالى ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ بهم، ومكر الله تعالى بهم استدراجه للعصاة، وإيقاعه بهم ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾ أقواهم مكراً وأنفذهم كيداً.

التَّدَبُّر

١ ـ إذا أحبَّ الله عبداً أكرمه ومنَّ عليه، وفسح له في الخيرات، وأعطاه ما يتمنَّاه ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٤٥ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٤٦﴾.

٢ ـ يؤيد الله تعالى أولياءه ورسله والصالحين من عباده بما يشاء من الآيات والدلائل والبينات ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

٣ ـ الغاية الكبرى من إرسال الرسل تعبيد الناس لله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾.

٤ ـ حاجة الإنسان في مشروعه وفكرته إلى أعوان وأنصار ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

٥ ـ حين تؤمن بقضيّتك وفكرتك ومشروعك يؤمن بها من حولك، ويقفون معك أنصاراً لها حتى النهاية ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

❀ ❀ ❀

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ
مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن
نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ
عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ
عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن
فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ
حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ
أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ
نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

التفسير

- ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك من الأرض من غير أن ينالك سوء ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ في السماء ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من جوارهم ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ من أهل الإيمان ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بالله تعالى ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ في الدنيا.
- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله تعالى ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ قاسياً ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ ينصرونهم من عذاب الله تعالى.
- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله تعالى ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ يعطيهم إياها كاملة ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ بل يبغضهم، ويحل سخطه بهم.
- ﴿ذَٰلِكَ﴾ هذا الذي ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ من آيات الله تعالى ﴿وَٱلذِّكْرِ﴾ القرآن ﴿ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ المشتمل على الحكمة البالغة.
- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ لا فرق بينه وبين آدم في أصل الخلقة ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ كن بشراً فكان.
- ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ ما جاء من ربك ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ من الشاكِّين في ذلك.
- ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ﴾ من جادلك ﴿فِيهِ﴾ في عيسى ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ من الله تعالى في بيان ذلك ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟﴾ هلمُّوا ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ ندعو الله تعالى ﴿فَنَجْعَل

﴿لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦١﴾ ندعو الله تعالى أن يجعل لعنته وعقوبته على الكاذب من الفريقين.

التدبر

١ ـ يرى ربك ويعلم ما يجري من مكر أعدائه في الكون، ويجازي على كل ذلك ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾.

٢ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾ فمكر هؤلاء الأعداء مقابَلٌ بمكره تعالى، ولا يفوت على الله تعالى من عملهم شيء.

٣ ـ رسالة تطمين لكل مؤمن، وإشعاره بالرعاية والنصر والتأييد ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾ فإن ما يجري من أعداء الله تعالى مُواجَهٌ بمكر الله تعالى.

٤ ـ لله تعالى حِكَمٌ فيما يجري في الكون ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾ ولولا هذه الحكم التي أرادها الله تعالى لعجّل بالنصر لأولياءه، وانتقم من أعدائه.

٥ ـ حبُّ الله تعالى لأوليائه، ورعايته لهم، وحفظهم من عاديات الزمان ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٥٥﴾ وما جرى لنبي الله تعالى عيسى من الحفظ والرعاية يجري في حق كل وليٍّ قائمٍ بحقوق الله تعالى، مؤدٍّ لواجباته، وقّاف عند حرماته.

٦ ـ عناية الوحي ببناء المفاهيم والتصورات الصحيحة ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ فهذه الآية وما يتلوها من آيات جاءت لبيان عقيدة المسلم في نبي الله تعالى عيسى عليه السلام، وردَّتْ على كل مخالف لهذه الحقيقة.

٧ ـ من مقتضيات الإيمان بالله تعالى الإيمان بما جاءت به الرسل ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ وتقرير الجزاء على الموفين والمتخلفين دليل هذا المعنى الكبير.

٨ ـ قباحة الظلم وسوؤه، وقبح أثره في حقِّ الفرد والجماعة والأمة ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ومن لم يحبه الله تعالى ويرضى عنه، فأنّى يجد طريقاً للتوفيق؟!

٩ ـ ماذا لو فقهنا هذا المعنى الكبير ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وأجرينا له حساباً في علاقاتنا مع الآخرين!

١٠ ـ العناية ببيان المفاهيم وإيضاحها منهج شرعي ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ حتى لو بلغت حدّ المباهلة.

❀ ❀ ❀

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾
قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ
إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ
عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ
حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ
بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ
وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

التفسير

• ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ذكره الله تعالى من قصّة عيسى ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ القصص المطابق للواقع ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ مستحقٌ للعبادة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ في تدبير خلقه وشأنه.

• ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾ بأعيانهم وأعمالهم.

• ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ كلمة عدل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ تعالوا نجتمع على الكلمة التي اتفق عليها الأنبياء ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ لا نتخذ معه شريكاً ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بل نُخْلِصُ العبادةَ له تعالى ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا ﴿فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ منقادون لأحكامه.

• ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ﴾ تجادلون ﴿فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ كل منكم يقول إنه على دينه ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ على موسى ﴿وَٱلْإِنجِيلُ﴾ على عيسى ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ بعد زمنه، فكيف يكون يهودياً أو نصرانياً ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾ أفلا تحكّمون عقولكم؟!

• ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ فيما ورد في كتبكم من أحكام ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ كدين إبراهيم وشريعته ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ شيئاً مما يعلمه الله تعالى.

• ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا﴾ ما كان على دين اليهود ﴿وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ ولا على دين النصارى ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا﴾ وإنما كان مائلاً عن الشرك إلى التوحيد

﴿مُّسۡلِمٗا﴾ مطيعاً لله تعالى ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦٧﴾ كما يزعم مشركو العرب أنهم على ملّته.

• ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ﴾ أخصهم به دون غيرهم ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ آمنوا به وأطاعوه ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ محمد ﷺ أولى الناس به كذلك ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ به من هذه الأمة ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٨﴾ ينصرهم ويؤيدهم.

• ﴿وَدَّت﴾ تمنَّت ﴿طَّآئِفَةٞ﴾ جماعة ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ من اليهود والنصارى ﴿لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ﴾ عن الحق ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ فتمنِّيهم راجعٌ عليهم ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٦٩﴾ بعاقبة ما يفعلون.

• ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ما الذي يدعوكم للكفر بآيات الله تعالى ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ۝٧٠﴾ على صدقها؟!

التدبر

١ ـ بناء المفاهيم والتصورات من خلال القصة منهج شرعي ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦٢﴾.

٢ ـ لا لوم على صاحب الحق بعد استنفاد كل الوسائل الممكنة في دعوة المعرضين ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٦٣﴾.

٣ ـ ليس من مهمة الدعوة والداعية انقياد المدعوين لما معهما من حق ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٦٣﴾ وإنما حسبهما البلاغ المستوفي لشروطه الشرعية.

٤ ـ لا يتولى عن الدعوة ويعرض عن مباهجها إلَّا مفسد ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٦٣﴾.

٥ ـ إن الله تعالى مطّلع على فساد القلوب، لا يفوته من ذلك شيء ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

٦ ـ أعظمُ المفاهيم التي يجب أن يُعنى بها مفهومُ التوحيد ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

٧ ـ الحقُّ واحدٌ لا يتعدّد، ولا يتجزأ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

٨ ـ الحقُّ لا يُعْرَفُ بالرِّجال ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

٩ ـ الثباتُ على الحق والمبدأ والفكرة أعظمُ قرار يتخذه صاحبه أمام إعراض الناس عن حقائق الدين ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

١٠ ـ أنصاف الحلول والآراء المُجْتَزَأة لا يمكن أن تخلق واقعاً للاجتماع ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

١١ ـ إما الحق وإما الضلال، لا طريق ثالث ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

١٢ ـ كلّ دعاوى المقاربة بين المسلمين وأهل الكتاب ضلال لا حقيقة تنصرها، ولا واقع يحتفل بها ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

١٣ ـ ضرورة العزّة بالحق ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ لا تسكتوا كما يقول الواهمون، بل بيّنوا أنكم على الحق مهما كانت كلفة الطريق!

١٤ ـ السكوت عن الحق، والرضا ببعض قِيَمِ الباطل، والتهاون في شيء من المُحْكَمَات مع العدو ضعفٌ وذلٌّ وهزيمةٌ يديلها العدو على الإسلام عن طريق بعض المنتسبين إليه ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

١٥ ـ أثر العلم في دحض الشبه والأوهام ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ ذكّرهم بأنه لا وجه لهذه المحاجة، وكتبكم أصلاً لم تنزل إلّا بعد إبراهيم عليه السلام.

١٦ ـ أثر فساد النيّات في الحيلولة دون الوصول إلى الحقائق والغايات ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ ولا يُحاجُّ في شيءٍ يُعلم زوره وكذبه إلّا سيِّءُ النية.

١٧ ـ العظيم والمتميّز وصاحب الراية مقصدٌ لكلِّ قومٍ وساحةٍ ومشهد ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ هذه الدعوى والنزاع في يهودية إبراهيم عليه السلام أو نصرانيته رغبة في انتماء الكبار إلى تلك الساحات.

١٨ ـ مفاهيم الوحي وبياناته صواعق تدحض باطل المبطلين، وتأتي على أوهامهم من أصلها ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

١٩ ـ إذا أعياك مفهومٌ أو فكرةٌ أو تصورٌ، فنقّب عنه في رحاب الوحي تجده داني الثمار ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

٢٠ ـ من ضمن قيم هذا الوحي فصل الخصومات، وترتيب المفاهيم الشرعية على المنهج الحق ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

٢١ ـ انتماء أهل الباطل لباطلهم، والعزَّة به، والدعوة إليه، وبذل كل شيء ممكن من أجله ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

٢٢ ـ جهد الباطل أيّاً كان نوعه مردودٌ على صاحبه ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

٢٣ ـ أقبح الأشياء أن ترى النور وتنتصر للظلام ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾.

٢٤ ـ للعدو معك طريقان: إما كتم الحق؛ فلا يصل إليك مطلقاً، وإما تلبيسه وخلطه بالأوهام والخرافات ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾.

٢٥ ـ لا حدَّ لسوء التوفيق ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

❀ ❀ ❀

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ
وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ
بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ
لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ
ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ
عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ
عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ
ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ
يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا
دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ
سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ
مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ
لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾

التفسير

• ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ تخلطونه به ﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ فلا تظهرونه ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١﴾ الحق في ذلك.

• ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ جماعة منهم ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾ أوله ﴿وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ﴾ آخر النهار ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ أي المؤمنين ﴿يَرۡجِعُونَ ٧٢﴾ عن دينهم.

• ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾ لا تصدقوا ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾ من كان على دينكم من اليهود والنصارى ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ﴾ إلى الحق ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ لا ما أنتم عليه من تكذيبٍ وعنادٍ مخافةَ ﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ﴾ من الفضل ﴿مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ﴾ مخافةَ أن ﴿يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡ﴾ إن أقررتم بما أُنزل عليهم ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ الخير كله ﴿يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ يعطيه من يريد ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ الفضل ﴿عَلِيمٞ ٧٣﴾ بمن يستحقه.

• ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ من عباده ممَّن أحبَّهم ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ لا يقدر قدره إلَّا هو.

• ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ﴾ مالاً كثيراً ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ يردُّه إليك وافياً إذا طلبته ﴿وَمِنۡهُم﴾ من أهل الكتاب ﴿مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ﴾ واحد ﴿لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ لا يردُّه عليك ﴿إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗا﴾ بالبيِّنة والمطالبة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾ العرب ﴿سَبِيلٞ﴾ حرج في ظلمهم ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ لا يتورَّعون من ذلك ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾ أنهم يكذبون ويفترون.

• ﴿بَلَىٰ﴾ ليس الأمر كما يزعمون ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ فقام بالعهد الذي بينه وبين الله تعالى، وبينه وبين الناس ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ بأن جعل بينه وبين عذاب الله تعالى وقاية بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ الممتثلين لأمره.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ ميثاقه الذي قطعوه على أنفسهم ﴿وَأَيْمَٰنِهِمْ﴾ التي حلفوها ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ لا نصيبَ لهم فيها ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ يوم القيامة ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ نظر رحمة ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يطهّرهم من الذنوب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ قاسٍ موجع.

التدبر

١ ـ شعور أهل الباطل بالمعركة الدائرة بينهم وبين الحق وأهله ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ ومِنْ وعيك أن تكون أشدَّ منهم في هذا الشأن، وأحرص على الحق الذي معك.

٢ ـ من خبث اليهود سعيُهم الجاد في تشويه دين المسلمين، وإثارة الشكوك والشبه حوله ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

٣ ـ ترك الإنسان لدينه، أو التنازل عن بعض قيمه ومفاهيمه، أمنيةٌ يشتهيها العدو ويتمناها ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

٤ ـ حاجة المسلمين الكبرى إلى استشعار دينهم وقيمهم، ومبادئهم في سائر أحوالهم ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ لأن أي خطأ أو قصور أو تنازل هو من أماني الكفار وساحات أفراحهم.

٥ ـ التَّحاضُّ والتعاون على عقيدة الباطل منهجٌ يديره الأعداء بوضوح ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ وقد بلغ اليوم مداه، سواء ما تراه في منظمات التنصير أو الأحزاب الشيعية أو الأحزاب والمنظمات التي يقيم لها العدو شأناً، ويصنع لها تاريخاً.

٦ ـ فضل الله تعالى واسع يهبه لمن يشاء ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وحسبك أن تبذل وسعك لعلك تبلغ شيئاً من هذا المعنى.

٧ ـ لا تحسد بشراً آتاه الله من سابغ فضله ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فإن ذلك مَاحِقٌ لنعمك، آتِ على خيراتك مع الزمن.

٨ ـ إذا مالت نفسك لتلك الأماني، فاسلك سبيلها، وابدأ قصة أحلامها، ولا تقف حتى تعانق نهاياتها ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ والطريق بيّن واضح، لا يحتاج إلّا إلى توفيق الله تعالى، وعزيمة الرجال.

٩ ـ العدل منهج شرعي ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ صنّف الله تعالى الكافرين، وأعطى كل طائفة وصفها الذي هي عليه دون إخلال.

١٠ ـ تحوّل المفاهيم إلى عقائد تسيطر على أصحابها، وتكتب حظّها الكبير من واقعهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾.

١١ ـ إذا ضعفت علاقة المخلوق بربه كوّنت له من العقائد والمفاهيم والتصورات والأوهام ما يخوّل له الاعتداء على حقــوق الآخرين، والعبث بها ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾.

١٢ ـ تصرّفات الإنسان في النهاية أثر من تصوراته وأفكاره ومفاهيمه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾.

١٣ ـ وعيد الله تعالى الكبير لمن اعتاض عن منهجه بعاجل من الدنيا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)﴾.

❀ ❀ ❀

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ
ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ
عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ
وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ
وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾
وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ
بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ
قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾
فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾
أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

التفسير

- ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ يقرؤونه ويحرِّفونه ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فتظنون أنه مما أنزل الله تعالى ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وليس هو ممّا أنزله الله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ﴾ الذي قرؤوه ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أنزلــه الله تعالى ﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وإنما هو من قِبَلِ أنفسهم ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ أنه كذب.

- ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ يمتنع ويستحيل على بشر ﴿أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أن يمنّ الله تعالى عليه بإنزال الكتــاب ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ ويعطيــه الله تعالى الحكمة ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ ويكرمه بالرسالة ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾ بعد هذه النعم: ﴿كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ اعبدوني مــن دون الله تعالى ﴿وَلَٰكِن﴾ يقول من أنعم الله تعالى عليــه بذلك: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾ علمــاء حكماء ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بســبب تعليمكــم للكتــاب ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ وبسبب دراستكم لكتب الله تعالى وفهمكم لها.

- ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ الرســول ﴿أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا﴾ من دون الله تعالــى ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾؟! يمتنــع أن يأمركــم بالكفر بعد إسلامكم.

- ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ أن يصدِّق بعضهم بعضاً بالإيمان، ويأمرون أممهم بذلك ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ لئن آتيتكم شيئاً من الكتــب والحكمــة ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ موافــق لما أعطيتكــم ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ إيماناً صادقــاً ﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ لتبليغ دينه ﴿قَالَ

ءَأَقۡرَرۡتُمۡ ﴾ على ما قلت لكم ﴿وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِي﴾ عهدي وميثاقي ﴿قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَا ﴾ بذلك ﴿قَالَ فَٱشۡهَدُواْ ﴾ على بعضكم بعضاً بذلك ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ على إقراركم واعترافكم.

• ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ﴾ أعرض ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ الخارجون عن دين الله تعالى.

• ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ ﴾ يطلبون ديناً غير دين الله تعالى ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ انقادوا له ﴿طَوۡعٗا ﴾ طواعية من قبل أنفسهم ﴿وَكَرۡهٗا ﴾ رغم أنوفهم ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ يوم القيامة.

١ ـ الجرأة على الله تعالى فرع عن عدم تعظيمه، والقيام بحقوقه ﴿وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ وكم من منسوبٍ إلى العلم يهتك أستاره، ويتجرّأ على ربه، ويقلب مفاهيم النصوص، ويلوي أعناقها من أجل شهوات!

٢ ـ العدل منهجٌ شرعيٌّ حتى مع العدو ﴿وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وكم من خلافٍ أودى بشتات جملة كبيرة من المفاهيم مع أصحاب المنهج الواحد!

٣ ـ للعلم أثر وواقع في حياة أصحابه ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ

بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ فقلَّ أن تجد قائماً بحق العلم إلَّا وهو يؤدي دوره في الواقع كما أراد الله تعالى.

٤ ـ العلم منّةٌ من الله تعالى على أهله وأصحابه ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ فهو الذي يهبه الله تعالى لعبيده ويمن به عليهم!

٥ ـ لكلِّ نعمةٍ تبعات وواجبات تستوجب القيام بحقوقها ورعاية واجباتها ﴿وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾.

٦ ـ أعظم آثار العلم تحقيق التوحيد، وتعميق مفاهيمه في حياة صاحبه ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

٧ ـ الكفر بالطواغيت أثرٌ من آثار التوحيد ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

٨ ـ كلُّ دعوةٍ تناقض مفاهيم العلم الذي يدعو إليه صاحبه، فهي مردودةٌ على صاحبها ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

٩ ـ الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ ناسخةٌ لشرائع الرسل كلِّها، ولم يبق منها شيء ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

١٠ ـ من لم يؤمن بما جاء به محمد ﷺ، ويعده ناسخاً لكل ما جاء به الأنبياء فهو كافر ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ وإذا كان الله تعالى

قد أخذ عهداً على كل رسول أن يؤمن بما جاء به محمد ﷺ، فآمنوا وصدقوا والتزموا، فأُمَمُهُم من بابٍ أولى.

١١ ـ العمل بهذه الشريعة تصديق لكل ما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام
﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ
رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ
إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

❀ ❀ ❀

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ
دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾
كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟
أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ
كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ
ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

التفسير

• ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ من الكتاب ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ وهم قبائل بني إسرائيل الذين آمنوا بموسى عليه السلام ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ﴾ كلهم ﴿مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ فنؤمن بهم جميعاً ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ منقادون مستسلمون.

• ﴿وَمَن يَبْتَغِ﴾ يريد ﴿غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ ديناً غير دين الإسلام ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ذلك الدين ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ لدينه ودنياه.

• ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ رجعوا للكفر بعد أن ذاقوا حلاوة الإيمان ﴿وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾ مرسل من عند الله ﴿وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الدالة على الحق ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ فلا يوفقهم، ولا يدلهم على خير.

• ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ﴾ فهم مبعدون مطرودون من رحمة الله تعالى ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾ والملائكة تلعنهم ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾﴾ وتلحقهم لعنة الناس أجمعين.

• ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ في النار ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾﴾ فلا يؤخرون ولا يمهلون.

• ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ فتركوا ما وقعوا فيه من الكفر، وعزموا على عدم العودة ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما بينهم وبين الله تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ بالمؤمنين.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرًا﴾ على كفرهم ﴿لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾ إذا ماتوا على الكفر ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ٩٠﴾ عن طريق الحق.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم﴾ يوم القيامة ﴿مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ لو دفع ملء الأرض ذهباً مقابل أن يَسْلَمَ من العذاب ما سلم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ قاسٍ موجع ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٩١﴾ ينصرونهم من دون الله تعالى.

التدبر

١ ـ كلّ ما جاء من عند الله تعالى واحد في أصله، وإن اختلفت شرائعه، وأحكامه في كل أمة ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٨٤﴾.

٢ ـ من مقتضيات الإسلام الإيمان بكل شريعةٍ جاء بها رسول إلى أمته ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٨٤﴾.

٣ ـ الإسلام ينابذ ويخاصم العصبيات أيّاً كانت مظاهرها ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ وكل عصبيةٍ لقبيلةٍ أو حزبٍ أو منهجٍ خلاف الحق فهي إلى بوار.

٤ ـ استسلام العبد لله تعالى في كل شيء ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ وإذا بلغ حال العبد مع وحي الله تعالى وشرعه هذا المعنى كان أرجى ما يكون للتوفيق.

٥ ـ كفر من اتخذ شريعةً أو هدياً أو ديناً غير دين الإسلام ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

٦ ـ كلّ من ترك الحق بعد بيانه ومعرفته، فهو مستحق للعنة الله تعالى وسخطه وعقابه ما لم يتب ويستدرك ذلك الفوات ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

٧ ـ للعلم تبعاتٌ وتكاليف ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ لولا ذلك لما استحقَّ التارِكُ لآثاره لعنةَ الله تعالى وسخطه وعقابه.

٨ ـ الواقع في الظلم واقع في الضلال ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾.

٩ ـ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ لا يدلّهم على خير، ولا يسلك بهم إلى بر، ولا يعينهم على شيء.

١٠ ـ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ لا يهديهم إلى شيء، ولا يوفقهم إلى طريق معروف، وما يزالون يتخبطون في عمى الضلال حتى يردون إلى الله تعالى على أسوأ حال.

١١ ـ التوبة تمحو ما قبلها من الذنوب ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ وإذا أقبل التائب على ربه صادقاً أزال كل الذنوب في لحظة بإذن الله تعالى.

١٢ ـ تغيير الواقع وإصلاح العمل من دلائل صدق التوبة ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ وكم من توبةٍ دعوى لا معنى لها!

١٣ ـ المعرض عن الله تعالى إعراضاً كلّيّاً، المدبر عن شريعته ودينه: خالدٌ في نار جهنم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ وكم من هؤلاء في عالم اليوم!

❀ ❀ ❀

لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ
ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ
﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا
وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ
إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ
مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ
﴿٩٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٩﴾

التفسير

• ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾ لن تصلوا درجة الأبرار، وهي صدق الإيمان وعظيم درجته ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟﴾ من أموالكم ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ما تحبّه نفوسكم، وتتعلّق به قلوبكم ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ﴾ مهما كان ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ يعلمه ويثيب عليه.

• ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾ حلالاً لم يحرّم الله تعالى منه شيئاً عليهم ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أبناء يعقوب ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ﴾ يعقوب ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ من غير تحريم الله تعالى عليه ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ وهذا قبل نزول التوراة، فلما نزلت حُرِّمت أشياء أُخر غير ما حرّم يعقوب ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾ اقرؤوها ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ فلن تجدوا أنّ الله تعالى حرَّم قبل نزولها غير ما حرَّم يعقوب على نفسه.

• ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ فكذب على الله تعالى بعد هذا البيان ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ لأنفسهم.

• ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ فيما أخبر به، وفيما حكم ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الشرك إلى التوحيد ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ بالله تعالى.

• ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ في الأرض ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ أي الكعبة ﴿مُبَارَكًا﴾ فيه بركات كثيرة دينية ودنيوية ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ هداية لقلوبهم وأحوالهم كلها.

• ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ دلائل واضحة وبراهين قاطعة ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وهو

ما كان يقف عليه إبراهيم عليه السلام لبناء البيت، وهو المقام المعروف اليوم شرقي الكعبة، وقد كان لاصقاً بالكعبة حتى عهد عمر، فأخره إلى موقعه الآن لتسهيل الطواف، والآية التي فيه هي أثر قدمي إبراهيم عليه السلام مع تطاول الزمن، وتعاقب الدهور لا زالت باقية، فهي من خوارق العادات، وقيل: بل الآية فيه تعظيمه بالصلاة عنده، وقد يكون مقام إبراهيم مقاماته في المشاعر كلها ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ﴾ أي البيت ﴿كَانَ ءَامِنًا﴾ على نفسه وماله ما لم يرتكب جريمة، فإن ارتكب جريمة، فإنّه يؤخذ بجريمته ولو في الحرم ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ الحج إلى بيت الله تعالى ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ ممّن وجد طريقاً آمناً، وزاداً للحج فليحج ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بالله تعالى ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ لا يحتاجهم في شيء.

• ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ما الحامل لكم على الكفر بآيات الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾ لا يغيب عنه من عملكم شيء؟!

• ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ﴾ لِمَ تمنعون الناس من الإيمان بالله تعالى ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ تريدون الطريق عوجاء ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ على أن دين الله تعالى هو الحق ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾؟! بل يعلم كل شيء من أعمالكم.

١ ـ على قدر إنفاقك في سبيل الله تعالى تنال من التوفيق ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ وإذا صدقت هنا

جاءتك البشـــرى تخطو على قدميها في عرض الطريق. وكم من مباهج صنعها الإنفاق في سبيل الله تعالى!

٢ ـ كلّ شيءٍ تنفقه في سبيل ربك، فهو يعلمه، ويعرف قدره والباعثَ عليه، ويهب من الجـــزاء على قدر تلك المعانـــي ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾.

٣ ـ أثر الخطوة الأولى في حياة كل إنســـان، فمنازل البر ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾ وقفٌ على ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

٤ ـ ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ﴾ ســـواء كان مالاً، أو جهداً فكرياً، أو عملاً جسدياً، أو حتى نيّة صالحة! كل ذلك ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ فلا تســـتقلّ شيئاً من ذلك في سبيل الله!

٥ ـ الحقائق تدحض الشـــبه، وتزيل الأوهام، وتأتي على نسف عرى الباطل من أصلها ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

٦ ـ مواجهةُ المخالفين، وطرح الأدلة، ودحض الشـــبه، منهجٌ شرعيٌّ ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

٧ ـ كلّما كان طالـــب العلم أمكن في الطريق كان أقـــوى في الحجة ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

٨ ـ التحدي في معارضة المخالفين منهجٌ شرعيٌّ ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

٩ ـ أقبح الصور وأسوأ المواقف تلك التي تقوم على الافتراء على الله تعالى ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ ما أقبح يهود! وما أكثر اعتداءاتهم على ربهم تعالى!

١٠ ـ التحليل والتحريم راجعٌ إلى الله تعالى وحده ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

١١ ـ في بيت الله تعالى الحرام معانٍ من البركة والهداية والتوفيق ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾.

١٢ ـ إذا أردت البركة والهدى ومراتع التوفيق، فيمِّم وجهك إلى تلك البقعة المباركة من الأرض ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾.

١٣ ـ الحج والعمرة والصلاة، وسائر أعمال البر في مكة تصنع فروقاً عظيمة في حياة صاحبها ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾.

١٤ ـ يجب أن تصل الدعوة لكل إنسان مهما بلغ موقفه من الدعوة وإعراضه عنها ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

١٥ ـ ضلال أهل الكتاب، وصدُّهم عن طريق الحق عن سوء نية وقصد ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

❀ ❀ ❀

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ
يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ
عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ
هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ
تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ
جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً
فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا
حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا
تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ
وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ
فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ
وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾

التفسير

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ فيما يدعونكم إليه ﴿يَرُدُّوكُم ﴾ يرجعوكم ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾.

- ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ ولماذا تكفرون بـالله تعالى ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ وتعرفون ما فيها من حق ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ يبيِّن لكم، ويهديكم، ويدلكم ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ ﴾ يتوكّل عليه، ويفوّض أمره إليه ﴿فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ دُلَّ إلى طريق الحق.

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله تعالى وقايةً بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ ما يستحق من التقوى ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ على الإسلام الكامل.

- ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ ﴾ تمسكوا ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾ دينه وشرعه ﴿جَمِيعًا ﴾ كلُّكم ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ عن دين الله تعالى ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ تذكروا نعم الله تعالى عليكم ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً ﴾ تقتلون وتنهبون بعضكم بعضاً ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ جمعها على الحب ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ متآخين متآلفين مجتمعين ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا ﴾ على طرف وحافّة ﴿حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ كدتم تسقطون فيها ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ من النار ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ تصلون إلى الحق.

- ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ جماعة ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ قائمين بواجب الدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ القائمون بذلك الواجب ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ الفائزون.

• ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ من اليهود والنصارى ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ الحجج الواضحة ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ شديد.

• ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴾ أهل الإيمان ﴿ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ أهل الكفر والضلال ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ فيقال لهم: ﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ بسبب كفركم وإعراضكم ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ في جنّته ودار كرامته، رضي الله تعالى عنهم، ورضوا عنه ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ لا يتحولون عنها، ولا يخرجون منها.

• ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا ﴾ نقصّها ﴿ عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ بالعدل والصدق ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ تعالى الله عن ذلك.

التَّدَبُّر

١ ـ متابعة أهل الكتاب في شيءٍ من أفكارهم ومفاهيمهم وأهوائهم طريقٌ للضلال والانحراف ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

٢ ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ رسالة للمثقفين والشباب أن يعيدوا تصحيح تصوراتهم، وألا يقعوا صيداً لأماني هؤلاء الأعداء.

٣ ـ إذا قامت الحجة، فلا سبيل للاعتذار ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾.

٤ ـ القرآن والسنة عاصمان من الفتنة ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ ومن قرأ الوحي بإمعان أدرك هذا المعنى بجلاء.

٥ ـ حاجة الإنسان إلى ربّه أعظم من كل حاجة ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ كان الواحد من الصالحين دائم الابتهال إلى ربه، كثيرَ الاستغاثة به، دائمَ الاستعانة، قويَّ التوكّل، لا يصرفه عن سؤال الله تعالى شيء.

٦ ـ مَنْ صَدَقَ في الإقبال على الله تعالى، واستقام على منهجه، وأخذ بالوحي عُصم من الانحراف والضلال ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

٧ ـ عظم التقوى وأثرها في حياة صاحبها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

٨ ـ التقوى منازل ومراتب ودرجات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ حقّ التقوى شيء كبير، ومن فقهك أن تبلغ أمانيك.

٩ ـ التقوى سببٌ في حسن الخاتمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

١٠ ـ حسن الخاتمة وسوؤها من عمل الإنسان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ وهذا الأمر من الله تعالى ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ دليل هذا المعنى الكبير.

١١ ـ الاجتماع والائتلاف من أعظم مقاصد الشريعة ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

١٢ ـ الفرقة والخلاف، والنزاع من أعظم مقاصد الشيطان ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ وما ورد إنسانٌ مورداً أسوأ له من أن يكون سبباً في فرقةٍ وخلاف!

١٣ ـ قراءة التاريخ معينة على فهم واقعك، وتذكُّر أيامك، وقيامك بحقوق الله تعالى كما أراد ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ كم في تاريخنا من عبر! وكم في أحوالنا من دروس لو أدركنا تلك الدروس بوعي!

١٤ ـ كتاب الله تعالى أعظم الطرق إلى هداية القلوب والأرواح ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ كل هذا البيان الذي تراه في كتاب ربك من أجل هدايتك.

١٥ ـ الدعوة للخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: واجبٌ في أعناق المسلمين ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

١٦ ـ من قام بهذا الواجب، وشارك فيه فهو أحقّ ما يكون بالفلاح ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

١٧ ـ حق هؤلاء على الأمة النصر، والتأييد والعون والدعاء بالتوفيق، والوقوف معهم في كل ما يعينهم على إدارة مهمَّتهم؛ لأنهم يخفرون ذممهم من التبعات ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

١٨ ـ من شـؤم الإنسـان أن يتحوّل العلم إلى طريقٍ للخلاف والنـزاع والفرقة والشتات ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

١٩ ـ الخلاف والنـزاع، والفرقة من أخـلاق اليهود ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

٢٠ ـ كل نـزاعٍ وفرقةٍ وخلافٍ يدار في بيتك وأسـرتك وعملـك ووظيفتك، أو مع صديقك وزميلك فإنما هو جزءٌ من أخلاق اليهود، وسيرٌ على طريقهم ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

٢١ ـ توقّ النزاع والخلاف والفرقة قدر وسـعك حتى لا تكون شريكاً لليهود في منهجهم وسـالكاً الطريق نفسَـه ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

٢٢ ـ عظيم ما ينتظر أولئك من عذاب يوم القيامة ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ الله تعالى يصفه بذلك!

٢٣ ـ النهايات موكولةٌ بالبدايات، والنتائج وقفٌ على الأسباب ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ
﴿١٠٩﴾ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ
وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ
أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ
وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتۡ
عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ
وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ
حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ
مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ
وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ
وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي
ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ
خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

التفسير

• ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً وتدبيراً ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ١٠٩﴾ يوم القيامة.

• ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ على الإطلاق ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ بسبب أمركم بالمعروف، ونهيكم عن المنكر ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ وبسبب إيمانكم بالله تعالى ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارى ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ أفضل وأحسن ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ من أهل الكتاب مؤمنون بالله تعالى ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ١١٠﴾ خارجون عن طاعة الله تعالى.

• ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾ أهل الكتاب ضرراً عاماً في أبدانكم وأديانكم ﴿إِلَّآ أَذًى﴾ يلحقكم من كلامهم، وبعض فعالهم ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ يفرّون ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١١١﴾ من أحد من الخلق.

• ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ أذلهم وأهانهم ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾ في أيِّ مكانٍ وجدوا ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بسببٍ من الله تعالى، وهو أن يسلموا، فإذا أسلموا ارتفعت عنهم الذلة التي ضربت عليهم، أو المراد بالحبل من الله الذمّة بأن يكونوا من أهل الذمة يدفعون الجزية، ولا ينالهم من المسلمين أذًى ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ وبسببٍ من الناس كالعهد والأمان بينهم وبين المسلمين، أو ما يأتيهم ويصل إليهم من العون والنصر من أعوانهم وحلفائهم ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ رجعوا بغضبٍ من الله تعالى، وسخطٍ

على كل أحوالهم ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾ جعلت عليهم مسكنة النفوس وفقرها وضعفها إلّا نزراً يسيراً منهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بسبب كفرهم بآيات الله تعالى ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ وبسبب قتلهم للأنبياء ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾ ربهم تعالى ﴿وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ١١٢﴾ واعتدائهم على حرماته.

- ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗ﴾ أهل الكتاب ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ﴾ مستقيمة على دين الله تعالى ﴿يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ ساعاته ﴿وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣﴾ يصلون ويتعبدون.

- ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ يبادرون إليها ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤﴾ في أعمالهم، وهذه الأمة أسلمت، وحسن إسلامها، وقامت بواجبات الله تعالى كما أراد.

- ﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾ أي خير ﴿فَلَن يُكۡفَرُوهُ﴾ لن يُعْدَموا ثوابه وجزاءه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ١١٥﴾ يعلم أحوالهم وأعمالهم.

التدبر

١ ـ لا يضرّ الله تعالى شيءٌ من أعمال البشر، مهما بلغ شأنها في الضلال ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ١٠٩﴾ وما يصنعون، وهو يملك كلّ شيءٍ؟!

٢ ـ فلاح الأمة وراياتها الكبرى معقودةٌ على إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾.

٣ ـ عظم أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياة الأمة ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ حتى إن الله تعالى قدّمه على الإيمان به.

٤ ـ ضعف مقدرات أهل الباطل في مقابلة مقدرات أهل الإسلام ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١١١) ﴾.

٥ ـ ماذا لو تحول هـذا المعنى ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١١١) ﴾ من معرفةٍ إلى عقيدةٍ في قلوب المؤمنين؟!

٦ ـ لَوْ أَنَّ أهل الحقِّ استعانوا بالله تعالى وتوكّلوا عليه، وأخذوا بأسباب النصرِ لغلبوا قوى العالم، وحقّقوا ما يريدون ﴿ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾.

٧ ـ جبنُ اليهود وخورُهُم وضعفُهم في مقابلةِ أيِّ معركةٍ تُدار مع أهل الإسلام ﴿ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ والواقعُ شاهدٌ حيٌّ، وإذا قلّبت طرفك في بقعةٍ تُدار فيها الحرب رأيتَ هزائمَ هؤلاء في مقابلِ نفرٍ قليل.

٨ ـ شعوبٌ منهم تملكُ أسلحةَ الدمارِ الشاملِ، ولا تملك البقاءَ أمامَ فئاتٍ عُزَّلٍ من كلّ شيء ﴿ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾.

٩ ـ حاجة الأمّةِ إلى بعثِ حقائق الوحي من جديد ﴿ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾.

١٠ ـ جُعلَ الهوانَ والصغارَ على أهل الكتاب، لا ينفكّون عنه، ولا يتخلّون عن سبيله ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

١١ ـ سوءُ عواقبِ المعصية ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ وكَمْ مِنْ معصيةٍ أحاطتْ بأمّة أو مجتمعٍ أو فردٍ حتى ألقت به في مهاوي الرّدى!

١٢ ـ الكفرُ بالله تعالى وقتلُ الأنبياء، وعصيانُه تعالى، والاعتداءُ على حدوده أخلاقُ أهلِ الكتابِ وطبعِهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾.

١٣ ـ العدلُ منهجٌ شرعيٌّ في التعاملِ مع كلّ الخلقِ دون فرقٍ بين قومٍ وآخرين ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

١٤ ـ أيّاً كان عملك وجهدك ورسالتك ومشروعك، فَلَنْ يضيعَ من تلك الجهودِ يومَ القيامةِ شيء ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾.

١٥ ـ اقرأ هذا المعنى بقلبك ومشاعرك، وارقَ في درجات أحلامك كما تريد ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾.

١٦ ـ حتى غبارُ قدمِكَ في طريقِ المعروفِ سيأتي شاهداً يوم الحساب ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾.

١٧ ـ لا تَبْخَلْ على نفسِك، ولا تتوانَ عن معروف، ولا تستكثر شيئاً، فغداً ترى ما لم يخطر لَكَ على بال ﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾.

١٨ ـ ﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾ أيّاً كان هذا الخير صغيراً أو كبيراً، عظيماً أو حقيراً لا فرق.

١٩ ـ ﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾ حتى لَوْ كان كلمةً طيبة، أو أملاً صالحاً، أو خطوةَ برٍّ في طريقِ إصلاح.

٢٠ ـ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ يعرف عنهم كلَّ شيء، فما ضرّهم ألا يعرفهم الناسُ في شيء؟!

٢١ ـ حتى الدرهم الذي يدخل مالهم، ويتحرّجون منه، أو التخلّف الذي يشعرون به في أعمالهم، أو الآلام التي تكتظُّ في قلوبهم من رؤيةِ المنكرات، كلُّ ذلك يعلمه الله تعالى ويجازي عليه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

٢٢ ـ يجهدون ويتعبون ويبنون تلكَ التقوى، ولا يفوت على الله تعالى من أحداثهم شيء ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

❀ ❀ ❀

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًۭٔا ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا
ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾
هَـٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ
وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ
ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن
تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ
وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

التفسير

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ لن تدفعَ عنهم هذه الأموال والأولاد شيئاً من عذاب الله تعالى ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ أهلها ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١٦﴾ لا يخرجون منها.

• ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مثل مَنْ ينفقُ مِنْ أهلِ الكفرِ في الصدِّ عن دين الله تعالى ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ﴾ تجري ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ بردٌ شديدٌ ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾ زروعهم ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ دمَّرته ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ في شيء ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١١٧﴾ فهم الذين ظلموا أنفسهم.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ لا تجعلوا خاصَّتكم وأولياءكم وأصفياءكم من الكفَّار ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ لا يقصِّرون في مضرَّتكم، وإفسادِ حالكم ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ يتمنّون ما يشقّ عليكم ويعنتكم ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ من ألسنتهم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾ من البغضاء ﴿أَكْبَرُ﴾ ممّا تبديه ألسنتهم ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِ﴾ فصّلناها ووضّحناها ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ١١٨﴾ إن كانت لكم عقولٌ تفهمونَ بها.

• ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ تحبّون الكفار ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ بل يبغضونكم ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ تؤمنون بكلّ الكتبِ المنزّلةِ على رسلهم، وهم لا يؤمنون بكتابكم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ﴾ في مكان ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ بالله تعالى ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ﴾ منكم، وانفردوا عنكم ﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ متحسِّرين متأسّفين أنهم عجزوا عن الانتقام منكم ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ كَمَداً وحَسْرةً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩﴾ لا يغيب عنه من ذلك شيء.

• ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ﴾ مـن نصـرٍ أو قـوةٍ أو رزق ﴿تَسُؤۡهُمۡ﴾ تُغِمُّهـم وتُحزِنُهم ﴿وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ من هزيمةٍ وفقر ﴿يَفۡرَحُواْ بِهَا﴾ يُسرّوا بها ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ﴾ على كيدهـم ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ ربكم ﴿لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾ لا ينالكم منه شيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ مُطَّلِعٌ عليه، قادرٌ على إحباطه.

التَّدَبُّر

١ ـ الأولادُ والأموالُ من خير ما يدفع بآمالِ الإنسـانِ في الدارين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١٦﴾ فما تنفع هؤلاء وقد فاتهم حظ الإيمان!

٢ ـ الكافرُ لا ينتفعُ من هذه المقدرات بشيء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١٦﴾.

٣ ـ ينبغي لكلِّ عاقلٍ أن يبذلَ وسعَهُ في الاستفادةِ من هذه المقدرات من الأموال والبنين في الدارين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١٦﴾ وذلك من خلال بذلِ الجهودِ الممكنةِ لإصلاحهم، وتوظيفهم في نشرِ هذا الدّينِ وبلوغِ أحلامِهِ وأمانيه.

٤ ـ كلّ قربةٍ وبرٍّ ينفقها الكافـر لا قيمةَ لها يوم القيامة ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٧﴾ ولا يشبه ذلك ويماثله إلّا الرياء في واقع المرائين.

٥ ـ تحريمُ موالاة الكافرين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ مهما كانت المصالحُ المتوخّاة من تلك الموالاة.

٦ ـ اللحظةُ التي تبهجك، وتمدُّ في مساحةِ سعادتك: هي اللحظة نفسها التي تسوءُ عدوَّك، وتقلقه، ويشعرُ معها بكلِّ سوء ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ لا تتخيّل غير هذا المعنى من عدوّك سواء كنت فرداً أو جماعة.

٧ ـ الصبر والتقوى تحبطُ كيد عدوك، وتأتي منه على ما تريد ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾.

٨ ـ كلّما أقبلتَ على ربّك زادَ جدارُ اليأسِ بينك وبينَ ذلك العدو ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾.

٩ ـ ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ ليست في مواجهة عدوٍّ كافرٍ، وإنما تجري معك في كيدِ السحرةِ والعائنين والمجرمين والأعداءِ، وكلّ من بينك وبينه شيء من العداوات.

١٠ ـ التقوى والصبر متى ما قاما في واقعك دفعا عنك شرورَ الأعداءِ ووقفا حائطاً أمامَ كثيرٍ من المشكلات ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾.

❀ ❀ ❀

وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا
وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ
ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ تَقُولُ
لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن
فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ
مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم
بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقۡطَعَ
طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيۡسَ
لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ
﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ
﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

التفسير

• ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ خرجتَ منهم أوّل النهارِ في غزوةِ أحدٍ ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ تنزِّلهم وترتِّبهم في أماكنهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ بالأفعال.

• ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ جماعتان منكم، وهم بنو سلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس ﴿أَن تَفْشَلَا﴾ وَفَشَلُهما خروجُهما من القتال ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ فعصَمَهُما من الفشل ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ يفوِّضوا أمورَهُم إليه، ويعتمدوا بقلوبهم عليه.

• ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ بغزوة بدر ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ ضعفاء بسبب قِلّتكم ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وقايةً بفعلِ أوامرِهِ، واجتنابِ نواهيه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ الله تعالى على نِعَمِهِ.

• ﴿إِذْ تَقُولُ﴾ يا محمد ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ في غزوة بدر ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ ألا يكفيكم ﴿أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ مدداً من السماء.

• ﴿بَلَىٰٓ﴾ كافيكم ﴿إِن تَصْبِرُوا۟﴾ على قتالهم ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ ربكم، فتفعلوا أمرَهُ، وتجتنبوا نهيَهُ ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا﴾ ويأتيكم الأعداء مسرعين لحربكم، وقد استعدَّيتم لهم ففي هذه الحال ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ يمدُّكم بملائكةٍ يحاربون معكم معلَّمين بعلاماتٍ تدل عليهم.

• ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ الإمداد بالملائكة ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ بشرى بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ فتهدأ من الخوف ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾

إذا أراده كان ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ لا غالبَ لأمــرِهِ ﴿ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ في تدبير خلقِهِ وأمره.

• ﴿لِيَقْطَعَ﴾ بنصره هــذا ﴿طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ جانباً منهــم، وركناً من أركانهم ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ يُخْزِهِــم ويذلُّهم، ويضيّق عليهم أمرَهُم ﴿فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ خاسرين، لم ينالوا شيئاً ممَّا طلبوه.

• ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ نزلت هذه الآية عندما شُجَّ وجهُهُ ﷺ فقال: «**كيفَ يفلحُ قومٌ شَجُّوا نبيَّهم وكســروا رباعيّتَهُ، وهو يدعوهم إلى الله؟**»[1] فقال الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ فيؤمنوا ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ على كفرهم ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ لأنفسهم.

• ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ خَلْقــاً ومِلْــكاً وتدبيراً ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ ذنوبــه ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ بذنوبــه ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ للمؤمنيــن ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ بالمؤمنين.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ شيئاً فوق شيء، كما كانت تفعلُ الجاهليةُ بالمَدِيْنِ، إمّا أن تقضي ما عليك من الدَّينِ؛ أو تزيدَ في الوقتِ، ونزيدَ في المال ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقايةً بفعلِ أوامرِهِ، واجتنابِ نواهيه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ تفوزون.

◦ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ احذروها ﴿ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ هيأت لهم.

◦ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ فيمــا يأمرانكم بــه، وينهيانكم عنه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ يرحمكم الله تعالى بذلك.

---

(١) أخرجه مسلم رقم (١٧٩١) عن أنس رضي الله عنه.

١ ـ كل ما يجري في واقع الإنسان إنما يجري بقدرِ اللهِ تعالى ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾.

٢ ـ لا يفوتُ على اللهِ تعالى شيءٌ من عملك ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾.

٣ ـ التذكيرُ بالنعمِ يعيدُ توازنَ الإنسانِ، ويُعِينُ على تصورات الحياة بوعي ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ ماذا لو لم يَعْصِمْهُم الله تعالى، وَوَكَلَهُمْ إلى أنفسهم؟!

٤ ـ ربُّك هو الواقي من الفتنِ، والعاصمُ مِنَ الضياع ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ مَنِ الإنسانُ لولا ربّه؟! مَنِ الإنسانُ لولا هذا اللطفُ الذي يكتنفه؟! مَنِ الإنسان لولا عناية الله تعالى به وتوفيقه له؟! تُرى ماذا لدى هؤلاء حتى حرسهما الله تعالى من الفشل، ونجّاهما من سوء التوفيق، وذكرَ أنّه وليُّهما؟!

٥ ـ كل ما تحقَّقَ لك من نجاحٍ في حياتك، أو سلامةٍ من فشلٍ، أو نجاةٍ من سوءٍ إنما هو لطفُ الله تعالى بكَ وعنايتُهُ وتوفيقُهُ لك ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ إن كان هذا يقال لرسوله ﷺ الذي عاشَ لدينه ورسالته كلَّ عمره، فما يقالُ لكثيرين أنعم الله تعالى عليهم، وفتحَ لهم خيراتٍ، وبسطَ لهم توفيقَه، وهم لَمْ يصنعوا لدينِ الله تعالى شيئاً!

٦ - التقوى تتنزّلُ التوفيق من السماء ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ نزلت الملائكةُ من السماءِ، وشاركتْ في القتالِ، ودفعتْ أهلَ الكفرِ، ومكّنت لأهلِ الإيمـانِ من كلِّ شيء. وليس بين الله تعالى وخلقـه نسبٌ إلَّا عُرى هـذا الإيمان.

٧ - إذا تأملتَ هذه الصورة بإمعانٍ ضعف في قلبك ومشاعرك أو انعدمت وتلاشت صور العدو، ومظاهر القوة التـي يصنعها في واقع الناس ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ آلافٌ من الملائكةِ تنزلُ تباعاً من السماء، وتشاركُ في نُصرةِ الإسلام والمسلمين.

٨ - الإيمانُ بالله تعالى، والثقةُ بنصره، والاستعدادُ الأمثلُ لمتطلّباتِ الطريقِ تصنعُ لك كل شـيء ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾.

٩ - رعايةُ الله تعالى لعباده المؤمنين ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ لـم يكتف بنصرهم، وإنَّما بثَّ مشاعرَ البُشرى والفرحِ في قلوبهم ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾.

١٠ - التذكيرُ بالعقائدِ والغاياتِ الكبرى في كلِّ فكرةٍ أو مشـروعٍ أو قضية ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

١١ - ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ يجـبُ أن تتحـوّلَ إلى عقيدةٍ تخالطُ القلوبَ، وتدفعُ بالمشاعرِ إلى آمالها الكبار.

١٢ ـ ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ أيّاً كان هذا النصرُ زماناً ومكاناً في حدود واقعِكَ أو حتى على مستوى أمّتك.

١٣ ـ ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ النصرُ في معركتكَ مع الشيطان، ومجاهدتكَ لنفسك، وتحقيقِ أهدافك، والاستعلاءِ على شهواتِ واقعكَ: كلُّ ذلك إذا لم يكنْ ثَمّةَ مددٌ مِنْ ربِّك فلن تُحقّقَ شيئاً.

١٤ ـ كلُّ نكايةٍ في أعداءِ الله تعالى، فهي من الغاياتِ التي يريدُها الله تعالى ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾.

١٥ ـ لا تَفُتْكَ هذه الغاياتُ الكبرى في أيِّ نزالٍ مع العدو ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ احتسبوا في كلِّ كلمةٍ أو توجيهٍ أو سهمٍ أو مالٍ في مواجهةِ عدوِّكم المحارب.

١٦ ـ الاستغراقُ في الفكرة والمشروع من أعظم مطالب النجاح في حياتك وواقعك ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

١٧ ـ الدعوة مسؤولية كبرى في ذمم القائمين بها ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ أيّاً كانت المتاعب التي واجهتك في طريقك فليس لك من الأمر شيء.

١٨ ـ مهما بلغ إعراض خصومك عن الطريق، فليس أمامك سوى الانتظار ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

١٩ ـ رسالةٌ عظيمةٌ في إخلاصِ العملِ لله تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ حسبك واجبُكَ الشرعيُّ أن يكون مستوفياً لشروطِهِ، ومستوعباً لإمكاناتك وقدراتك.

٢٠ ـ العبرةُ باجتهادك واستفراغ وسعك، وليس بثمارِ فكرتِكَ ومشروعِكَ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾.

٢١ ـ لا تكلّفِ النّـاسَ ما لا يطيقون، حسـبك من ذلك كله قيامُـكَ بواجبك، والنهـوضُ بفكرتك، والولاءُ لقصتك ومشـروعك ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ فرقٌ كبيرٌ بين الولاءِ للفكرةِ والعيشِ للمشروعِ والانشغالِ بالأتباع.

٢٢ ـ إيَّاكَ والحكمَ على الآخرين ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ ﴾ حسبك دلالة الإرشاد!

٢٣ ـ أكل الربا محرم وكبيرة من كبائر الذنوب، ومتوعّد صاحبه بسوء الخواتيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾.

٢٤ ـ تقوى الله تعالى، وطاعتُهُ من أعظمِ الأسبابِ المنجيةِ من الخذلان ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

❀ ❀ ❀

۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي
ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ
ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ
فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ
لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا
فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن
رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ
وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ
فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ
﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾
وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ
﴿١٣٩﴾ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ
وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾

التفسير

- ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ بادروا ﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ لذنوبكم ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ وبادروا لتنالوا ما وعدكم الله تعالى من الجنان التي ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ الممتثلين لأمر الله تعالى.
- ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ أموالهم ﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ﴾ في حال يسرهم ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ وحال عسرهم ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ الكاتمين لغضبهم ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ المسامحين للناس على أخطائهم ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ مع الله تعالى ومع خلقه.
- ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ كبيرةً من الكبائر ﴿أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ باقترافِ صغائرِ الذنوب ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ تذكَّروا عظمةَ الله تعالى ووعيدَه لِمَنْ عصاه ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾ فأقلعوا عن الذنبِ، وسألوا الله تعالى مغفرةَ ذنوبهم ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فلا أحدَ غيرُ الله تعالى يغفرُ هذه الذنوبَ والخطايا ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ فلم يقيموا على قبيحِ فعلهم، بل أقلعوا عنه، وتابوا إلى الله تعالى ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ عظمة الله تعالى وعظيم ما وقعوا فيه.
- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ لذنوبهم ﴿وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ ونِعْمَتِ الجنَّةَ جزاءً للقائمين بطاعة الله تعالى.
- ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ﴾ وقائع وأحداث صارت دلائل على ما يتبعها ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ امشوا فيها ﴿فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾ تأملوا عاقبة المكذبين ممن سبقكم.

• ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ دلالة ظاهرة تبيِّن للناسِ الحقَّ من الباطل ﴿وَهُدًى﴾ إلى الحق ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ ذكرى ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ الممتثلين لأمرِ الله تعالى.

• ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ فلا تضعفوا ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما أصابكم وما فاتكم ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ بإيمانكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ بالله تعالى.

• ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ فيصيبكم جراح وقتل ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾ الكافرين ﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ جراح وقتل ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ نصرّفها فيما بينهم، فتارةً تكونُ الغلبةُ لأمّةٍ، وتارةً أخرى لأمّةٍ أخرى ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بصدق ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ ممّن مات في سبيله تعالى ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ بل يبغضهم.

١ ـ الأمر جد، والحياة فرص، والعاقل من بادر لبلوغ أمانيه ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾.

٢ ـ الإنفاقُ في سبيلِ الله تعالى، وكظمُ الغيظِ، والعفوُ عن الآخرينَ من أعظمِ مظاهرِ التقوى ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾.

٣ ـ ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ تحتاج إلى قراءةٍ شعورية وجدانيةٍ حتى تأخذَ حظَّها من قلوبِ كثيرين.

٤ ـ بشارةٌ للمحسن مع أسرته، وفي عمله ووظيفته، وفي تعامله مع كلٍّ من يلقاه في عُرض الطريق ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

٥ ـ ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أيّاً كان هذا الإحسانُ الذي تديره، حتى لو في خطابٍ تكتبه، أو عاملٍ ترفق به، أو أرملةٍ تقوم على حاجتها، أو مسنٍّ تعينه على قضاء حاجاته.

٦ ـ التعاملُ مع الناسِ دينٌ إذا عني به صاحبه حقّق أمانيه ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾.

٧ ـ العطاءُ من أخلاق الكبار ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ سواء كان ذلك في موقفٍ أو مالٍ أو مهارةٍ أو حتى جود خاطرٍ، وصفحٍ وتسامح.

٨ ـ الأنانيةُ من أقبحِ أخلاقِ الإنسـانِ ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ كثيرون لا يملكون سوى العيش لذواتهم، ولو بات العالم كلُّه يموتُ جوعاً.

٩ ـ من كمال عقلك وفقهك أنّك إذا وقفتَ بين يدي الله تعالى في عبادةٍ أن تعظّم فيها ربَّك، وتستشعرَ فيها موقفكَ بين يديه، وتراقبَ في أثنائها جوارحك، وإياك أن تكونَ مجرَّد صورة لا قيمةَ لها في أحداثِ قلبك ومشاعرك ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

١٠ ـ إذا لقيتَ منتظِراً على الطريـقِ فأركِبْهُ، وإذا لقيتَ محتاجـاً لمالٍ فمدَّ يدكَ بالعطاء إليه، وإذا وجدتَ غارقاً في مشكلةٍ فأَعِنْهُ، وإذا لم تجد من هؤلاء أحداً، فَهَبْ للعالم من ابتسامتك ومشـاعرِ قلبك وفيضِ رحمتك، وستعثر على أحلام الدارين ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

١١ ـ الخطأ جِبِلَّةٌ لا ينفكُّ عنها الإنسان ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ وإدراك ضعفك، وإنابتك إلى ربك حين الخطأ، وعدم إصرارك على خطئك وعيٌ وفقهٌ في التعاملِ مع النفوس.

١٢ ـ حاجةُ الإنسانِ الكبرى إلى ربه ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ مَنِ الإنسانُ لولا الله؟! مَنِ الإنسانُ لولا توفيق الله تعالى له، وعنايته به؟! يـا لله مَنْ نحنُ لولا رحمتك وعفوك، وتفضُّلك علينا في ساحاتِ الخطأ والعثرات؟!

١٣ ـ مِنْ شروطِ التوبةِ الاستعتابُ من ربك، والندمُ على ذنبك، وعدمُ الإصرارِ على خطيئتك ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾.

١٤ ـ الخطأ لا يحولُ بينَ الإنسانِ وأمانيه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ تابـوا وأنابوا، وأصلحوا ما بينهم وبين الله تعالى، فعادت الحياةُ تجري في نفوسهم من جديد.

١٥ ـ للعمل آثارٌ ونتائجُ كبيرةٌ في واقع صاحبه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ التوبةُ والاستعتابُ، وحسنُ الإقبالِ على الله تبارك وتعالى بَلَغَ بهم ما يشتهون.

١٦ ـ الكبائرُ الموجبةُ لندمِ صاحبها، واستعتابِهِ من ربه: لا تُخْرِجُ صاحِبَهَا مِنْ دائرةِ المتّقين ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥

أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾.

١٧ ـ من جماليات دينك التي تدعو للفرح أنَّ صاحب الخطيئة، والظالمَ لنفسه يمكنُ بالتوبة أن يعودَ للحياةِ الطاهرة من جديد ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾.

١٨ ـ قراءةُ التاريخِ والسننِ عونٌ لصاحبها على الصبر في الطريق ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ كم من موقف فيه عبرة، وقصّةٍ فيها سلوى، ورجالٍ بهم قدوة، ما أحوجنا لقراءة التاريخ!

١٩ ـ ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ دعوةٌ للاستعلاءِ رغم كلِّ الظروفِ التي يمرُّ بها الإنسانُ في واقعه.

٢٠ ـ الهزيمةُ الحسيةُ لا تعدلُ شيئاً أمام الهزائمِ الروحيةِ المعنوية ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ والانتصارُ في الداخلِ مؤذِنٌ بتحقيق الانتصارات الكبرى في النهائيات.

٢١ ـ الفألُ والأملُ، وانتظارُ الفَرَجِ من موجباتِ الإيمان ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾.

٢٢ ـ اليأسُ والخنوعُ والخوفُ من دلائلِ ضعفِ الإيمان ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾.

٢٣ ـ للحروبِ والأزماتِ والصدماتِ التي تصيبُ الإنسانَ مقاصدٌ وحِكَمٌ وغاياتٌ كبرى ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ منها ما أشار الله تعالى إليه من تمحيصِ المؤمنين، وتصفيةِ الصفِّ من شوائبِ النفاق، واتخاذِ الشهداء.

٢٤ ـ هذه الأفراحُ التي يجدها عدوُّك ستعودُ إليه حسراتٍ يذرف من خلالها الدمع ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ فتفاءلْ واملأْ قلبَكَ يقيناً بوعدِ الله تعالى.

٢٥ ـ سـنّةُ الله تعالى أن يدال لك يوماً، ويُدَالُ عليـكَ في أيام ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾.

❀ ❀ ❀

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمۡ
حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ
مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن
قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ
إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ
ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ
ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ
لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ
ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ
مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ
رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ
وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ
إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ
أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

التفسير

• ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يطهّرهم ويخلّصهم من ذنوبهم ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ يستأصلهم بالهلاك.

• ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ ظننتم ﴿أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ يوم القيامة ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ قبلَ أن يعلم الله تعالى مَنْ جاهَدَ منكم صادقاً وصابراً.

• ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ مِنْ قبلِ أن تذوقوا شدَّته وآلامه ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ حين قُتل إخوانكم، وشارفتم على القتل ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾ إليه يحلُّ بإخوانكم حتى كأنَّكم ترونَهُ بعيونكم.

• ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ من الرسل ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مَضَتْ ﴿مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ رسول الله ﴿أَوْ قُتِلَ﴾ في مكان ﴿ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ مرتدّين عن الدِّين ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ يرتدُّ عن دينه ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ وإنما يضرُّ نفسه ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ يثيب المطيعين له تعالى، الثابتين زمن القتال.

• ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بقضاءِ الله تعالى وقدَره ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ إلى أجل محدَّدٍ مقدّر ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ حظَّها العاجل ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ من الدنيا على قدر نصيبه ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ حظَّها وجزاءها ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ على قدر نصيبه منها ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ على شكرهم.

• ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ﴾ وكَمْ مِنْ نبي ﴿قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ جماعات من العلماء والعباد ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ما عجزوا عن مقابلةِ

عدوِّهم ﴿وَمَا ضَعُفُواْ﴾ عن قتال أعدائهم ﴿وَمَا ٱسۡتَكَانُواْ﴾ ذلّوا لعدوهم ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ في مواجهةِ الأعداء.

• ﴿وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ﴾ الذي يردِّدونه ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ استرها عنّا ﴿وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا﴾ وتجاوز عن إسرافنا ﴿وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ في قتال الأعداء ﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾ أي أعِنّا على غلبتهم وردِّ كيدهم.

• ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾ من النصر والغلبة على أعدائهم ﴿وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ وهو رؤية ربهم، ودخول جنته ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤٨﴾ في عبادته ومعاملة خلقه.

التدبر

١ ـ الابتلاءُ سنّةٌ ربانيةٌ يميّز الله تعالى بها الصادقين في الطريق من غيرهم ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ طريق الإيمان مملوء بالعقبات، ومزدحم بالمشكلات.

٢ ـ ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ كم من بلاءٍ أحاط بعلماء أجلاء، وأفاضل مخلصين، فدفعوا في ذلك البلاء أرواحهم، وثبتوا على الطريق، والحياة كما قال الشاعر:

جُبلت على كدرٍ وأنتَ تريدُها صَفْواً من الأقْذاءِ والأكْدَارِ

٣ ـ كَمْ من دمٍ فاضَ في أرضِ الطغيانِ من أجلِ هذهِ الغايات ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾.

٤ ـ ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ عزاءٌ وسلوى للجرحى والمصابين والمرضى والمسجونين والمضطهدين في أرضِ الغربة.

٥ ـ إذا دهمتك الأحداثُ، وحلَّت بك الكروبُ، وفاجأتك المِحَنُ، فارقِهَا بهذا المعنى الكبير ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾.

٦ ـ لا تتمنّى لقاءَ العدوِّ ومضائق السجونِ وضيقَ الحالِ مهما بلغَ إيمانك ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾.

٧ ـ الاعتدادُ بالذَّاتِ أسوأُ مداخلِ الشيطانِ على الإنسان ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ وَثِقُوا بقدراتِهِم وإمكاناتِهِم، ثُمَّ لَمْ تنفعْهم في شيء.

٨ ـ الحقُّ لا يُعرفُ بالرِّجال، وإنما يُعرفُ الرجالُ بالحقِّ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ حتى حين ودّع الأنبياءُ الأرضَ، بقيَ دينُ الله تعالى يمضي في العالمين دون توقف.

٩ ـ الحياةُ والموتُ لا تُعجِّلُهُمَا الأحداثُ، ولا يؤخِّرهما القعود ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ ماتوا ألفَ مرَّةٍ وهم على أسرَّتِهِم لفقدانِ هذا المعنى الكبير.

١٠ ـ دعوةٌ للجبناءِإلى أن يقوموا ليشربوا مِنْ معينِ الحياةِ ما يبقيهم أحياء ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾.

١١ ـ النتائجُ وَقْفٌ على الأسباب ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾.

١٢ ـ على قَدْرِ همومِكَ تأخُذُ حقَّك مِنَ الدارين ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾.

١٣ ـ الحرياتُ والشجاعةُ لا تقدِّمُ أجلاً، ولا تفني نفساً، وإنما ترفعُ ذكرَ أصحابها ولو بعدَ حين ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

١٤ ـ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ علاجٌ للخائفين والقلقين والمُجْهَدِيْنَ من أحداثِ الموتِ، لَنْ تغادروا الحياةَ إلَّا في اللحظةِ التي أذنَ الله تعالى فيها بالرحيل.

١٥ ـ لا تقلقْ حينَ سفرِ ولدِكَ أو مرضِ والدِكَ أو حادثِ أخيك، فللأجلِ ساعته التي لا يزولُ عنها قِيْدَ أنملة ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

١٦ ـ حتى لو كنتَ في فَمِ المدفَعِ، وعلى شفيرِ المعركَةِ، وفي أوَّلِ الصفوفِ، وفي ساحةِ الخطرِ، فللموت موعدٌ لا يتقدّم عنه، ولا يتأخّر ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

١٧ ـ الصبرُ والالتزامُ والثباتُ على الطريق هي بعضُ صفاتِ الكبار ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾.

١٨ ـ الدعاءُ كفيلٌ بالثباتِ والنصرِ والتمكين ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾.

١٩ ـ مِنْ فقهِ المؤمنِ النظرُ إلى نفسه في جنبِ الله تعالى بعينِ الضعفِ والاستكانة ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾.

٢٠ ـ إذا رزقكَ الله تعالى الشعور بضعف نفسِـكَ في مقابلِ نِعَمِ الله تعالى عليك فقد رُزِقْتَ كلَّ خير ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾.

٢١ ـ على قَدْرِ ما في قلبكَ من إيمان يهبُكَ الله تعالى مباهجَ الحياة ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾.

٢٢ ـ ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ومَنْ أحبَّه الله تعالى لطفَ بِهِ، وأعانَهُ وسدَّده، وفتحَ له الخيراتِ حيثُ يشاء.

❀ ❀ ❀

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾
بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلۡقِي
فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ
مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئۡسَ
مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ
وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ
وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم
مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم
مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ
وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
﴿١٥٢﴾ ۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ
وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ
غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ
وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

التفسير

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فيما يأمرونكم به مِنَ الضلال ﴿يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ﴾ فتتركون دينكم ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ في الدارين.

• ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾ يتولاكم، وينصركم على عدوّكم، ويعينكم على سائرِ أموركم ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ فلا تحتاجون لأحدٍ بعده.

• ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ الخوف ﴿بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾ بسبب إشراكهم بالله تعالى ﴿مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ أشركوا بالله تعالى من غير حجَّةٍ بيّنةٍ ودليلٍ ظاهر ﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ مقرّهم في النهاية نار جهنم ﴿وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ وما أسوأ مأواهم ومقرَّهم.

• ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ﴾ فنصركم على أعدائكم ﴿إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦ﴾ تقتلونهم بإذنه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ بين البقاءِ في مواقعكم أو تركها ﴿وَعَصَيۡتُم﴾ الله تعالى بمخالفتكم لأمر رسولِهِ ﷺ بالبقاء على الجبلِ مهما كان الحال ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ من نصركم على أعدائكم، وهزيمتكم لهم ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا﴾ متاعها الزائل ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ نعيمها الثابت ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ﴾ عن هزيمة الأعداء ﴿لِيَبۡتَلِيَكُمۡ﴾ ليمتحنكم ﴿وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡ﴾ في كل ما حدث ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ حيث هداهم للإيمانِ ووفَّقهم للحق.

• ﴿إِذۡ تُصۡعِدُونَ﴾ تهربون سراعاً في الأرض ﴿وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ﴾ لا تلتفتون إلى أحد ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ﴾

يناديكم من ورائكم بالرجوع ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾ فجازاكم ﴿غَمَّۢا بِغَمٍّ﴾ غمّاً يتبع غمّاً، غمَّ الهزيمةِ وفواتِ الغنيمةِ، ومخالفةِ أمرِ رسولكم ﷺ وخبر قتله ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من النصر والغنيمة ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من الهزيمةِ والقتلِ والجراح ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ لا يغيبُ عنه مِنْ ذلكَ شيء.

التدبُّر

١ ـ طاعةُ الكافرينَ مؤذنةٌ لصاحبها بالهلاكِ والخسران ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ أياً كانت هذه الطاعة على مستوى الأفراد، أو الجماعات أو الأمم!

٢ ـ إذا رضي الله تعالى عنك فتحَ لك أبوابَ التوفيقِ والنصرِ والتأييد ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ وذلك أثرٌ من طاعةِ الله تعالى وحسنِ الإقبالِ عليه.

٣ ـ من أعظمِ الظلمِ الشركُ بالله تعالى ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾.

٤ ـ خطرُ المعصيةِ، وأنها تديلُ بواقعِ الأحداثِ، وتكتبُ على أصحابها أسوأ النهايات ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ

﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَـٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَـٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ كانوا مجتمعينَ منصورينَ متفوِّقينَ أيامَ الطاعة، وجاءت المعصيةُ لتكتبَ الفشلَ والخذلانَ والحرمانَ، وتريقَ دماءَ الكبارِ في تلك المساحات.

٥ ـ أخذُ الأمّةِ على أيدي بعضها بعضاً ضمانٌ للخيرات ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَـٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَـٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

٦ ـ أثرُ النزاعِ والخلافِ في ضياعِ مقدَّراتِ الأمة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾.

٧ ـ الركونُ للدنيا مفضٍ للضياعِ والخسران ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾.

٨ ـ مَنْ تعرّف على الله تعالى في أيامِ الرخاءِ تَعرَّفَ الله عليه في أوقاتِ الشدّة ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لولا تلك الأيام

السالفة بالعمل والإخلاص والاجتماع لَمَا كانت هذه الظلال الوارفة من العفو والصفح والغفران.

٩ ـ يُجْري الله تعالى المحنَ على عبادِهِ ليستخلصَ منهم مواردَ البرِّ والخيرات ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾.

١٠ ـ الكبار وأصحاب الفضل وحملة الرايات بشرٌ من الخلق، تأتي عليهم لحظاتُ الضعفِ والنقص ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ من يتصوّر أن تأتي لحظة على جيل الكرامة والتاريخ، وهو يبحثُ عن فجاجِ الأرضِ فراراً من مواجهةِ الأحداث؟! لولا ذلك لما عُرف ضعفُ الإنسان.

١١ ـ إذا رأيتَ كبيراً وقعَ في نقصٍ، فتذكَّر هذه اللحظةَ في حياةِ تلك الأجيال ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

١٢ ـ قضاءُ الله تعالى وقدرُهُ جارٍ على ما أراد الله تعالى ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ والصبرُ خيرُ ما لاذَ به صاحبُ المصيبةِ في ذلك الحين.

١٣ ـ إيّاكَ وحسراتِ الماضي، فإنَّها لا تجلبُ سوى الخسران ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

١٤ ـ كلُّ ما يجري منكَ محسوبٌ مكتوب ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ
عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ
لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا
تَعْمَلُونَ (١٥٣)﴾ سجّل الله تعالى عليهم حتى لحظاتِ الفزعِ والخوفِ ومناجاةِ
رسولهم لهم وهم لا يلوون على شيء.

❀ ❀ ❀

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً
مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ
ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ
ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ
كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ
لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى
صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا
ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟
عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ
يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ
﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾

التفسير

• ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ ٱلْغَمِّ﴾ الذي أصابكم ﴿أَمَنَةً﴾ أمناً وثقةً وطمأنينةً في قلوبكم ﴿نُّعَاسًا﴾ مقدِّماتِ النوم ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ وهم المؤمنون بالله تعالى ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ أخرى من المنافقين ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ لا دينهم ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ يظنُّون أنَّ أمرَ رسولِ الله ﷺ باطلٌ وخاسر ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ كظنِّ الجاهلية تماماً ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ فلو كان لنا قرارٌ ما خرجنا ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ يصرّفه كيفَ شاء ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ وكذلك كلُّ منافقٍ يبطنُ أشياء، ويظهر أشياء، خلاف الحقيقة ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ رأياً ومشورةً ﴿مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ في هذا المكان ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ﴾ لخرج ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ مِنْ صدقٍ وإخلاص ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ من إيمان ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ لا يغيبُ عنه من ذلكَ شيء.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ﴾ انهزموا وهربوا من ساحاتِ المعركة ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ جمع المسلمين وجمع الكافرين ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إنما أوقعهم في الخطيئة ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ ببعض ما اقترفوا من معصية ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ ما اقترفوه من خطيئة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ بالمؤمنين.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ساروا فيها ﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾ خارجين للقتال ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا﴾ ما خرجوا ﴿مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ بل بقوا أحياءً ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ القول ﴿حَسْرَةً فِى

قُلُوبِهِمْ﴾ كونهم لم يحتاطوا لأنفسهم ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ متى شاء وأين شاء ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١٥٦﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

- ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في الجهاد ونحوه ﴿أَوْ مُتُّمْ﴾ في سفرٍ أو غيره ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ تنالكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ يرحمكم بها ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ١٥٧﴾ في الدنيا من أموال.
- ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ على أيّ وجهٍ كان ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ١٥٨﴾ إليه تجمعون.

التدبر

١ ـ في طريقِ النصرِ والعزِّ والتمكينِ مراحل ومفاوز تحتاجُ أن تقطعَ زمنها حتى تبلغَ أمانيك ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾.

٢ ـ سوءُ الظنِّ بالله تعالى وبنصرِهِ ووعدِهِ وتمكينِهِ لأوليائه من علاماتِ النفاق ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾.

٣ ـ أيامُ الفتنِ والمصائبِ والأزماتِ مرتعٌ للنفاقِ والمنافقين ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾.

٤ ـ التلوّنُ والتخفي وإظهارُ شيءٍ وإبطانُ أشياء من علاماتِ النفاقِ وسماته ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾.

٥ ـ للموتِ ساعةٌ لا تُقرِّبها الأحداث ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾.

٦ ـ ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ رسالةٌ للجبناءِ والمذعورينَ في أيامِ الأزمات، مَنْ قالَ لكم بأنَّ الجهاد والسفرَ وحوادثَ الطريقِ وأزماتِ الحياةِ تُعجِّلُ بموتكم.

٧ ـ المعصية تخون صاحبها أحوج ما يكون فيها إلى التوفيق ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ تخيّل أنّ المعصيةَ تُديل عليك الحرب، وتسهم في فشلك وإخفاقِكَ، وتؤخِّرُ مشروعَكَ، وتبطئ بسيرك، وما تزالُ بك حتى ترميك في الهوامش.

٨ ـ يسألون لماذا تتعثّر مشاريعهم، وتضيع فرصهم، وتسوء ظروفهم، وتزيد ديونهم ولا يجدون سبيلاً للخلاص؟ وهذا الجواب ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾.

٩ ـ الخطأُ جِبلِّيّ، ومهما بلغَ شأنُ الإنسان قد يقعُ فيه، ويتدنّس بوحلِهِ مع الأيام ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾.

١٠ ـ لا تدّعينَّ موقفاً أو رأياً في زمنِ أزمةٍ قد تقع في أسوأ أحواله على الإطلاق ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ سمعت بعضهم يقول: لا يصلح أن يقول فلان كذا، أو يصنع الآخر كذا، فإذا بهم يقعون في أسوأ من

قيلهم وفعالهم، وهل كنتَ تظنُّ أنَّ مثلَ هؤلاءِ يفــرّونَ مِنْ موتٍ أو يغادرون ساحةَ معركة!

١١ ـ أيّامُ اللذات التي قضيتَهَا مع الشيطانِ هي ذاتها أيامُ المحنِ التي سيرصد لك فيها مساحةَ الخذلان ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾.

١٢ ـ لا تحبسكَ المعصيةُ في مساحةِ الســوء، ولا تغلق باباً يمكن أن يُفتح على مصراعيه ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾.

١٣ ـ سعةُ حلمِ الله تعالى وعفوِهِ وغفرانِهِ لســاحاتِ الخطأ التي تحلُّ على خلقه وعبيده ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ حتى الفرار من المعارك الذي يعدُّ من الكبائرِ مشمولٌ بالعفوِ والصفحِ والغفران.

١٤ ـ عِظَمُ أثرِ الكلمةِ وشـــدّةُ خطرها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾ كم مرَّةً أبقت حسراتٍ اكتوى بها الإنسان ما بقيَ من عمره.

١٥ ـ إياكَ وكلماتِ اليأسِ والتشــاؤمِ والإخفاقِ، فإنّها لا تورّثُ ســوى الأحزان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾.

١٦ ـ من كمالِ عقلكَ، وحسنِ علمكَ، أن تصنعَ لكلِّ موقفٍ وحادثةٍ وأزمةٍ كلماتِ الفألِ والفرحِ والطمأنينة، وتدفعَ بمَنْ معك، ومَنْ حولكَ إلى الحياةِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى

لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾.

١٧ ـ توظَّفَ وظيفةً فقابلَ صديقَهُ وبشَّره، فقالَ له ذلك الصديقُ: هذه الوظيفةُ لا تصلحُ لكَ، فألْقِ بها، ثم قضى بقيَّةَ عمرِهِ قاعداً متسوّلاً عالةً على واقعِهِ ومجتمعه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾.

١٨ ـ تزوَّجتْ وبقيتْ مع زوجها زمنَ الفرحِ، ثم داومت في وظيفتها لتقابلَ زميلاتها، فقالت لها إحداهن: مثلك لا تتزوج ذلكَ الإنسان، أحرقَتْ فرحَهَا، ووأدَتْ سعادَتَها، وجلبَتْ إليها الأحزان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾.

١٩ ـ بذلَ وسعَهُ في عملٍ ومشروعٍ، وبقيَ عليه زمناً، ولمّا نشره في وسائلِ التواصلِ الاجتماعيِّ وصلته رسالةٌ من صديقٍ: ليتك استبدلتَ به غيره، مثل هذا لا يصلح أن ينشر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾.

٢٠ ـ لا يجوزُ بحالٍ أن يصبحَ الموتُ هاجسَ طريقك، وضجيعَ سريرِ نومك، ومرافقك في سفرك ورحيلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾.

٢١ ـ من كمالِ دينِكَ ألَّا تتحسَّرْ على فائت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ (١٥٦) ﴾.

٢٢ ـ فرقٌ بينَ موتٍ وموت، وغايةٍ وغاية، ورحلةٍ ورحلة ﴿ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ (١٥٨) ﴾.

❀ ❀ ❀

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ
لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى
ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾
إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا
ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾
وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ
وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ
وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن
كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم
مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ
أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

التفسير

• ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ بفضل من الله تعالى عليك بهذه الرحمة ﴿لِنتَ لَهُمْ ﴾ للمؤمنين ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا ﴾ غليظاً جافياً ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ ﴾ قاسيه ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ لتفرَّقوا، فلَمْ يجتمعوا عليك ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ ﴾ فيما بينكَ وبينهم مِنَ الحقوق ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ فيما بينهم وبين الله تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ فيما تحتاجُ فيهِ إلى مشورة ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ ﴾ على الأمر ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ فوّضْ أمرَكَ إليه، وامضِ فيما شاورتَ فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ عليه.

• ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ فلن تنالكم غلبةٌ مِنْ مخلوق ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ ﴾ يترك إعانتكم ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ فلَنْ تجدوا مَنْ ينصركم ويعينكم، ومردُّكم إلى خسارةٍ وخذلان ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ فليفوِّضوا أمورهم إليه ﷻ.

• ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ فيكتُمَ شيئاً من الغنيمة، أو يخونَ فيما يتولاه مِنْ أمانات ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ حاضراً مشاهداً للخلق أجمعين ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ تُعطى جزاءَ ما أخذت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ في شيء.

• ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ ﴾ رجع ﴿بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ لا يستويان ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ﴾ مقرّه ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ ﴾ ما أسوأ ذلك المصير!

• ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ المتّبعون لرضوانه، والراجعونَ بسخطه كلٌّ بحسبه ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ فيجازيهم على عملهم.

• ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أنعم عليهم ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ من جنسهم مِنْ بني آدم ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ من القرآن الكريم ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم مِنْ كلِّ رذيلة ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ السنة ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ من قبل مجيئه ﷺ ﴿لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ في غايةِ الضّلال.

• ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ حين هُزمتم في أحد ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ ضعفيها من القتلى والأسرى يوم بدر ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا﴾ كيف أصابكم؟! ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ بسببكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ لا يغلبه شيء.

١ ـ من منّة الله تعالى على عبده أن يهبه مِنْ كريمِ الأخلاقِ وفاضلِ الخصالِ، ولينِ الجانبِ ما يجعلهُ محبوباً في الأوساطِ التي يعيشُ فيها ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «مَنْ سبقَكَ في الأخلاقِ فقدْ سبقَكَ في الدِّين».

٢ ـ مِنَ الحرمانِ ألا يهبَكَ الله تعالى شيئاً مِنْ هذهِ الخيرات ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ وتعيشَ منبوذاً في أوساطِ الناس.

٣ ـ مِنْ أخلاقِ الكبارِ ألا ينظروا للمواقفِ التي تحولُ بينهم وبينَ الآخرين، وأن يتحلّوا بالصفحِ والغفران ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾.

٤ - ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ حتى لا يبقى شيء من العثرات في طريقهم!

٥ - أَزِلْ ما بينَ قلبكَ وقلوبهم منْ عثرات، وادفَعْ تلكَ العوائقَ التي بينهم وبين الله تعالى، ثم انتظر مباهج الشورى ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾.

٦ - الشورى إحدى دعائمِ النجاحِ الكبرى في حياةِ الفردِ والجماعة ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾.

٧ - من صفاتِ القائدِ وركائزِ النجاحِ لديه إرساءُ مبدأ الشورى في وسطِ الجماعةِ التي يعيشُ فيها ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾.

٨ - صناعةُ القرارِ بعد الشورى إحدى الأدلَّةِ على قوّةِ القائدِ، وقدرتِهِ على إدارةِ واقعه ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

٩ - التردّد في اتخاذِ القرارِ بعد الشورى ضعفٌ وجبنٌ لا يليق بالكبار ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

١٠ - حسنُ العلاقةِ بالله تعالى مددُ التوفيقِ والنصرِ في النهاية ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾.

١١ - الأصلُ في الكبار الارتفاع عن شهواتِ النفوسِ، والاستعلاءِ على عثراتها ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ حتى لو كانت النفوسُ مجبولةً على حبِّ المالِ؛ فالأنفة من سقطاته جزءٌ من أخلاق العظماء.

١٢ - رسالةٌ ضخمةٌ للمجترئين على مال المسلمين العام ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أرأيتم رجلاً في عَرَصَاتِ القيامةِ يحملُ غلوله، ويشيرُ الناسُ إلى

إجرامه! لمثل هذا الوعيد كان أحدهم يتحـرّج أن يأخذ ورقةً من المالِ العام، أو يصوّر في آلة العمل، أو يملأ قلمه من حبرِ مالِ المسلمين!

١٣ ـ لا يستوي مجتهدٌ في طريق الخيراتِ وموغلٌ في الفساد ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾.

١٤ ـ لا يفوتُ على الله تعالى شيءٌ من أعمالِ الخلق ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾.

١٥ ـ ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ أيّـاً كان زمنُـهُ وموقعُهُ ومسـاحتُهُ، والظروفُ المحيطةُ به!

١٦ ـ حتى لو أقفلتَ بابك، وأطفأْتَ سراجَكَ، وخلا مكانُكَ من العالمين ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾.

١٧ ـ ماذا لو جـرى هـذا المفهـوم ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ في قلبكَ ومشاعرِكَ، ورافقَكَ في كلِّ لحظةِ عملٍ ومشروع!

١٨ ـ منّة الله تعالى على خلقه برسول الله ﷺ ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ قد لا يدرك هذا المعنى إلّا قارئٌ لسنته وسيرته، ليرى كَمْ تحمّلَ من أجلِ أمته! وكم بذلَ في سبيلِ إيصالِ رسـالةِ هذا الدين إليهم! يكفي أنه كادَ يُهْلِكُ نفسَهُ حسرةً على إعراضهم، ونزلَ العزاء مسلّياً مِنَ السماء ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٣].

١٩ ـ تخيّل المسافةَ الفاصلةَ بينَ منّة الله تعالى على الأمة بهذا الرسول ﷺ ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ ولم يتمكّن الكثيرون بعدُ مِنْ قراءةِ سيرتِهِ وسنّتِهِ كاملةً حتى الآن.

٢٠ ـ إذا أردت أن تعرفَ حجمَ أثرِ هذا الرسول ﷺ على قومِهِ؛ فتأمّلْ الفارقَ بينَ واقعِ تلك الأمةِ فـــي الجاهليةِ وواقعِهم في الإســـلام ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

٢١ ـ واجبٌ على كلِّ مصلحٍ أيّاً كان مشروعه أن يقرأَ سيرةَ رسولِهِ ﷺ، ويجري في فلكهـــا ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ وما يصنعُ الدعاةُ والمصلحونَ وحملة أفكارِ النهضةِ، وهم لَمْ يشربوا مِنْ هذا المعينِ الصافي بعد؟!

٢٢ ـ ما أصابك من جرّاء نفسك ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾.

٢٣ ـ إذا ثارَ غبارٌ، أو حَلَّ ظلامٌ، أو أوصِدَ بابُ توفيقٍ: فيمِّمْ وجهَكَ إلى ماضيكَ لعلَّكَ تجدُ خللاً يحتـــاجُ إلى إصلاح ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾.

٢٤ ـ في مراتٍ كثيرةٍ نكتشف أنَّ الظروفَ التي تحيطُ بنا، والمشكلاتِ التي تواجهنا، والعقباتِ التي تقفُ في طريقنا هي مِنْ صناعةِ أنفسنا ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾.

٢٥ ـ أجرى صفقة ربا، ونظر نظرةً مشؤومة، وتسلّقَ على أعراضِ الآخرين وتفاجأَ بشـــتاتِ أســـرتِهِ، وظروفِ واقعِهِ، وفاتَهُ أَنَّ هذه هي عواقب المعاصي ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾
وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ
ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ
أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ
وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ
أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ
صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ
أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن
فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ
عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ
وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ
وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ
وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ
جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ
ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ
سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾

التفسير

- ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ﴾ من قتلٍ وجراحٍ وهزيمة ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ جمع المسلمين، وجمع المشركين ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ بقضائِهِ وقدرِهِ ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ الصادقين الصابرين.

- ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ على حقيقتهم ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ من أجل الله تعالى وإعلاء دينه ﴿أَوِ ٱدۡفَعُواْ﴾ العدو عن دياركم وأهلكم ﴿قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ﴾ أنَّ هناك ﴿قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡ﴾ وقاتلنا معكم ﴿هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ﴾ يومَ أن انخذلوا عنكم وتركوكم ﴿أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم﴾ بألسنتهم ﴿مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ من حقائق ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ في صدورهم .

- ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ الخارجين للجهاد في سبيل الله تعالى ﴿وَقَعَدُواْ﴾ عن القتال ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا﴾ في القعود ﴿مَا قُتِلُواْ﴾ لبقوا أحياءً ﴿قُلۡ﴾ إن كان الأمر كذلك ﴿فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ﴾ ادفعوه عنكم إذْ حَلَّ وقته ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ فيما تقولون.

- ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ﴾ لا تظننّ أن ﴿ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ من أجل الله تعالى ﴿أَمۡوَٰتَۢا﴾ في قبورهم ﴿بَلۡ﴾ الحقيقة والواقع أنهم ﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ حياة حقيقية ﴿يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ كل ما يريدون من أنواع النعيم.

- ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ مسرورين بذلك ﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ يبشّر بعضهم بعضاً ﴿بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ من إخوانهم المؤمنين ﴿أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ مما يقدمون عليه ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ على ما تركوه.

• ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يهنئ بعضهم بعضاً ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ التي نالتهم ﴿وَفَضْلٍ﴾ حازوا عليه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ بل يعطيهم أجرهم وافياً كاملاً.

• ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ عندما دُعُوا للخروج في سبيل الله تعالى وملاقاة المشركين في غزوة حمراء الأسد التي أعقبت أحداً ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ الجراح والألم في غزوة أحد ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ﴾ عملاً ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ الله تعالى ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ كبير.

• ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ بعض المشركين ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ قريشاً بقيادة أبي سفيان ﴿قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ ما يستأصلونكم به ﴿فَٱخْشَوْهُمْ﴾ خافوهم ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ إيماناً بالله تعالى وتوكّلاً عليه ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ هو كافينا ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ خير ما يتوكل عليه.

• ﴿فَٱنقَلَبُوا۟﴾ رجعوا بعد خروجهم إلى حمراء الأسد ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ثواب عظيم ﴿وَفَضْلٍ﴾ زيادة في أجرهم ودرجاتهم ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ لم يصبهم أذًى ولا مكروهٌ ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ ما يرضي الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ لا يحدُّه شيءٌ لسعتِهِ وعظيمِ أثره.

١ ـ كل ما يصيب الإنسان إنما هو بقضاء الله تعالى وقدره ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾.

٢ ـ أيّاً كانت جراحك، فهذا الدواءُ كافٍ في العلاج ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ قدّره الله تعالى في الموعد، وأجراه في الوقت.

٣ ـ كل ما يقع بك لا يعدو أن يكون قدراً دُوِّنَ في سـجلِّ عمرك أيامَ كنت في بطن أمك، فلا تكترث بفواجـع الأيام ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾.

٤ ـ لو لم يكن من نتائـج الأحداث التي تجري إلَّا تصفيـة الصف. وتمحيص المؤمنين من المنافقين لكان درسـاً كافياً فـي الحكمة ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾.

٥ ـ في كلِّ محنةٍ وبليَّةٍ ألطافٌ وهبات ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾.

٦ ـ سـتظلُّ زُمَرُ النفاقِ في كل عصرٍ واجتماعٍ ومكانٍ باسطةً يد الأذى، وصانعةً لأحداثِ السوءِ والفرقةِ والاختلاف ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾.

٧ ـ لو لَمْ يكن في الجهادِ إلَّا هذهِ البشـائر ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ لا ستحقَّ أن يكون من أماني الكثيرين!

٨ ـ لا تسـتغرب حينَ تجد مَنْ يتركُ أهله ووطنه، ويودِّع كلَّ شـيءٍ، ويبذلُ كلَّ ما يملك في سـبيل هذه الغايات ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ

أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾.

٩ ـ على قدر جهدكَ وعملكَ وتحمُّلك في ذات الله تعالى تنال غنائم الدارين ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ الاستجابة لله تعالى ولرسوله كل شيء.

١٠ ـ القلوبُ المؤمنةُ لا تزعزعها أخبارُ الفزع والخوف ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾.

١١ ـ إذا دهمَكَ الخوفُ والقلقُ وحوادثُ الزمانِ، فافزَعْ إلى ربِّك، ولُذْ بجنابِهِ تغمرْكَ السكينةُ، وتغشاكَ رحمةُ الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾.

١٢ ـ التوكّلُ على الله تعالى، والتوجّهُ إليه جالبٌ لخيراتِ الدارين ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾.

❀ ❀ ❀

إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن
كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ
إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا
فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ
بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٧﴾
وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا
نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ
ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ
ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن
رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ
فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ
ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ
سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٨٠﴾

التفسير

• ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ ﴾ يخوِّفهم بأنصارِهِ وأعوانِه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ ﴾ فلا حولَ لهم ولا قوّة ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ بي.

• ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾ لا تحزنْ لمسارعةِ بعضِ الناسِ إلى الكفرِ وتركِ الإيمان ﴿إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا ﴾ لأن كفرهم وبال عليهم ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ نصيباً منها ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٦﴾ يوم القيامة.

• ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ استبدلوا الكفر بالإيمان ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا ﴾ بفعلهم هذا ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٧﴾ يوم القيامة.

• ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ ﴾ نؤخِّرهم عن الهلاك ﴿خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡ ﴾ أنّ ذلك خير لهم ﴿ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ ﴾ نؤخِّرهم ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗا﴾ بارتكاب المعاصي ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٧٨﴾ مخزٍ ومذلٌّ يوم القيامة.

• ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ليتركهم ﴿عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ من الإيمان ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ حتى يميّز ﴿ٱلۡخَبِيثَ ﴾ المنافق ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ الصادق ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾ فتميِّزوا بين المؤمنِ والمنافق ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي ﴾ يصطفي ويختار ﴿مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ فيطلعه على بعض الغيب ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ كما أمركم الله تعالى ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ ﴾ بالله تعالى ﴿وَتَتَّقُواْ ﴾ فتجعلوا بينكم وبين عذابه وقايةً بفعلِ أوامرِه، واجتنابِ نواهيه ﴿فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٧٩﴾ يوم القيامة.

• ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ لا يظنن ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ فلا ينفقونه في سبيل الله تعالى ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ أفضل وأحسن ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ في دينهم ودنياهم ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يجعل كطوق من نارٍ في أعناقهم ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فهو يرثها كلها ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ لا يغيب عنه شيء من عملكم.

التَّدَبُّر

١ ـ صاحبُ الإيمانِ لا يلتفتْ إلى عوارضِ الطريق ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ ومن أخطر تلكَ العوارضِ تسويلاتُ الشياطينِ، وتخويفهم لعبادِ الله تعالى المؤمنين.

٢ ـ من مظاهرِ هذه العوارضِ التي يرصدُها الشيطانُ قوّةُ الباطلِ وإرجافُ النفاقِ حتى يتخلى الإنسانُ عن الطريق ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾.

٣ ـ ومن مظاهرِها الأزماتُ الاقتصاديةُ التي يزيّن الشيطانُ لصاحبهِ أن يتخلّى عن مشروعِهِ وفكرتِهِ، ويبدأ البحثَ عن لعاعِ هذه الحياةِ العاجلِ، وينسى كل شيء ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾.

٤ ـ ومن مظاهرها أن يعتقدَ أنَّ وراءه من يراقبه، ويرصدُ حركاتِهِ، ويخوّفُهُ بالسجونِ حتى يتخلّصَ مِنْ مظاهرِ استقامتِهِ، ويعود مهمّشاً في الحياة ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾.

٥ ـ ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ فلا

تخافوهم: هي العقيدة التي يجب أن تصمدَ أمـــام كل هذه العقبات التي يضعها الشيطان في الطريق.

٦ ـ لا يصوّر لكم الشــيطان أنَّ أرزاقكم ســتنقطع، وأمنكُم ســيزول، وحياتكم ستضيع، الله تعالى أولى بكم مِنْ كلِّ شيء ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾.

٧ ـ لا تنشغلْ بالمدبرينَ عَنِ الدعوة ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ لو كان فيهم خيرٌ لها لما بَرِحُوا ساحاتها، كَمْ مِنْ عددٍ كانَ عِبئاً عليها! والقلّةُ الصادقةُ أنفع لها مِنْ غثاءِ السيل!

٨ ـ تاركُ طريقِ الحقِّ بعد العيش في رحابه محرومٌ مـــن نهاياتِ التوفيق ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ لا تحـــزن على أن فلاناً تركَ الاســـتقامة، وعالماً ضلَّ الطريق، وكبيراً تخفَّف من أعباء الهداية.

٩ ـ الإســـلامُ لا يزدادُ بكثرة العدد، ولا يكبرُ بأعدادِ المنتمين إليه! القلّةُ القائمةُ بأمره كافيةٌ في تحقيقِ آمالِهِ وأمانيه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾.

١٠ ـ لا تستغربْ مدَدَ الله للمعرضين في الزمانِ، تلك زيادةٌ في أوزارهم، وتبعاتهم يـــوم القيامـــة ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ يعرضون عن الله تعالى، ويخالفون أمره، ويمدّهم لا لكرامةٍ، ولكن لزيادةِ الأوزار.

١١ ـ للابتلاءات حكم يريد الله تعالى أن يصنعَ بها واقعاً في قادمِ الأيام ﴿مَّا كَانَ

ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾.

١٢ ـ لا تستغربْ سجنَ صاحبِ حقٍّ، وفصلَ صاحبِ موقفٍ، وطردَ صاحبِ دينٍ، أجرى الله تعالى ذلك على أيدي المخلوقين لحكمةٍ يشاؤها، وقضيةٍ يريد تقريرها في العالمين ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾.

١٣ ـ من فوائد الفتن ومظاهرها الحكيمة أنّها تبيّن لك الذهب من خبث الحديد ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾.

١٤ ـ كثيرون لا نعرفهم إلّا بعد أن تصلى ظهورهـم النار، ويؤثّر قيدُ الحبسِ في أقدامهم، فتثور مشاعر الحب في قلوبنا لثباتهم وعظم إيمانهم ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾.

١٥ ـ الأمن لا يبين عن الرجال ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾ يحتاجون مواقف الفتن لتعرف مَنْ يسقطُ في الطريق، ومن يثبتُ: حتى يعرفَ الإيمان.

١٦ ـ إياكَ وقراءةَ الأحداثِ والأخبارِ والوقائعِ من وجهها الظاهر، أدر عقلك ووجهك لما وراء تلك الصورة من أحداث ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾.

١٧ ـ إذا رأيته ممسكاً بماله، مغتبطاً بكثرته، لم تمتدَّ يده إلى خيرٍ، فبشره بنهايات السوء ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾.

١٨ ـ لن ينقصَ الإسلامُ أو يتوقَّفَ ببخلك ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ الله تعالى يدبّر العالم كله.

❀ ❀ ❀

لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ
عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ
لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ
إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُۗ
قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ
قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾
كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ
أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى
كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

التفسير

• ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ حين طلب منا القرض ﴿وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ بما عندنا من الأموال ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾ في صحف أعمالهم، ويجازون عليه يوم القيامة ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ ونكتب قتلهم الأنبياء بغير حق ﴿وَنَقُولُ﴾ لهم يوم القيامة: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ العذاب المؤلم المحرق.

• ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب الذي ينالونه ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ بسبب أفعالكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ لا يظلم أحداً من الخلق.

• ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾ أوصانا في كتبه، وعلى ألسنة أنبيائه ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ﴾ صدقة يتقرب بها إلى الله تعالى ﴿تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ تنزل النار، فتأكله دليلاً على صدقه ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج الواضحة ﴿وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾ من أنه إذا أتاكم بقربان تأكله النار آمنتم ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ بعد أن اتضح صدقهم أنهم رسل الله تعالى ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ في دعواكم أنكم تتبعون الحق.

• ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ يا محمد ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ فلست بأول مكذَّب ﴿جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج الواضحة ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ الكتب المشتملة على المواعظ والرقائق ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ الهادي بما فيه من الأحكام والشرائع.

• ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ ميّتة لا محالة ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ أخرج منها حتى جاوزها ﴿وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ ظفر بما يريد ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ متاع زائل.

• ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ لتمتحننّ ﴿فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ بالمصائب والأمراض ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ من اليهود والنصارى ﴿مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ من الطعن في دينكم وأعراضكم ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾ على أذاهم ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ ربكم ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ من الأمور التي يعزم عليها.

التدبر

١ ـ من أدبيات اليهود الاعتداءُ على الذاتِ الإلهية، والتطاول على مقام الربِّ دون وازعٍ مِنْ عقلٍ وعلم ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ وما أكثر أتباعهم في مثل هذا الزمان!

٢ ـ إذا رأيت مَنْ يعتدي على ربِّه، ويتهكم على شرعه، ويلمز وحيه، فقد تُوُدِّعَ منه ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾.

٣ ـ الافتراءُ والكذبُ والدجلُ في الأخبارِ والأقوالِ من سماتِ يهود ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ﴾.

٤ ـ ثمّة لحظة ستغادر فيها الحياة، وتُطوى منها صفحاتُ عمرِكَ الطويلِ ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ فتهيَّأ للقاء الله تعالى قبلَ فواتِ الأوان.

٥ ـ من كمالِ عقلِكَ وفهمكَ وزيادةِ وعيكَ أَنْ تهب لهذه اللحظة كلَّ ما تملك ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾.

٦ ـ دخولُ الجنَّةِ أعظمُ النهاياتِ التي تنتظر الإنسان ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾.

٧ ـ ﴿فَقَدۡ فَازَ﴾ قد لا تُقرأ قراءةً جادّةً واعيةً إلّا في لحظاتِ زحامِ أهلِ الجنانِ على تلك الأبواب.

٨ ـ ﴿فَقَدۡ فَازَ﴾ ليس في مباراة، أو وظيفة، أو دراسة، فاز فوزاً حقيقاً لا شبيهَ له ولا مثيل!

٩ ـ كلّ ما في هذه الحياة مما رأت عينك أو سمعت أذنك لا تعدو أن تكون متاعاً زائلاً لا قيمةَ له في النهايات ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾.

١٠ ـ ما لكم ولهذا الصراع الكبير على هذه الحياة! ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ ليست إلَّا مجرَّد متاع.

١١ ـ ليتَ الذيـن يتصارعون حولَ هذه الدنيا يَعُوْنَ هـذِهِ الحقيقة الكبرى ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾.

١٢ ـ جزءٌ كبيرٌ من مشـكلاتنا أننا لا نعي الحقائقَ الكبرى إلَّا بعدَ فوات الأوان ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾.

١٣ ـ إذا آمنت بهذه الحقيقة كففت بصرك ولسانك عن كثيرٍ ممَّا تراه وتسمعه عن مباهجِ هذه الدنيا ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾.

١٤ ـ كلّ ما يعرضُ لك من مصائبَ وأزمـاتٍ وأحداثٍ هي الطريق الأمثل لبلوغ غايات الآخرة ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾.

١٥ ـ إذا ضاع مالك، ومات ولدك، وتعرضتَ لحوادثِ زمانِكَ، فأسـقِ نفسَك من صبـركَ حتى تعـودَ إلى سـاحاتِ رضـا ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾.

١٦ ـ إذا سألك ما يصنعُ أمامَ الفتنِ والشهواتِ وحوادثِ السوءِ؟ فذكِّره بهذا الدواءِ الناجعِ ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾.

١٧ ـ الصبرُ والتقوى تعني الاستعلاءَ على هذهِ الدنيا العارضة ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾.

❀ ❀ ❀

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا
تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا
يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن
يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ
جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا
بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ
أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى
لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ
وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ
أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ
فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟
وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

التفسير

• ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ العهد عليهم ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ لتوضِّحُنَّ للناس ما في هذه الكتب من علم ﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ ولا تكتموا العلم ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ تركوا ذلك العهد، ورموه وراءَ ظهورهم، ولم يعملوا به ﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ﴾ بالعهد ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يسيراً ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ ما أسوأ ما اشتروا.

• ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ من الأفعال والأقوال السيئة ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟﴾ يمدحوا ﴿بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ من الخير والعمل الصالح ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ بمنجاة من العذاب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ قاسٍ موجعٌ يومَ القيامة.

• ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً وتدبيراً ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾ يفعل ما يشاء.

• ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ تعاقبهما ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ لعبر وعظات ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ لأصحاب العقول.

• ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ في كل حال ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يتأملون بديع صنعهما ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ عبثاً ولهواً ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ عما لا يليق بجلالك ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ أنجنا منها.

• ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾ يوم القيامة ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ أذللته وأهنته ﴿وَمَا

﴿لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢﴾ يدفعونَ عنهم عذابَ الله تعالى ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ﴾ فأجبناه إلى ذلك وآمنَّا بالله تعالى ﴿رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ استرها علينا ﴿وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ امحُها من أعمالنا ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾ مع كلِّ بارٍّ صالح.

• ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ من الجزاء والأجر لأهل الإيمان ﴿وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ﴾ لا تذلَّنا يوم القيامة ﴿إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾ لا تخلف ما تعد به عبادك.

• ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ دعاءهم ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم﴾ بل يُوفّى أجره على عمله كاملاً ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ﴾ رجلاً كان أو امرأة ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ رجالكم مثل نسائكم لا فرق ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ إلى المدينة ﴿وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ طاعة لله تعالى ﴿وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾ في طريق الإيمان ﴿وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ في سبيل الله تعالى ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ أمحو عنهم ذنوبهم ﴿وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾ جزاءً مِنْ عندِ الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾ جميل الجزاء.

التدبر

١ ـ كتمُ العلم، وعدمُ القيامِ بتبعاته مِنْ ميراث يهود ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧﴾.

٢ ـ إذا رأيته يتدفّقُ علماً، ولَمْ ترَ له واقعاً مِنْ عملٍ، فذلك سوء توفيق ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

٣ ـ كم من عهدٍ قطعه الله تعالى على العلماءِ وما زالوا عنه معرضين ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

٤ ـ أعظمُ واجبِ العلماء القيامُ بشأنِ العلمِ، وتعميمُ أثرِهِ، وتوسيعُ دائرتِهِ، وإشاعةُ مفاهيمِهِ في الواقعِ الذي يعيشون فيه ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ كان بعضُ السلفِ إذا استفادَ علماً رابطَ على تعليمه حتى يرى أنه خرجَ مِنْ تبعاته.

٥ ـ الفرحُ بالذنب دليلٌ على موتِ قلبِ صاحبه ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾.

٦ ـ الجراَةُ على الله تعالى فرعٌ عن ظلامِ القلب ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾.

٧ ـ محبةُ الثناءِ على أشـياء لم يفعلها قلّةُ فقـهٍ وضعفُ عقلٍ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾.

٨ ـ الشـــخصياتُ التي تبتهجُ بالثناءِ على أمرٍ لم تفعله شخصياتٌ معلولةٌ تحتاجُ إلى علاج ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾.

٩ ـ التفكُّرُ فـــي آياتِ الله تعالى يزيدُ الإيمانَ، ويـــورثُ اليقينَ، ويرزقُ صاحبه العظة والاعتبار ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ في مرّاتٍ كثيرةٍ لا نحتاجُ ســوى بضــعَ دقائقَ للتعرُّفِ على تفاصيلِ هذا الكون العظيم.

١٠ ـ ساعاتك التي تقضيها في رحابِ العلمِ ومدارستهِ، والتفكُّرِ فيه من أعظمِ أيامِ عمركَ عنــدَ ربك ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ إذا كان هذا الثناءُ العاطرُ للمتفكِّرينَ في الخلقِ فما بالكَ بالمتفكِّرينَ في الشَّــرع! الأول ينفع نفســه، والآخرُ يصنعُ مباهجَ الحياة.

١١ ـ الدعـــاءُ أعظـــمُ مظـاهـر العبـوديـــة ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾.

١٢ ـ الدعاء يشرفُ بصاحبه على خيراتٍ عظيمة ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ

أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾.

١٣ ـ الدعاءُ بربوبيـــة الله، والتوجّـه إليـه، والإلحاحُ عليــه من خـلال هـذا الطـريـــق: أقربُ ما يكــون لإجابة دعائـــك ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾.

١٤ ـ تكرارُ الدعاء والإلحاحُ فيه والإقبالُ عليه موجبٌ لعناق النهايات ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾.

١٥ ـ الثناءُ على الله تعالى بابٌ لقبولِ الدعاءِ ومفتاحٌ للتوفيق ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾.

١٦ ـ في بابِ الدعاءِ خاصة لا حــرجَ أن تدلي ببعضِ ما صنعتَ في جنابِ ربك ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ ﴾.

١٧ ـ من موجباتِ إجابةِ الدعاء التوسُّل إلى الله تعالى بالعملِ الصالح ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ ﴾.

❀ ❀ ❀

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ
ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ
رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا
نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ
وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

التفسير

- ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ أيّها النبي ﴿تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾﴾ من تنقلهم في البلاد، وتمكّنهم منها، وسِعَةِ أرزاقهم وتجاراتهم.

- ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ يزول مع الأيام ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ﴾ مستقرُّهم في النهاية ﴿جَهَنَّمُ﴾ يوم القيامة ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ وبئس الفراش لهم النار.

- ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ﴾ جعلوا ما بينهم وبين عذاب الله تعالى وقاية

بفعلِ أوامرِهِ، واجتنابِ نواهيه ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يحوّلون منها ﴿نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ مقراً ومنزلاً ينزلون فيها من عند الله تعالى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ أفضل وأحسن.

• ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ من اليهود والنصارى ﴿لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ ويؤمن بالقرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ من كتب وشرائع مع أنبيائهم ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ يخشونه حق خشيته ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ بل يعظّمونها، ويقومونَ بحقّها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ لهم ثوابهم العظيم عند ربهم تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ ثواباً على الطاعة، وعقاباً على المعصية.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟﴾ على الطاعةِ وعن المعصيةِ، وعلى أقدارِ الله تعالى ﴿وَصَابِرُوا۟﴾ على ما أنتم عليه من الطاعات ﴿وَرَابِطُوا۟﴾ أقيموا على ثغورِ الجهاد ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله تعالى وقايةً بفعلِ أوامرِهِ، واجتنابِ نواهيه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ تفوزون بما تنتظرون.

التدبر

١ ـ لا تُعِرْ الدنيا شيئاً من قلبك ومشاعرك ووجدانك، فتلك مساحاتٌ آيلةٌ للزوال ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾.

٢ ـ أياً كان النعيمُ العارضُ لكَ يجبُ ألا يشغلك عن مساحاتِ الدَّارِ الآخرة أو يلفت قلبك عنها ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾.

٣ ـ كل ما يهب الله تعالى في الدنيا ليسَ دليلاً على رضاه عن صاحبه ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ ألا ترى هذه الدنيا باسطةً ربيعها للكافرين والمعرضين!

٤ ـ كم من نعيمٍ سابغٍ على صاحبه كانَ استدراجاً لشقائه ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾.

٥ ـ ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ رسالةٌ للمصلحين في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ألا يغتروا بسلطانِ وقوى الكافرين.

٦ ـ كل هذه القوى التي تراها في أرض الكفر آيلةٌ للزوالِ ومؤذنةٌ بالفوات ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾.

٧ ـ تفاءل مهما كان واقعكَ الذي تعيشه، ستأتي أيام الربيع، وستتقلّص مساحات الصحراء ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾.

٨ ـ العاقبة، ونهايات الأحلام وَقْفٌ على التقوى ﴿لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾.

٩ ـ الجزاءُ مِنْ جنسِ العمل ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾.

١٠ ـ مِنْ كمالِ أدبكَ، وجميلِ علمك أَنْ تسـندَ الفضلَ إلى أهله ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾.

١١ ـ العـدلُ منهـجٌ يجب أن يأخـذَ حظَّه مِـنْ واقعِكَ كامـلاً ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾.

١٢ ـ الإسلامُ لا يغمطُ الآخرينَ حقوقَهم، ولا يضيع شيئاً مِنْ أعمالِهم ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾.

١٣ ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ دعوةٌ عامّةٌ لكلِّ أصحابِ ثغورِ الجهادِ سواء كانت ثغوراً حربيةً أو علميةً، أو دعويةً أو اجتماعيـةً، أو إعلاميةً أو غيرها من الثغور، الزموا ثغوركم، ورابطوا عليها، وتحمّلوا تبعاتها، وإياكم أن تبرحوا ساحاتها، وتجمّلوا في ذلك الرباط كلِّه بتقوى الله تعالى، وتعظيم شـعائره، فكَمْ مِنْ فلاحٍ في انتظارِ تلكَ النهاياتِ، والحمد لله رب العالمين.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ النِّسَاءِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ
بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ
خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ
وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ
أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن
شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى
جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾
وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ
إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا
فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ
أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

التفسير

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ من آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ نشر منهما ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ يسأل بعضكم بعضاً بالله تعالى ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾ واتقوا الله تعالى في الأرحام، فلا تقطعوها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ لا يفوته شيء من أعمالكم.

- ﴿وَءَاتُواْ﴾ أيّها الأوصياء والأمناء ﴿ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ ابذلوها لهم، وادفعوها إليهم إذا بلغوا وكانوا راشدين ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ﴾ الرديء الخسيس من أموالكم ﴿بِٱلطَّيِّبِ﴾ بالجيد النفيس من أموالهم ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ بضم بعضها إلى بعض ﴿إِنَّهُۥ﴾ جمعها إلى أموالكم ﴿كَانَ حُوبًا﴾ إثماً وذنباً ﴿كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ عظيماً.

- ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ إن خفتم ألّا تعدلوا في يتامى النساء اللاتي في حجوركم، وتحت ولايتكم، وألّا تقوموا بحقِّهن لعدم محبتكم لهنّ ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ من غيرهن ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ أردتم ثنتين أو ثلاث أو أربع فلا حرج ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ بين النساء إذا زدن على ثنتين ﴿فَوَٰحِدَةً﴾ فيكفي الزواج بواحدة ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ من السراري وإن كثر عددهنَّ، فلا حرج؛ لأنه لا يجب عليكم فيهن القسم ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ أقرب ﴿أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾﴾ ألا تظلموا.

• ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ ﴾ مهورهنّ ﴿ نِحْلَةً ﴾ عطيّة عن طيب نفس ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ ﴾ سمحن لكم ﴿ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ ﴾ من المهر ﴿ نَفْسًا ﴾ بنفس راضية ﴿ فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ ﴾ حلالاً طيباً.

• ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ ﴾ وهم كلُّ مَنْ لا يحسن التصرّفَ في المال ﴿ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا ﴾ تقوم بها مصالحكم ﴿ وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا ﴾ اجعلوا لهم منها ما يكفي حاجتهم ﴿ وَٱكْسُوهُمْ ﴾ أعطوهم ما يكفي كسوتهم ﴿ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ ﴾ كلاماً جميلاً، ومن ذلك وعداً لطيفاً بدفع أموالهم إليهم عند البلوغ.

• ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ﴾ اختبروهم إذا قاربوا سنَّ البلوغ بإعطائهم جزءاً من أموالهم يتصرفون فيها ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ ﴾ البلوغ ﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم ﴾ علمتم ﴿ مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾ حُسْنَ تصرُّفٍ في الأموال ﴿ فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ أعطوهم حقهم ﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَآ ﴾ أموالهم ﴿ إِسْرَافًا ﴾ تبذيراً ﴿ وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ﴾ ولا تأكلوا أموالهم تبادرون بذلك قبل كبرهم وبلوغهم ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾ عن أموال اليتامى ﴿ وَمَن كَانَ فَقِيرًا ﴾ محتاجاً إليها ﴿ فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ بقدر حاجته الضرورية ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ أعدتموها إليهم ﴿ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ﴾ على أنهم أخذوا أموالهم منكم ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾ محاسباً وشاهداً على أعمالكم.

١ ـ كلُّ الخلقِ مِنْ نفسٍ واحدةٍ، لا فرق بين عربيٍّ وعجميٍّ، وفقيرٍ وغنيٍّ، ورجلٍ وامرأةٍ، كلّهم على حدٍّ سواء ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ

مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ وكل ما يدار اليوم من تفريق إنما هو خلاف ما أراد الله تعالى.

٢ ـ خلق الله تعالى الخلق لحكمٍ عظيمةٍ، وغايات كبرى، يجب ألا تغيبَ عن هذا العالمِ الذي يموجَ بمادياته ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ الله هو الـذي خلقهم، ومكّنهـم، وأمَدَّهم، وصنـعَ لهم كلَّ الإمكاناتِ للتعاملِ مع هذا العالمِ وفقَ ما أرادَ جلَّ وعلا.

٣ ـ المرأة في الأصل كالرجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ فلا فرق بين الجنسـين في الأصل والفطرة، وإنّما الفرق في الاستعداد والوظيفة.

٤ ـ الأسرة قاعدة الحياة البشرية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ والعنايةُ بالأسـرةِ عنايةٌ ببدايةِ الطريـق، وأصلِ التكوين، وقاعدةِ النشأة، ومحورِ التكوين للأمة.

٥ ـ تعزيز مبدأ الرقابة الذاتية في قضايا الحقـوق، وما يتعلّق بالآخرين ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ حين أراد الله تعالى بيانَ حقوقِ الآخرينَ وضرورةِ رعايتها ذكّر بقضيةِ التقوى، وسؤال الله تعالى عنها، ورقابته لكل ما يجري، وينبغي أن يجري هذا المعنى في تربيةِ ولدكَ وزوجكَ، وكلّ من تجمعك بهم وشائج الحياة.

٦ ـ كم من معنيٍّ بهذه الوصية وهو لا يدري ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

٧ ـ كم من رحمٍ مهجورةٍ، وصلاتٍ مبتورةٍ، تحتاج إلى واعظِ الذكرى ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

٨ ـ ماذا لو استعرضت هذه الوصية الكبرى ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ وألقيت إليها بتلك البشرى من قول نبيك ﷺ «**مَنْ أَحبَّ أن يُبْسَطَ له في رزقِهِ، ويُنسأَ له في أثرِهِ فليصلْ رَحِمَه**»[1]!

٩ ـ هذه المرأة لها ذات الاحتياجات والمشاعر والرؤى والأحلام التي لك، فتذكّر ذلك في كلِّ حوارٍ أو نقاشٍ أو تعاملٍ يجري معها ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾.

١٠ ـ رعاية حقوق الضعفاء من الأرامل والنساء والأيتام ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ وفي سيرةِ نبيِّك ﷺ من ذلك شيءٌ كثير.

١١ ـ في أموال اليتامى قوارع تكاد تتصدّع منها الجبال؛ فإياك وحقوقهم ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾.

١٢ ـ كم من مؤتمنٍ على أموالِ اليتامى يحتاجُ إلى واعِظٍ كلَّ صباحٍ ومساء ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾.

١٣ ـ بماذا سيعتذر المؤتمنون على أموالِ اليتامى يومَ القيامةِ بين يدي الله تعالى؟! ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾.

---

(١) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه.

١٤ ـ رعايةُ الشريعةِ لحاجاتِ الإنسانِ، فقد أباحتْ للزوجِ تعدُّدَ الزوجات ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ ﴾ لأن بعض الرجال لا تقوم مصالحهم وتندفع شهواتهم إلَّا بهذا المعنى!

١٥ ـ عنايةُ الشريعةِ بتحصيلِ المصالحِ؛ ففي التعدُّدِ من المصالحِ كإغناء المرأةِ بزوجٍ يقوم على مصالحها، ويرعى شؤونها ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ ﴾.

١٦ ـ المفاسدُ الصغرى تُتحَمَّلُ أمام مصالحِ الشريعةِ الكبرى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ ﴾ رغم ما تلقاه الزوجة الأولى مِنْ أثرِ التعدُّدِ على نفسها وواقعها، إلَّا أنَّ الشريعةَ لم تعتبر هذه المفسدة لوجودِ مصالح أكبر منها وأعلى.

١٧ ـ كم من مفرّطٍ في هذه الوصية، وواقع في مستنقع الظلم! ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾.

١٨ ـ كان سالماً من الظلم، معافًى من تبعاته، بعيداً عنه حتى ألقى بنفسه في قضية التعدد، فتحمّل أوزار الدارين ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾.

١٩ ـ الإسلامُ يرعى حقَّ المرأة، ويجلُّ شأنه، ولا يحلُّ شيئاً منه إلَّا بإذن ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ ﴾.

٢٠ ـ هذه الوصية ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ

﴿هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤﴾ في المال الذي تأخذه مهراً، فكيف بالمال الذي تقضي عمرها في تحصيله، ويعتدي عليه وليُّ أمرِهَا دون إذنها!

٢١ ـ كم من معلِّمةٍ تجتهد شهراً كاملاً، ولا تأخذ من راتبها إلَّا نزراً يسيراً! ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤﴾ تسلّط عليه ولي أمرها، فلم يُبقِ لها منه شيئاً.

٢٢ ـ أول ما عملت أغرقها بالديون، وعاشَتْ ما بقي من عمرها تعمل ليس لها من حقِّها شيء ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤﴾.

٢٣ ـ تزوَّجها، ثم ذهب بها إلى البنك، فسدَّد دينه من مالها، وركبَ سيارةً من عرقِهَا، ثم ما لبثَ أن طلَّقها ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤﴾.

٢٤ ـ ما أكثر ما تماكس على هذا المال! ما أبقاه لها والدها تسلَّط عليه زوجٌ لا يتّقي الله تعالى ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤﴾.

٢٥ ـ هل بلغك أنّ أزواجاً يماكسون زوجاتهم إما أن يركبوا سياراتٍ فارهةً مِنْ أموالهنّ أو يطلقهونهن! ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤﴾.

٢٦ ـ الشريعةُ تضعُ منهجاً متكاملاً لكلِّ ما يجري بين الخلقِ في صور دقيقةٍ مرتَّبة ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦﴾.

٢٧ ـ من دلائل تقواك أن تبادر بدفع أموال اليتامى إليهـم، وتُخلِّص ذمَّتك مِنْ تبعاتِ تلـك الأمانـات ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾.

٢٨ ـ إذا سهل عليكَ أن تَمُدَّ يدكَ لأموالِ هؤلاء، فتذكّر ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾.

٢٩ ـ من كمالِ دينكَ وفقهكَ أَنْ تُعِفَّ نفسَك عن أموالِ هؤلاءِ المساكينِ، وتترفّعَ عَنِ الأخذِ منها ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾.

٣٠ ـ إذا تخلّصت من هذه الأمانة، فأشـهد على ذلك ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾.

٣١ ـ تذكّر وأنت تعيد أموال هؤلاء الأيتام إليهم أنّ ربك يرصد كل شيء ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ فلا يذهب من تلك الأموال شيءٌ إلّا وتُسأل عنه بين يدي الله تعالى يوم القيامة.

٣٢ ـ من كمالِ هذهِ الشريعةِ أنّها تحرصُ عليك من الضياع، وتحفظك من الشتات ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾.

❀ ❀ ❀

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا
مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ
وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا
خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى
بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ
أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ
ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا
ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن
كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ
فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى
بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ
نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

التفسير

• ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ قدرٌ محدّدٌ ﴿مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ﴾ آباؤهم وأمهاتهم ﴿وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ ومما ترك أقرباؤهم ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ﴾ قدرٌ محدّدٌ ﴿مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ﴾ آباؤهنَّ وأمهاتهنَّ ﴿وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ ومما ترك أقرباؤهن ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ سواء كان الميراث قليلاً ﴿أَوْ كَثُرَ﴾ أو كان الميراث كثيراً ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾ حقّاً ثابتاً.

• ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ من غير الوارثين ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ﴾ المستحقون من الفقراء والمساكين ﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ أعطوهم من التركة ما تطيب به أنفس الورثة ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾ كلاماً جميلاً.

• ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ﴾ هذا خطابٌ لمن يحضر مَنْ حضره الموت وجار في وصيّته ـ أن يأمره بالعدلِ في الوصية ﴿فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ هؤلاء الحاضرون ﴿وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ حقاً موافقاً للصواب.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ بغير حق ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ تتأجّج وتلتهب ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾ يوم القيامة ﴿سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ ناراً شديدة الحرارة.

• ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ في أولاد من مات منكم في بيان ميراثهم ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ للذكر من الميراث ما يعادل ميراث اثنتين من النساء ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ أكثر من اثنتين، وليس معهن ذكر ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ الثلثان من الميراث ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً﴾ امرأة

واحدة، وليس معها ذكر ﴿فَلَهَا ٱلنِّصۡفُ﴾ من الميراث ﴿وَلِأَبَوَيۡهِ﴾ للأب والأم ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ ولدٌ صلبٌ أو ولد ابن ذكراً كان أو أنثى، واحداً أو متعدداً ﴿فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ﴾ والباقي للأب ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ﴾ سواء أكان الأخوة ذكوراً أو إناثاً أو مختلفين، وسواء كانوا اثنين أو أكثر، أمّا الواحد فلا يحجب الأم من الثلث إلى السدس ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ﴾ وهذه الفرائض لا تأتي إلَّا بعد تنفيذِ وصيّتِهِ التي أوصى بها ﴿أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ وتسديد ما عليه من الديون ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ﴾ لا تعلمون أيهما أكثر لكم فائدةً وبراً، ولذلك تولّى الله تعالى قسمة هذه الفريضة ﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ هذه القسمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يصلح العباد ﴿حَكِيمٗا ١١﴾ في تدبير خلقه وأمره.

١ ـ عدلُ الشريعة؛ وأنّها أعطت كلَّ إنسانٍ حقَّه رجلاً كان أو امرأة ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ٧﴾.

٢ ـ رعايةُ الشريعةِ للنفوسِ، وحرصُها على إثراءِ مشاعرِ الآخرينَ مِنْ خلال إعطائها ما يسلِّي خواطرها في ذلك الحين ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٨﴾.

٣ ـ قيامك بحقوق الله تعالى وحقوق الآخرين مؤذنٌ بحفظِ حقوقك ورعايتها، ولو بعد حين ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ٩﴾.

٤ ـ حِفْظُكَ لِمَا ولَّاكَ الله تعالى عليهِ هو الطريقُ الأمثلُ لحفظِ ميراثِكَ بعد رحيلك ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾.

٥ ـ الكلمةُ الصالحةُ مؤذنةٌ بصناعةِ ربيعِ الأيامِ في واقعك ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾.

٦ ـ سوء ما ينتظرُ أكلةَ أموالِ اليتامى يوم القيامة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾.

٧ ـ من كمالِ عقلكَ وفهمِكَ ألَّا تدَعَ طريقاً يُفضي إلى نزاعٍ مِنْ بعدِكَ إلَّا وأقفلت مساربه ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ فقد تولّى الله تعالى قسمةَ المالِ لأنَّه أكثر مواردِ النزاع.

٨ ـ عِظَمُ أمرِ الوصيّةِ والدَّينِ في حياةِ الإنسان ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ فهي أولى وأهمُّ ما يوزّع مِنْ مالِ التركة.

٩ ـ إدارة الأولويات ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ﴾ لا تقسَّم الأموالُ بين الورثة إلَّا بعد تنفيذ الوصايا، وسداد الديون.

١٠ ـ من كمالِ عقلِكَ أن توصي بشيء من مالِكَ يمدُّ في أثرك، ويوسّعُ في ساحات عملك بعد الحياة ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ﴾.

١ ـ رتِّب وضعك، وأَدِرْ مالك، واعتنِ بأولوياتِـــكَ، وأَبْقِ لكَ ذكرى صالحةً في الدارين؛ وإيّاكَ والاتكالَ على مَنْ بعدكَ مهمـــا بلغَ صلاحُه وفلاحه ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾.

١٢ ـ كثيرون ممَّن رحلوا وتركوا إرثاً لم يتفضّل عليهم أحد من الوارثين بشـــيءٍ ممّا يمدُّ في أثرهم ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾.

١٣ ـ كم من نزاعٍ وخصامٍ وشـــقاقٍ وفرقةٍ واختلافٍ خلّفتهـــا الأموالُ بعدَ رحيلِ أصحابها! ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾.

١٤ ـ قال أحد القضاة ذاتَ مرّةٍ: توفي صديق لـــي؛ وتركَ إرثاً كبيراً، وأبقى عدداً كبيراً من الأولاد؛ وكانَ إرثُ كلِّ واحدٍ منهم يزيد على أربعة ملايين، فجمعتُهم، وطلبت مِنْ كلِّ واحدٍ مليوناً لنبني له وقفاً بعد موته، فاعتذروا جميعاً ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾.

١٥ ـ هذا التقسيمُ فريضةٌ واجبةٌ لا يجوزُ تجاوزها بحالٍ مِنَ الأحوال ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾.

١٦ ـ لا تُقلِّبْ نظركَ في وصيةِ الله تعالى معترضاً أو مقترحاً أو متســـائلاً، فالذي تولّى قِسْمَتَها هو العليم الحكيم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

❀ ❀ ❀

۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن
لَّهُنَّ وَلَدٌۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا
تَرَكْنَۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۚ
وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌۚ
فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمۚ
مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۗ وَإِن كَانَ
رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ
وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ
فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ
دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾
تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾
وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ
نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

التفسير

• ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ للزوجِ نصفُ ما تركت زوجته ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ إذا لم يكن للزوجة ابن أو بنت، أو أولاد ابن ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ﴾ الربع في حال وجود الولد ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ وهذا كله بعد تنفيذ الوصية، وسداد الدين ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾ للزوجة الربع من مال زوجها في حال وفاته ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ﴾ إن لم يكن للزوج ولد ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم﴾ فللزوجة الثمن ﴿مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ وهذا كلّه بعد تنفيذ الوصية، وسداد الدين ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ لا والد له ولا ولد ﴿أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾ تورث كلالة ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ من أم ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ ذكراً كان أو أنثى إذا انفرد ﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ أكثر من واحد ذكوراً أو إناثاً أو مختلطين ﴿فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ بالتساوي بين ذكرهم وإناثهم ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ من بعد تنفيذ الوصية وسداد الدين ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ بالدين أو الوصية لورثته بوجه من وجوه الضرر، كأن يقرَّ بدين ليس عليه؛ أو يوصي بوصية لا مقصد له فيها إلَّا الإضرار ﴿وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي هذا الذي ذُكر وصية الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يصلح أحوال العباد ﴿حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ لا يعاجل عباده بالعقوبة.

• ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ الأحكام المتقدمة حدود الله تعالى وأحكامه ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في كل ما يأمرانكم به وينهيانكم عنه

﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ هذا هو الفوز الكبير.

- ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾ يتجاوزها ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ مخزٍ ومذلٌّ.

التَّدَبُّر

١ ـ أيُّ تصرّفٍ في المالِ بغير هذه القسمة للورثة خيانةٌ لا تجوز بحال ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

٢ ـ ما جرى في كتابِ الله تعالى مِنْ قسمةِ المواريثِ من حدودِ الله تعالى، لا يجوزُ بحالٍ التعدّي عليها، أو التجاوز فيها ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ
عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي
ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا
﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا
وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا
﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ
قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ
أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ
لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ
مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن
تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾

التفسير

• ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ يرتكبن فاحشة الزنى من نسائكم ﴿فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡ﴾ من الرجال ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ عليهن بالزنى ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ﴾ احبسوهنّ عن الخروج من بيوتهن ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ﴾ يحبسن حتى الموت، وهذا كان في أول الإسلام، حيث كانت المرأةُ إذا زنتْ حُبِسَتْ في البيوت، ثم نسخ ﴿أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾ طريقاً بأن ينزل في شأنهنّ حكماً آخر، وقد جعل الله تعالى لهنّ سبيلاً بنزولِ آيةِ سورةِ النّور بجلد البكر، وجاءت السُّنَّة برجم المحصن.

• ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ﴾ واللذان يرتكبان فاحشةَ الزنى مِنَ الرجال ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ بالضربِ والتوبيخ، فتُحْبَس المرأة، ويُؤْذَى الرجل ﴿فَإِن تَابَا﴾ من الفاحشة ﴿وَأَصۡلَحَا﴾ عملهما بعد ذلك ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآ﴾ اتركوهما، وكفوا عنهما الأذى، وهذا كلُّه كانَ قبلَ نزولِ الحدود ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا﴾ على المذنبين ﴿رَّحِيمًا ١٦﴾ بالمؤمنين.

• ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ إنما يقبَل الله تعالى التوبة ﴿لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾ منهما بعاقبتهما، وكلُّ مَنْ عصى الله تعالى خطأً أو عمداً، فهو جاهل، ولو كان يدرِكُ عظمةَ الله تعالى لما تعدَّى على حرماته ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ قبل معاينة الموت ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ يغفر لهم ما سلف من ذنوبهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بأحوال الخلق ﴿حَكِيمٗا ١٧﴾ في تقديره وتشريعه.

• ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ﴾ ولا يقبل الله تعالى توبة ﴿لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ فعاينه ﴿قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ من ذنوبي

﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ﴾ مستمرين على الكفر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ۝١٨﴾ موجعاً قاسياً.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾ لا يحلُّ لكم أن ترثوا نساء أقاربكم كما يُورَثُ المالُ، وتتصرَّفوا فيهنّ بالزواج بهنّ أو تزويجهنّ ممن تشاؤون ﴿كَرۡهٗاۖ﴾ بغير رضاهن ﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ تمسكوهنّ قاصدين الإضرار ﴿لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ تسترجعوا منهنّ بعض مهورهن، وهذا ما كان يحدث في الجاهلية، إذا مات أحدُهُم عن زوجته كان قريبه أحقَّ بها من غيره، فإنْ أحبَّها تزوَّجها على ما يشاء من المهر، وإن كرهَهَا عضلَها، ومنع زواجها ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ فإن جاءت بفاحشة كالزنى ونحوه، فلا حرج في عضلها حتى تفتدي منه ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ﴾ أي الزوجات ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ وهو ما تعارف عليه الناس من قولٍ أو فعلٍ جميلٍ ﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ﴾ لسبب من الأسباب غير الفاحشة ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا﴾ ذلك ﴿وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ في الاستمرار ﴿خَيۡرٗا كَثِيرٗا ۝١٩﴾ في بركته وأجره وعاقبته.

التدبر

١ ـ الزنى من أعظمِ الجرائمِ، وأشدِّ الفواحشِ التي حاربها الإسلام، وأجرى عليها عقوباتٍ مانعةً مِنَ الوقوعِ فيها ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ۝١٥ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ۝١٦﴾ وكان هذا في أوّل الإسلام، ثم نُسخ بمثله وأعظم منه.

٢ ـ سعةُ رحمةِ الله تعالى وتوبتُهُ على عبادِهِ وعفوهُ وصفحُه عنهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

٣ ـ كلُّ من عصى الله تعالـى، فهو جاهل ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ لَوْ عَرَفَ الإنسانُ قدرَ ربِّه لما قارفَ منكراً، أو تخلَّفَ عَنْ واجب!

٤ ـ للتوبـةِ زمـنٌ مقرَّرٌ تفـوتُ بفواتـه ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾.

٥ ـ إذا ولَّاكَ الله تعالى أمرَ ضعيفٍ، فترفَّقْ به تجـري عليكَ مواردُ التوفيقِ في الدارين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ وهذا التأكيدُ على حقوقِ المـرأةِ رعايةٌ لضعفها إلَّا ما اقتضته جبلته البشرية.

٦ ـ ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ قاعدةٌ عامةٌ وجوابٌ لكلِّ سؤالٍ يمكن أن يطرأ في رحاب هذه العلاقة.

٧ ـ حين تتعاملُ مع زوجك أو ولدك أو مَنْ تربِّيه سلّط نظرَكَ للجوانبِ الإيجابيةِ، والأشياءِ المتميِّزةِ، والأحداثِ الرائعةِ ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

❀ ❀ ❀

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ
بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ
بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا
غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ
ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا
وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ
وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ
ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ
وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ
ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ
مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا
مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

التفسير

• ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ وإذا أردتم تطليق زوجة وتزوّج أخرى ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ مالاً كثيراً مهراً لها ﴿فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ من المهر الذي بذلتموه لها ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا﴾ باطلاً وظلماً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾ واضحاً بيّناً.

• ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾ أي المهر ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ استمتع بجماعها واطّلع على أسرارها ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ وهو عقد النكاح.

• ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ لا تتزوّجوا زوجات آبائكم وإن عَلَوا ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ قد مضى وفات في الجاهلية ﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ زواجُ زوجةِ الأب ﴿فَٰحِشَةً﴾ أمراً قبيحاً ﴿وَمَقْتًا﴾ وعملاً مبغوضاً عند الله تعالى ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ بئس الطريق.

• ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾ لا يحلّ لكم زواج ﴿أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ كل أم، وإن علت ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ بنات الصلب، وبنات الأولاد وإن سفلن ﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ سواء من أبوين أو من أحدهما ﴿وَعَمَّٰتُكُمْ﴾ أخت الأب أو الجد ﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾ أخت الأم أو الجدة ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ﴾ بنات أخيك ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ بنات أختك ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ الأم من الرضاعة ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ سواء رضعت معك أو رضعت معها ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ أم زوجتك وجداتها ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾ بنات أزواجكم اللاتي ربيتموهنّ، وهذا القيد ﴿فِى حُجُورِكُم﴾ خرجَ

مخرجَ الغالبِ لا مفهومَ له، فإنَّ الربيبةَ حرامٌ ولو لَمْ تَكُنْ في حجره ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ جامعتموهن ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ جامعتموهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في نكاح الربائب ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ زوجات أبنائكم الذين من أصلابكم ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ ويحرم كذلك الجمع بين الأختين ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ مضى قبل نزول هذا التحريم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ بالمؤمنين.

١ ـ عنايةُ الإسلام برعايةِ مشاعرِ الزوجة، وألَّا يؤخَذ شيءٌ من مالها رعايةً لتلك الأيامِ والأحداثِ التي دارت بينهما ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾.

٢ ـ أناقةُ هذا الدين، ورعايتُهُ لنفوسِ الآخرينَ، واهتمامُهُ بما يلملم آلامَهُم وجراحاتِهم، ويسليهم عن فقدِ تلكَ الأيام ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾.

٣ ـ من الجرائمِ الكبرى وسافلِ الأخلاقِ وعبثِ المروءاتِ أَنْ يجترئَ إنسانٌ على زوج أبيه ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾.

٤ ـ إدارةُ الشريعةِ لحاجاتِ الإنسانِ ومتطلباتِهِ، والعلاقةِ فيما بينه وبين الآخرينَ في غايةِ الجمالِ والتنظيمِ والترتيب ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ

وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ
أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي
فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن
تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟
بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ
مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ
ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن
فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ
بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ
أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا
عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ
ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

التفسير

• ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ ويحرم نكاحُ كلِّ ذاتِ زوجٍ حتى تُطلّق وتنقضي عدتها ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ وهي كلُّ كافرةٍ سُبيتْ من الحرب، فإنها تحلُّ للمسلمين، ولو كانتْ ذاتَ زوجٍ بعد أن تُستَبْرأ ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ لازمٌ لا يحلُّ لكم تغييره ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾ مما سوى هذه المحرمات ﴿أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم﴾ تطلبوا بمهوركم مَنْ تريدون ﴿مُّحۡصِنِينَ﴾ طالبين إحصانَ أنفسكم وإعفافها بالحلال ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ غيرَ قاصدين الزنى ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ﴾ فمَنْ تزوّجتموهن ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهنّ ﴿فَرِيضَةً﴾ فرضاً واجباً ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِ﴾ من زيادة أو نقصان في المهر بعد العقد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يصلح عباده ﴿حَكِيمًا ٢٤﴾ في تدبير خلقه وأمره.

• ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا﴾ القدرة ﴿أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ الحرائر من النساء ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ فلا حرج أن يتزوج أمةً مسلمةً مملوكةً لغيره، أما لو كان يقدرُ على زواجِ الحرَّة، فزواجُ الأمةِ لا ينبغي ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾ فلا تستنكفوا عن الزواج بالإماء عند الضرورة إلى ذلك ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٍ﴾ بعضكم لبعض لا فرق ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ﴾ أي المملوكات ﴿بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ﴾ سيدهنّ ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهنّ ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ بما هو معروفٌ في عرفِ الشارعِ وعرفِ الخلق ﴿مُحۡصَنَٰتٍ﴾ وهذا إذا كُنَّ عفيفات ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ غير معلنات بالزنى ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٍ﴾ أخلّاء في السر

﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾ إذا تزوَّجت الإمـاء ﴿فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ﴾ بعد زواجهنّ ﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ من الحد ﴿ذَٰلِكَ﴾ إباحة الزواج بالمملوكة ﴿لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡ﴾ رخصةً لمن تعرَّضَ للضررِ والمشـقَّةِ بتركِ الزواج ﴿وَأَن تَصۡبِرُواْ﴾ عن نكاح الإماء ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ من نكاحهن، لأنّ زواجهنّ يفضي إلـى إرقاق الولد ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمٞ ٢٥﴾ بالمؤمنين.

• ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾ جميـعَ ما تحتاجـون إلى بيانه ﴿وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ﴾ طرق وهدي ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ مِنَ النبيِّين، ومن بعدهم من الصالحين ﴿وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ ما سلف من ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال الخلق ﴿حَكِيمٞ ٢٦﴾ في تدبير خلقِهِ وأمرِه.

التدبر

١ ـ نقاء الإسلام، وحبُّه للطهر، وحرصُه على عدمِ اختلاطِ الأنساب، وصرامته في تنقيةِ المجتمـع من عوامـل الفوضـى ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٢٤﴾.

٢ ـ يُسْـرُ الإسلامِ، وسـماحته ومراعاتُه لمشاعرِ الإنسـانِ، وعدم التضييق عليه ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ

وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْۚ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ حيثُ أباحَ للعاجزِ عن نكاحِ المحصنةِ المؤمنةِ نكاحَ الإماءِ المؤمنات.

٣ ـ رحمةُ الله تعالى بعباده ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾.

٤ ـ منهجُ الله تعالى ثابتُ الأصولِ والمبادئ، مُتَّحدُ الغاياتِ والأهدافِ ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ ليس لهذه الأمّةِ فحسب، وإنما لأمة الإسلامِ من نشأةِ التاريخِ إلى قيامِ السَّاعة.

٥ ـ إحياءُ الرباطِ الوجدانيِّ والشعوريّ والنفسيِّ بين أجيالِ الأمّةِ على مدارِ التاريخ ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾.

٦ ـ يسر دينِ الله تعالى، وأنَّه يفتحُ للإنسانِ آفاقاً من الأملِ، وباباً واسعاً من الحياة ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْۗ ﴾.

٧ ـ جمالُ هذا الدينِ وأناقته، فهو يعينُ المجتمعَ على الطهر، والتخلّصِ من أوضار الجاهلية ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْۗ ﴾.

❀ ❀ ❀

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ
عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن
تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا
وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ
عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا
تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ
وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ
عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ
وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ
نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

التفسير

- ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾ بأوامره ونواهيه ﴿أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ يتجاوز عن سيئاتكم ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ يميلون معها، وينتظرونها ﴿أَن تَمِيلُواْ﴾ عن الحق ﴿مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ كبيراً.

- ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ بما يأمركم به، وينهاكم عنه ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ عاجزاً غير قادر على ملك نفسه، ومقاومة شهوته.

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بغير حقٍّ كالسرقة والغصب ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ فيأخذُ كلُّ واحدٍ منكم ما يريدُ، فلا حرج ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ ومن رحمته بكم أنّه عصمَ دماءكم وأموالكم أنْ تستباحَ إلّا بحق.

- ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ فيقتلُ الأنفسَ، ويأكلُ الأموال ﴿عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾ اعتداءً بغير حق ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ ندخله ناراً ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ بسيطاً.

- ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ من الكبائر ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ من الصغائر ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ حسناً مرضياً في الجنة.

- ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ فذلك فضلُ الله تعالى يهبُه لمَنْ يشاءُ، سواء ذلك فيما بينَ الرجالِ بعضهم مع بعض، أو فيما بين الرجال والنساء ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ﴾ من

أعمالهم ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ وللنساءِ نصيبٌ من أعمالهن، وكلٌّ منهم لا ينال إلّا ثواب عمله، وما اكتسبه ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ فعطاؤه واسع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ لا يغيب عنه من ذلك شيء.

- ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ عصبة ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ يرثون ما ترك الوالدان والأقربون ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ تحالفتم فيما بينكم على عونهم ونصرتهم ﴿فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ من الميراث، وهذا التوارثُ بالحِلْفِ كانَ في صدرِ الإسلامِ ثمَّ نُسخ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾ مطلعاً على كلِّ شيء.

١ ـ أناقةُ الشريعةِ وجمالُها، وأنَّ تشريعاتِها تهذيبٌ وطهرٌ وعفافٌ، وعنايةٌ ببناءِ هذا الإنسانِ وتأهيله للحياة ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾.

٢ ـ رحمة الله تعالى بعباده ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾.

٣ ـ كلُّ منهجٍ أو فكرةٍ أو رأيٍ أو مشروعٍ خلاف ما جاءت به هذه الشريعةُ هو تحويلٌ لمسارِ هذِهِ الإنسانيةِ إلى مساربِ الضلالِ، ومهاوي الردى ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾.

٤ ـ ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ يريدون لكم الضلالَ بصورِهِ وأشكاله.

٥ ـ اللهاثُ وراءَ الحضارةِ الغربيةِ دخولٌ من هذا الباب بإمعان ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾.

٦ ـ الميلُ عن الحقِّ مهما كان قدره، فهو ضلالٌ وانحرافٌ بمستوى الإنسان ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾.

٧ ـ كلّ أحكام الشريعة في مقدور الإنسان، راعت ضعفه، وبنت أحكامها على قدرته دونَ زيادةٍ أو نقصان ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ وكلُّ من تصوَّر أن في الشريعة أعباء وتكاليف يعجز عنها الإنسانُ السويُّ فهو جاهلٌ بها.

٨ ـ حفظ حقوق الآخرين والعناية بها، وعدم التعدّي عليها بأيِّ وجهٍ كان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ الحياة أكبر من الصراع على ما في أيدي الناس.

٩ ـ أحلامنا الكبرى تأتي من خلال الخطوة الأولى ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾.

١٠ ـ النتائج الكبرى موكولة بالأسباب ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾.

١١ ـ لا تتحوّل حياتك إلى ربيع غالباً إلّا بعد أن تجتهد لتأهيلها ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ اجتنابُ الصغائرِ جزءٌ من محاولات التأهيل.

١٢ ـ من أعظم مظاهر استمتاعك رضاك بما قسم الله تعالى لك ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا

فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٣٢﴾﴾ كثيرون مكدودون ممَّا يرون.

١٣ ـ أكثر الأشقياء والمجهدين والمتعبين، وحتى الذين أثخنتهم الديون فتحوا باباً لهذه الأماني، فشُقُوا بآثارها في الحياة ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٣٢﴾﴾.

١٤ ـ من كمال دينك وزينة عقلك ألَّا تفتح قلبك لكل ما تراه من حولك ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٣٢﴾﴾ يبني بيتاً جميلاً، ويشقى ببيوت الآخرين، ويشتري سيارة فارهة، وتظل عينه تطاول ذلك البعيد، ويأخذ وسيلة من وسائل التواصل، وكلّما رأى جديداً في يد غيره سارقه النظر، وفتح شعاب قلبه إليه، والوصيةُ الكبرى ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٣٢﴾﴾.

١٥ ـ إذا تاقت نفسُك لشيء ضروريٍّ، فَسَلِ الله تعالى أن يبلّغك أمانيك فيه ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾.

١٦ ـ تأجيل الرغبات من أعظم الوصايا في تحقيق توازنك المالي ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ

وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾.

١٧ ـ تحاربُ الشريعة كلَّ مظاهرِ الأنانية في حياة الناس، فتنهى عن التعدِّي على أموالِ الآخرين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ وتمنِّي ما للآخرين ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾.

❀ ❀ ❀

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ
بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ
حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ
فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ
أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا
كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا
مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ
بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا
تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ
وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ
ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا
مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا
فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ
بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ
وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾

التفسير

- ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ لهم شرفُ القوامةِ على زوجاتهم، يأمرونهنَّ وينهونهنَّ، ويقومونَ على رعياتهنَّ وشؤونهن ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بسبب تفضيلِ الرجالِ على النساء ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ وبسببِ نفقتهم عليهنَّ من أموالهم ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ من النساء ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾ مطيعات لله تعالى ولأزواجهن ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ حافظة لحقِّ زوجها حال غيبته ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ بحفظ الله تعالى لهن ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ خروجهنّ عن طاعة الأزواج، واستعلاؤهنَّ عليهم ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ بيِّنوا لهنَّ حكم الله تعالى في طاعةِ الزوجةِ لزوجها، فإنْ أطاعت وإلّا ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾ فلا يضاجعها زوجها، فإن أطاعت وإلّا ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ ضرباً غير مبرح ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ استجبن لكم بعد ذلك ﴿فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ فلا تكرهوهنَّ بقولٍ أو فعل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ في ذاته وصفاته.

- ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ خلافاً بين الزوجين ﴿فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ ممن يصلحُ للحكم عقلاً وديناً ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا﴾ الزوجان ﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ في ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ عالماً بجميع الأشياء ظاهراً وباطناً.

- ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ وحِّدوه، وقوموا بحقِّه، ولا تجعلوا معه شريكاً في عبادته ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ وأحسنوا إلى والديكم بالقول والفعل ﴿وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وأحسنوا إلى كلِّ قريب ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ وأحسنوا

لليتامى وهم: كل من مات والده ولم يبلغ الحلم ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ وأحسنوا للمساكين، وهم كلّ من لم يجد كفايته ﴿وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ كلُّ جارٍ له حقُّ الجوارِ وحقُّ القرابة ﴿وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾ الذي يجمعك به حق الجوار ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾ وهو كل صاحب مرافق لك ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الغريب المسافر ﴿وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ﴾ من الآدميين والبهائم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا﴾ معجباً بنفسه متكبِّراً على الخلق ﴿فَخُورًا ٣٦﴾ مثنياً على نفسه على وجه البطر والعجب.

• ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ عن أداء الحقوق ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ بأقوالهم وأفعالهم ﴿وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ فلا يظهرونه بخلاً به ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧﴾ مخزٍ ومذل.

التدبر

١ ـ كمال حكمة الله تعالى وعلمه ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ ومَنْ تأمَّل هذا المعنى بوضوح رأى ذلك متحقّقاً في تلك القوامة التي جعلها الله تعالى للرجال.

٢ ـ كمال الشريعة، وحفظها لنظامِ الأسرِ والبيوتِ، وسَنُّها لأنظمةٍ كفيلةٍ بتحقيق الحياة الكريمة للإنسان ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا

حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ
فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾.

٣ - إذا رزق الله تعالى المرأةَ حفظاً لحقوق الله تعالى، وقياماً بواجباتِ زوجها فقد رُزقت كلَّ شيء ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾.

٤ - إدارة الأولويات ضرورةٌ في تحقيق نجاحاتنا في الحياة ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ الوعظ أول العلاج، ثم الهجر، فإن كان لا بدَّ، فالضرب آخر الحلول.

٥ - كل من اتخذ مكاناً ليس له استحق التأديب ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ استعلاءُ المرأةِ على زوجها عدوان على مكانةِ الرجلِ، فاستحقَّتْ هذا التأديب.

٦ - الضرب وسيلةٌ من وسائلِ العلاجِ بشرطِ أَنْ يأتي في حينه ومكانه المناسب، وبالطريقة المقرَّرة في الشريعة ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾.

٧ - البيوت والأسر بحاجةٍ إلى نظامٍ يضبطها ويحكمها ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾.

٨ - يجب أن تُقرأَ نصوص الشريعة بصورة مكتملة، ولا تُجتزأ بعضُ نصوصها، فتقرأ بصورةٍ مشوّهةٍ ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ فمن يقرأُ هذا النصَّ الذي فيه مشروعيةُ تأديبِ المرأةِ بمعزلٍ عن النصوص الأخرى التي عُنِيَتْ بتكريمها يُجْري الشريعةَ في صورةٍ غير لائقة.

٩ ـ المجتمع الصالح يحرص على اجتماع الكلمة، وتأليف القلوب، ولَمِّ شتات الأسر بما يمكنه ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾.

١٠ ـ باب الإصلاح من فروض الكفايات التي تقع الأمة في الحرج بسبب ضياعها عنه ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾.

١١ ـ أثر النيَّةِ في صلاح شؤون الإنسان وفسادها ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾.

١٢ ـ التوحيدُ أعظمُ المقاصدِ، وأهمُّها على الإطلاق ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

١٣ ـ الإحسان إلى الوالدين والأقربين والجيران، وذوي الحاجات مِنْ أعظمِ القُربِ إلى الله تعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾.

١٤ ـ التعالي على الضعفاء والفقراء والأيتام بأيِّ صورةٍ شكلٌ مِنْ الكبرياءِ المذمومةِ في واقع الناس ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾.

١٥ ـ ذمُّ البخلِ والتنفير منه ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧﴾ يكفي ما فيه من الأنانية.

١٦ ـ آفة البخل لا تقتصر على صاحبها، وإنما تمتدُّ إلى منع الآخرين من مدِّ أيديهم إلى غيرهم بالمعروف ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧﴾ فالبخيل لا يَهْنَأُ حتى يرى غيره يمارس الخلق نفسه.

١٧ ـ المال مال الله تعالى، والبخل به نكران لحقِّ الله وفضله ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧﴾.

❀ ❀ ❀

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟
مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى
سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ
أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً
فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْۗ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

التفسير

• ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ تطلُّباً لمدحهم وثنائهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ فلا يطمعون في ثواب الله تعالى ورجاء فضله ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا﴾ صاحباً وخليلاً ﴿فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ فما أسوأ صحبته وخلّته.

• ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ ما الذي يضرهم ﴿لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ فقاموا بحق الله تعالى كما أراد ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ من الأموال ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾ لا يخفى شيء منهم على الله تعالى.

• ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ لا ينقص من حسناتهم، ولا يزيد في سيئاتهم مثقال ذرة ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾ طاعة ﴿يُضَٰعِفْهَا﴾ عشر حسنات إلى أضعاف كثيرة ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ﴾ من عنده ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ كثيراً.

• ﴿فَكَيْفَ﴾ تكون أحوال الناس في ذلك اليوم ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ على هذه الأمة ﴿شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ تشهد عليهم بأعمالهم.

• ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ذلك اليوم ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله تعالى ﴿وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ فلم يطيعوه ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ تبتلعهم فيكونون تراباً ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ ولا يخفون على الله تعالى كلاماً.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ لا تصلّوا، وأنتم في حال سكركم، ولا تقربوا كذلك مواضع الصلاة كالمساجد، ونحوها ﴿حَتَّىٰ

تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ حتى تَصْحُوا، وتعرفوا ما تقولون في الصلاة، وهذه الآية كانت قبل تحريم الخمر تحريماً مطلقاً، منعوا منه قبيل الصلاة تهيئة لتحريمه بعد ذلك، فهي منسوخةٌ بتحريمِ الخمرِ مطلقاً ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ ولا تقربوا الصلاة، وأنتم جنباً من جماع أو إنزال ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ إلّا إذا كنتم مارين بالمسجد مروراً غير مستقرين فيه فلا حرج ﴿حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْ﴾ فيزول أثر الجنابة ﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ﴾ يخاف أحدكم على نفسه الضرر باستعمال الماء ﴿أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أو كنتم مسافرين ﴿أَوۡ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ﴾ بأن كان محدثاً ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ جامعتموهن ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءً﴾ لتتوضؤوا أو تغتسلوا به ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ اقصدوا ﴿صَعِيدًا﴾ وهو كل ما على وجه الأرض ﴿طَيِّبًا﴾ طاهراً ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡ﴾ من ذلك الصعيد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ عن الزلات ﴿غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ ساتراً للذنوب والخطيئات.

التدبر

١ ـ إذا انحرفت البوصلة عن اتجاهها ضاع من الإنسان كل شيء ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ حتى أموالهم التي يدفعونها ذهبتْ خسارةً، ليس لهم منها شيء، لانحرافها عن الطريقِ الذي يجب أنْ تذهبَ فيه.

٢ ـ فوات الفرص لا يُعوّض، وكم مِنْ فائتٍ أورث الحسرات ﴿وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾.

٣ ـ سترى بعينك كل جهدٍ وعملٍ وتاريخٍ جرى في أيام الدنيا؛ فلا تسترخص شيئاً في مثل هذه الأيّام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

٤ ـ حتى مثاقيل الــذر يأتي يوم القيامة في حســاب الموازيــن، فإيّاك وفوات الفرص! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

٥ ـ كمالُ رحمةِ الله تعالى على عباده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ يضاعف حسناتهم، ويكتب آثارهم، ويزيد في خيراتهم.

٦ ـ أركَبَ مسناً في عُرْضِ الطريق، وقدَّم خدمةً ليتيم، وأفاض على أرملةٍ شيئاً من الجميل، فوجد ثواب ذلك يومَ القيامة في ميزان الحسنات كأمثال الجبال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

٧ ـ لعلّه بلغك «**أن زانية سقت كلباً فغفر الله تعالى لها زناها، وأدخلها الجنة**»[١]، «**وأزاح إنسانٌ غصنَ شــوكٍ من الطريق فرآه النبي ﷺ يتقلّب في الجنة**»[٢]، وكان ثالثٌ «**يداينُ النَّاس ويقول لعامله: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز لعل الله تعالى أن يتجاوز عنّا، فلمّا مات قال الله تعالى: أدخلوه الجنة، نحن أحق بالتجاوز منه**»[٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

٨ ـ شدّة أهوال يوم القيامة ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ يتمنّى الكافر أن تسوّى به الأرض!

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٥٩٩٨) عن أبي هريرة ﷺ.
(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٣٤٠) ومسلم رقم (٨٥٧) عن أبي هريرة ﷺ.
(٣) أخرجه مسلم عن أبي مسعود البدري ﷺ، وأخرج نحوه البخاري عن أبي هريرة ﷺ.

٩ ـ الفرص تلوح، ولا تعود ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ كم كانت الفرصُ باسطةً تنتظر مستثمراً قبل الزوال، ثم فاتت، فباتَتْ حسراتٍ على أصحابها!

١٠ ـ كل نعيم لم يرتبط بسعادة تلك اللحظات، فلا مفروح به ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ ماذا بقيَ لهؤلاءِ مِنْ تلكَ اللحظاتِ التي ضحكوا فيها وسعدوا وسروا، ثمَّ آلوا إلى الضياع؟!

١١ ـ لا تغبطْ أحداً على دنيا يملكها، مُدَّ نظرك إلى واقعٍ يتخلّص فيه من سؤالاتِ ذلك اليومِ الكبير ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾.

١٢ ـ التدرُّجُ في عمليةِ التغيير سنَّةٌ كونيّة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ بدأت بالنهـــي عن الخمر قرب الصلاة في مرحلة تهيئة لخلع آثاره من نفوسهم بعد ذلك.

١٣ ـ أثر الإلف والعادة في تكوين الإنسان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ ومِنْ كمالِ وعيكَ وفقهِكَ في عمليةِ التغييرِ أن تهبَ مساحةً ممكنةً من الوقت، حتى تأتيَ على آمالك من خلال ذلك الواقع.

١٤ ـ إذا أردْتَ تغييرَ عادةٍ في واقعِكَ، أو التخلّي عن قضيّةٍ ألفتها من زمن، فسُنَّ لها نظاماً مرناً يطـــول زمانه، وتأتي منه علـــى النهايات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾.

١٥ ـ الأناةُ ضرورةٌ ملحَّةٌ في التغيير ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾.

١٦ ـ يسر الشريعة وكمالها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾ أوجدت بديلاً عند عدم الماء، وراعت ظروف الإنسان التي يمرُّ بها في تلك الحال.

❀ ❀ ❀

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ
وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن
مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا
لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ
وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ
نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ
بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ
بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ
عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾

التفسير

• ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ يا رسول الله ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ حظّاً من التوراة ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ ﴾ يستبدلون الضلال بالهدى ﴿وَيُرِيدُونَ ﴾ لكم ﴿أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾ تخطئوا طريق الحق.

• ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ﴾ أيّها المؤمنون ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا ﴾ يتولّى أموركم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ ينصركم على أعدائكم.

• ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ من اليهود قوم ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ يغيّرون الكلامَ إما لفظاً أو معنى ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا ﴾ قولك يا رسول الله ﴿وَعَصَيْنَا ﴾ أمرك ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾ اسمع منا غير ما تحب، بل تسمع ما تكره ﴿وَرَٰعِنَا ﴾ راعنا سمعك، أي افهم عنا وافهمنا ﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴾ يلوون ألسنتهم بذلك يريدون الدعاء عليه بالرعونة ﴿وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ﴾ قدحاً في الدين ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا ﴾ قولك ﴿وَأَطَعْنَا ﴾ أمرك ﴿وَٱسْمَعْ ﴾ ما نقول ﴿وَٱنظُرْنَا ﴾ انتظرنا ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ أفضل ﴿وَأَقْوَمَ ﴾ أعدل وأولى ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ طَرَدَهُم وأبعَدَهُم من رحمته ﴿بِكُفْرِهِمْ ﴾ بسبب كفرهم ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ إيماناً لا ينفعهم في النهاية.

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾ من التوراة والإنجيل ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا ﴾ قبل أن نطمس وجوهكم، فنمحو معالمها ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ ﴾ نجعلها باتجاه أدبارهم ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ ﴾ نطردهم من رحمة الله تعالى ﴿كَمَا لَعَنَّآ ﴾ كما طردنا من رحمتنا ﴿أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ﴾ الذين اعتدوا في السبت ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾ آتٍ لا محالة.

• ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ فمن أشرك بالله تعالى، فلا يُغفر له شركه ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ ما دون الشرك من كبائر الذنوب وصغائرها ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ فغفرانُ كبائرِ الذنوبِ وصغائرِها راجعٌ لمشيئة الله تعالى ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ أتى جرماً كبيراً.

• ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ﴾ بادعاء فضائل ليست لهم، كقول اليهود: نحن أبناء الله وأحباؤه ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ﴾ فالتزكية شأن الله تعالى، وهو أعلم بأهلها ﴿ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾ لا يظلمون شيئاً من أعمالهم، ولو كان يسيراً كمقدارِ الفتيلِ، وهو الخيط الذي في وسط النَّواة.

• ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ ﴾ في تزكيتهم أنفسهم ﴿ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ ﴾ كفى بافتراء التزكية دون علم ﴿ إِثۡمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ ﴾ ظاهراً بيّناً موجباً للعقوبة.

• ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ وهم اليهود ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ وهي كل ما يُعْبَدُ من دون الله تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أي اليهود ﴿ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ من قريش: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ ﴾ أدل ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ برسول الله ﷺ ﴿ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ طريقاً.

• ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ طرَدَهُم، وأبعدهم من رحمته ﴿ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ ﴾ فيطرده من رحمته ﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ ينصره من دون الله تعالى.

التَّدَبُّر

١ ـ ما كلّ من وفّق لطريق العلم فهو إلى خير ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾ ترى هؤلاء أعطاهم الله تعالى العلم، وكان طريقهم إلى الضلال.

٢ ـ إذا لم يكن للعلم أثرٌ في واقعك من العمل والتطبيق والقيام بحقّه، فلا مفروح به ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

٣ ـ كم من عالمٍ زيّن لطريقِ الضلالِ، ووقف حجر عثرةٍ في طريقِ الحقِّ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

٤ ـ لا عبرة بالمظاهر، وإنّما مَرَدُّ الأشياء إلى الحقائق ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾ هؤلاء في الظاهر علماء، وفي الواقع مضلين.

٥ ـ عدوّك يبذل كل ما يملك لغوايتك وإضلالك ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾ تخيّل ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ ﴾، و﴿ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾.

٦ ـ كلّما كمل إيمانك تولّى الله تعالى عنك مواجهة عدوك، وأعانك على بلوغ أمانيك منه ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾.

٧ ـ شعور المسلم بعدوّه مطلبٌ ضروريٌّ وملحٌّ في مواجهة فكرته، والإعداد للتصدّي له ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾.

٨ ـ لا يكفي مجرَّد يقينك بأن الله تعالى في مواجهة عدوك، بل يجب أن تبذل من الأسباب ما هو كفيل بتحقيق مرادك في النهاية ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾.

٩ ـ العقيدة ليست شعاراً نرفعه، وإنما قضية نؤمن بها، ونتفاعل مع أحداثها كل حين ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾ يجب أن تتحوّل إلى قضيّة تجري في واقعنا كل حين.

١٠ ـ الشعور المعنوي بهذه الكفاية كافٍ للعيش بفرح ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ إذا كان الله تعالى أعلم بأعدائنا، وهو ولينا ونصيرنا في ذلك، فماذا بقي من الحياة لم يبلغنا؟!

١١ ـ سوء أدب اليهود في التعامل مع رسل الله تعالى ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾.

١٢ ـ التحريف والتغيير والتبديل والتزوير والعبث بمقدرات الأمة الفكرية والمعرفية من أخلاق اليهود ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾.

١٣ ـ طاعةُ الله تعالى وطاعةُ رسوله ﷺ جالبةٌ للخيرات والبركات ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ ماذا لو أقبلَ الإنسانُ على ربِّه تعالى مفوِّضاً أمره إليه؟!

١٤ ـ ويمكرون ويمكر الله تعالى ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ هذه هي سنة الله تعالى في المعرضين.

١٥ ـ طريقُ المخالفةِ موجبٌ للخذلان ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ كفروا، فحلَّت عليهم لعنات الله تعالى.

١٦ ـ النتائج وقفٌ على الأسباب ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لم تأتِ خواتيم ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ إلَّا بعد ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ

عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ ﴾.

١٧ ـ المخالفةُ لدينِ الله تعالى، والإعراضُ عن الوحي: موجبٌ للخسارة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾.

١٨ ـ إذا لم تُستَثْمَرُ الفرصُ كانت مؤذنةً بالفوات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾.

١٩ ـ الشركُ أعظمُ ما عُصِيَ الله تعالى به في الأرض ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾.

٢٠ ـ يعظّمون الأولياء، ويطوفون بالقبور، ويهبون للمخلوقين ما لله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾.

٢١ ـ تزكية نفسك، ومدح عملك، والإطراء على جهودك: شهوةٌ لا حظَّ لها في الإسلام، ولا قيمةَ لها في النهاية ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾.

٢٢ ـ كم من عملٍ كثيرٍ لم يقبله الله تعالى! ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾ العبرة بما يقبله الله تعالى لا بما نكاثر به الآخرين.

٢٣ ـ لا تعجل في عدِّ مشاريعك، وكثرة أفكارك وأعمالك؛ فالحساب يجري على صدقها وإخلاصها يوم الحساب ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾ فغير المقبول لا عبرة به في شيء.

٢٤ ـ من فقهك وكمال عقلك أن يشغلك صدق عملك، وإخلاصك فيه، وخلوصه من شوائب الرياء، أكثر مما تشغلك صورة العمل ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾.

٢٥ ـ من صفاتِ عدوِّك العبثُ بالمفاهيمِ والخللُ في التصورات ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ هل تصورت ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾؟!

٢٦ ـ الوحيُ هو المصدرُ الوحيدُ الكفيلُ بصناعةِ التصوّراتِ الصحيحةِ وبناءِ المفاهيم الحقّة ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ أبطل تصورهم ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ بقوله تعالى ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾.

❀ ❀ ❀

أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ
يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ
ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾
فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا
﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ
جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ
لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ
ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ
ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا
بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي
ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ
تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾

التفسير

• ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ هل لليهود نصيب في ملك الله ﴿فَإِذًا﴾ لو كان لهم ذلك ﴿لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾ لا يُعطون النَّاسَ شيئاً حتى لو كان بقدر النقرة التي على ظهرِ النَّواة.

• ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أم أنَّ الحاملَ لهم على ذلك حسَدُهُم وبغضُهُم للمؤمنين، فإنْ كان الحامل لهم الحسد، فليسوا هم أوَّلَ مَنْ نالَ هذا الفضل ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ﴾ قبلهم ﴿ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إبراهيم وذريته ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ الصحف التي أنزلها الله تعالى عليه ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ السدادَ في القولِ والعَمَلِ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ وهو ما أعطاه الله تعالى داود وسليمان عليهما السلام.

• ﴿فَمِنْهُم﴾ أي اليهود ﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ بالنبي ﷺ ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ أعرضَ وتولَّى ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ عذاباً شديداً.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ تصلى جلودهم ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ من حر النار ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ غير جلودهم التي نضجت ﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ يذوقون ألمه، ويعانون شدَّته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا غالب لأمره ﴿حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ في تدبيرِ خلقِهِ وشأنِه.

• ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ لا يخرجونَ منها أبداً ﴿لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ﴾ مِنَ الحورِ العين ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ مِنْ كلِّ قذر، حسِّيّاً كان أو معنويّاً ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ ظلاً ممتدّاً كثيفاً.

• ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ ﴾ وهي كل ما اؤتمن عليه الإنسان، وأُمرَ بالقيامِ عليه ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ المودعين لها ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ في كلِّ خلاف ﴿أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ تحرُّوا العدلَ في ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ ما أحسنَ ما يعظكم به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا﴾ للأقوال ﴿بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ بالأفعال.

• ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ في كلٍّ ما يأمرانكم به وينهيانكم عنه ﴿وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ وأطيعوا أولي الأمــر منكم، وهم كل مَنْ له حقٌّ وولايةٌ عليكم، إذا كان ما يأمركم به لا يتعارض مع شــريعة الله تعالى ﴿فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ﴾ بينكــم ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ إلى كتابِ اللهِ تعالى وســنَّةِ رســوله ﷺ ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ فإنَّ الردَّ إلى هذهِ الأصولِ مِــنْ مقتضيــاتِ الإيمــان ودلائلــه ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ أفضل لكم ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ عاقبةً ومآلاً.

التَّـدَبُّـر

١ ـ ضرورة التصدّي للمفاهيمِ والأفكارِ والتصوّراتِ الخاطئةِ، ومحاكمتِها للوحي ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾ وهــذا أحدُ الردودِ على مفاهيمِ وتصوّراتِ اليهود في تلك الحقبةِ من الزمن.

٢ ـ الحسدُ والبخلُ مِنْ ميراثِ اليهود ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ فإيّاكَ ومواريثَ الضّلال!

٣ ـ إذا رأيت فضلاً عند جارك، أو نجاحاً في حياة أخيك، أو فرحاً وســروراً عند صديقك، فشــاركه بهجته، وافرَحْ لفرحِهِ، ودقَّ عنقَ الحَسَدِ بمباهجِ الأفراح ﴿أَمْ

يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾.

٤ ـ استفاد علماً فنشره، ووجد كتاباً متميّزاً فأذاع صيته، وأعجبه خلقُ جارِهِ فشكره، ومدَّ في أثره، وكلّما وجدَ فضيلةً أذاع أخبارهـا، ومدَّ في أحداث أصحابها ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ هذه أهمُّ طريقةٍ لمحاربةِ هذا الدَّاءِ في النفوس.

٥ ـ تعرَّفَ على متبرعين لجهته الخيرية، فأبلغَ مَنْ حوله، ونجحتْ جهته الخيرية في تطبيقِ تجربةٍ فعمَّمهـا، ووجدَ فرصاً وظيفيَّةً فأذاع خبرها، وكلّما لقي شـاباً طموحاً دفعَهُ لمواصلةِ دراستهِ، وشاركَهُ في بلوغِ أمانيه ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ درسٌ عمليٌّ في مطاردةِ الحَسَد.

٦ ـ من سوء ظنِّكَ بربِّكَ أَنْ تحسدَ أحداً على رزقٍ، أو تبخلَ على آخرَ بفضيلة ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ ماذا لو أدرك الإنسان ما عند الله تعالى؟!

٧ ـ توظَّفَ ولدُ جارِهِ، فكاد يشـقُّ ثوبَهُ مِنَ الحسـد، وخُطبت بنتُ عمِّه فثارت ثائرته، وعُوِّضَ صديقه عن أرضه التي خربت، فاشتكى من عوّض صديقه ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾.

٨ ـ النفوسُ الحقيرةُ لا تحتملُ أَنْ يشاركها غيرها في مساحَةِ الأفراح ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾.

٩ ـ ما لك وللأحزان! ما تراه في واقعِ غيركَ هبةٌ ومِنّةٌ مِنَ الله تعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾.

١٠ ـ من أكبرِ أبوابِ السَّعادةِ والراحةِ والطمأنينةِ أَلَّا تهبَ من نظرِ قلبكَ ومشاعرِكَ لِمَا عندَ الآخرين ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾.

١١ ـ أسوأ ما يبدِّد مباهج قلوبنا، ويكدّر خواطرنا، ويثير فينا مشاعرَ الأسى هو الحسد لِمَا في أيدي الآخرين ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾.

١٢ ـ كلُّ نعمكَ في يدكَ وقلبكَ، وما تعيشه في واقعك، سيتحوّلُ إلى شقاء حين تظلُّ مشغولاً بما في أيدي الناس ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ كم مِنْ زاهدٍ في زوجِهِ وبيتِهِ وسيارتِهِ، وكلِّ ما يملكُ، لأنَّ عينَهُ شغوفةٌ بالمساحاتِ التي لا يملكُ منها شيئاً!

١٣ ـ آمِنْ بأن الله تعالى يملكُ كلَّ شيءٍ، وارضَ وسلِّمْ بما وهبكَ مِنْ هذا الشيءِ، تعِشْ سالِماً وغانماً مِنْ كدرِ الحسرات ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾.

١٤ ـ كثيرون منعهم الحسد من سماع الحق من غيرهم ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ كَبُرَ عليهم أن يسمعوه من زميل أو صغير، فعاشوا مجهدين بالحسرات!

١٥ ـ غالباً ما يأتي الإعراض من الكبر والحسد ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾.

١٦ ـ سوء عاقبة الكافرين والضالين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾.

١٧ ـ إذا ضاعت الرؤية الكبرى في حياة إنسان لم يبق لها من الأحلام شيء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾.

١٨ ـ من كمال عزَّة الله تعالى أن يذيقَ المعرضين هذه النهايات ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾.

١٩ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ليس حرفاً يتلى، وإنما درس يأخذ من قلبك ومشاعرك ما يشاء.

٢٠ ـ عزّة الله تعالى مع جلالها منوطة بالحكمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ من كمال تلك العزَّة أن يردي المعرضين في قاع جهنم، ومن كمال تلك الحكمة ألَّا يفعلَ ذلك بهم إلَّا لرداءة قلوبهم.

٢١ ـ بشارة للمؤمنين المجهدين المتعبين في عرض الطريق ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾.

٢٢ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ

فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ حديث سلوى، وروح ومشاعر بهجةٍ للمثخنين من جراح الأيام والغربة والاضطهاد ومصاولة العدو.

٢٣ ـ ضرورة الحافز، وأثره في دعمِ النُّفوسِ لمواصلة الطريق ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾.

٢٤ ـ الجزاءُ مِنْ جنسِ العمل ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾.

٢٥ ـ الشريعة منهجٌ يجري في حياةِ العالمين في كلِّ شيء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ ليست مسألة الأمانة في شيء دون شيء وإنما هي في كل شيء.

٢٦ ـ الأمانة ليست مالاً تحفظه وتؤديه إلى أهله فحسب! الأمانة قيامٌ بحقوق الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ ومن ذلك أداءُ الأموالِ إلى أهلها.

٢٧ ـ من كمال علمك وخشيتك لربك أن تؤدي حقوق الآخرين كما هي دونَ نقصٍ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ وإلَّا صارت نهاية الإنسان إلى الظلم.

٢٨ ـ الاعتداء على المالِ العامِّ جريمةٌ كبرى في حياة صاحبها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ إذا كان الله تعالى أمر بإيصال الحقوق إلى أهلها، فالمعتدي على المال العام موغلٌ في ضياع هذه الأمانات.

٢٩ ـ إذا تحملت أمانة، فاقرأ على إثرها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

٣٠ ـ إنّ الله تعالى يرى تصرفك، ويسمع حديثك، ويرقب حركتك في كلِّ شيءٍ تصنعه في أمانات المخلوقين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

٣١ ـ المحاباة لقريبك أو صديقك أو جارك في وظيفةٍ عامّةٍ جريمةٌ كبرى في حقّ العدالة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾.

٣٢ ـ كلُّ خلافٍ أو قضيّةٍ أو مشكلةٍ لا تنتهي وفق أحكام هذه الشريعة، فبقاء خلافها أولى لصاحبها من حلٍّ على أنقاضِ منهج الحق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾.

٣٣ ـ إذا أردت لحكمٍ أن يأخذَ مداه في قلب صاحبه فاجعل خاتمته درساً للذكرى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾، ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ درسٌ كبيرٌ في الذكرى الدافعة للعمل!

٣٤ ـ إدارة الأولويات ضرورةٌ في شريعة الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ رتّب الطاعة على مقتضى هذه الأولويات.

٣٥ ـ طاعة وليّ الأمر تبع لطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن

كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ ألا تراه لم يذكر فعل الأمر (وأطيعوا) في طاعتهم، لأنَّ طاعتهم تبعٌ، وليست مستقلَّةً بنفسها.

٣٦ ـ كمال الشريعة ووفاء منهجها بمتطلبات الحياة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ فالردُّ إلى الشريعة دليلٌ على كمالها.

٣٧ ـ الخلافُ أمرٌ طبيعي بشرطِ أَنْ يجري علاجه في ضوءِ المنهج ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

٣٨ ـ وضوح المنهج ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ حتى في الخلافِ رسمتِ الشريعةُ طريقاً واضحاً للسلامة منه.

٣٩ ـ من مقتضياتِ إيمانِ العبد بربِّه، وتسليمه لأمره وحكمه، ألَّا يتخلَّفَ عن مرادِ الله تعالى ورسوله ﷺ في أيِّ شيء ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

❀ ❀ ❀

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ
وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ
صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ
إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى
قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ
أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ
لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ
أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

التفسير

• ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ كذباً ﴿أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الكتب ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟﴾ في نزاعاتهم ﴿إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ إلى غير ما شرعه الله تعالى ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ بهذا التشريع، الذي هو من صنع البشر، لا من شريعة الله تعالى ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ يبعدهم عن الحق إبعاداً شديداً لا يهتدون إليه.

• ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من القرآن ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ فيما عنده من السُّنَّة ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ يعرضون عنك إعراضاً تاماً.

• ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المعاصي ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ بعد أن حلَّ بهم ما حلّ ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ﴾ بتحاكمنا إلى غيرك ﴿إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ إلّا الإحسان والتوفيق بين المتنازعين.

• ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق والعداء للمسلمين ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ابتعد عن طريقهم ﴿وَعِظْهُمْ﴾ ذكّرهم بالله تعالى ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فيما بينك وبينهم ﴿قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ مؤثِّراً في وعظهم وزجرهم.

• ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ﴾ ما بعثنا قبلك من رسول ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فيما يأمر وينهى ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بمشيئته وقدرته ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالمعاصي ﴿جَآءُوكَ﴾ تائبين من ذنبهم ﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ من ذنوبهم ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ تواباً عليهم رحيماً بهم.

• ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الإيمان الذي يحبه الله تعالى ويرضاه ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ يجعلوك حكماً ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ فيما وقع بينهم من خلاف ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ بعد تحكيمك بينهم ﴿حَرَجًا﴾ ضيقاً ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ فيما قضيت ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ يذعنون وينقادون لك ظاهراً وباطناً.

التدبر

١ ـ الدعاوى تحتاج إلى بيّنات ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ وهذا الذي زعموه لم يأتوا عليه ببيِّنةٍ بل جاؤوا بما يناقضه.

٢ ـ الكذبُ لا قاعدةَ له، وسرعانَ ما تأتي الحقائق، والوقائع بنقيضه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ زعموا أنهم مؤمنون، ثم سقطوا في التحاكمِ إلى غيرِ الحق.

٣ ـ من مقتضياتِ الإيمان: الكفر بالطاغوت، وهو كلُّ ما عُبِدَ مِنْ دون الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ وكلُّ إيمانٍ لا يكفر بالجاهليةِ فلا قيمةَ له في واقع صاحبه.

٤ ـ من كمال علمك أن تعلم أنّ مراد الشيطان منك كبيرٌ جداً ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا﴾ فهو لا يترك الكفر إلّا إلى بدعةٍ، والبدعة إلّا إلى كبيرة،

والكبيرة إلَّا إلى صغيرة، ولو لم يجد إلَّا أن يشغلك بالمباحات لفعل، وكان ذلك مناه منك.

٥ - إذا أردت أن تختبر النفاق، فاعرضه على حقائق الوحي ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾.

٦ - من أبرز صفات المنافقين التحاكم إلى غير شرع الله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾.

٧ - إذا رأيت معارضاً للحق طالباً للجاهلية، فاعلم أن ذلك من آثار النفاق ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾.

٨ - الكذب والتلوّن والخداع مِنْ أكثرِ صفاتِ النِّفاقِ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾.

٩ - مظاهرُ الخذلانِ ناتجةٌ عن فسادِ القلوب ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾.

١٠ - لا يفوت على الله تعالى من تلاعب المنافقين وفساد أحوالهم شيءٌ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾.

١١ - النهي عن قربان مجالس المنافقين ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ وَمَنِ استهانَ بذلك عطبَ مع مرور الأيام.

١٢ ـ ينبغي أن يبرز للمنافقين من يعظهم، ويذكِّرهم بالله تعالى، ويبيِّن لهم عواقبَ ما يصنعون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣﴾ وهو فرض كفاية يجب أن يقوم بحقِّه من له القدرة على مصاولة أكبر عدو في تاريخ الإسلام والمسلمين.

١٣ ـ أهمية العلم في مصاولة النفاق، ومجادلة أهل الباطل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣﴾ والقول البليغ لا يأتي من خصامٍ فارغٍ من البراهين، وإنما يأتي مملوءاً بالحججِ والبيِّنات.

١٤ ـ صدق الرسل، وأنهم جاؤوا بالبينات ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾ والأمر بطاعتهم فرعٌ عن صدقهم.

١٥ ـ سعة رحمة الله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾ وصيغة المبالغة في قوله تعالى ﴿تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ دليل هذا المعنى البهيج.

١٦ ـ من أعظم مقتضيات الإيمان بالله تعالى التحاكم إلى شرعه، والرضا به، والتسليم لأحكامه ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ ما تصنع بإيمانٍ لا يردُّ كل شيءٍ إلى شريعة الله تعالى؟!

❀ ❀ ❀

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن
دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ
بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّأٓتَيْنَٰهُم مِّن
لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم
مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ
أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ
فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ
فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ
شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن
لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ
فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ
يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأٓخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

التفسير

• ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أوجبنا عليهم ﴿أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ فيقتل الرجل نفسه، أو يقتل بعضكم بعضاً ﴿أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم﴾ أو أمرهم بترك مساكنهم والخروج من ديارهم ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ ما استجابوا لذلك ﴿إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ يستجيبون لذلك الأمر ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ من شرع الله تعالى ﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾ أفضل ﴿وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦﴾ لهم على الحق.

• ﴿وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ﴾ من عندنا ﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧﴾ ثواباً كبيراً ﴿وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٦٨﴾ دللناهم على الحقِّ وثبّتناهم عليه.

• ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ بدخولِ الجنّة ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ الذين قُتلوا في سبيل الله ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الذين صلحت ظواهرهم وبواطنهم ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ أي ما أحسن رفقة هؤلاء.

• ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ دخول الجنة ورفقة هؤلاء ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ يعلمُ كلَّ شيءٍ ويجازي عليه.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ أي استعدُّوا واحذروا مباغتة عدوِّكم ﴿فَٱنفِرُواْ﴾ انهضوا لقتال العدو ﴿ثُبَاتٍ﴾ جماعةً بعد جماعة ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١﴾ مجتمعين جيشاً واحداً.

• ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ يتأخر عن الخروج متثاقلاً، ويثبّط غيره ﴿فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾ من قتلٍ أو هزيمةٍ أو ذهاب مال ﴿قَالَ﴾ ذلك المثبّط:

﴿قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ﴾ من فضل الله تعالى عليّ ﴿إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾﴾ أنني لم أكن معهم حاضراً.

• ﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من غنيمةٍ أو نصرٍ ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ ذلك المثبّط: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ لم تشركوني معكم، كأنكم نسيتم ما بيني وبينكم من صحبة ومعرفة ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ أي بنيل ما نالوا من الغنيمة والنصر.

• ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ الذين يبيعون الحياة الدنيا بالدار الآخرة يبتغون ما عند الله تعالى ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ من أجل إعلاء كلمة الله تعالى ﴿فَيُقْتَلْ﴾ يموت ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ ينتصر ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾ ثواباً جزيلاً.

التدبر

١ ـ الانتقائية من الشـــريعة بعض مظاهر النفاق ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾.

٢ ـ إذا رأيت ساقطاً في الفتن، متخاذلاً عن الصف، متقاعساً عن الخيرات، فتلك من أسباب الخذلان ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾.

٣ ـ الإيمان والعمل الصالح من أعظم أسباب الثبات ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾.

٤ ـ للعمل والتطبيق آثار عاجلة في حيـاة صاحبه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾.

٥ ـ ما رُزِقَ عبدٌ صالح في حياته ما رُزِقَ العملَ والتطبيق ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾.

٦ ـ عملهم الصالح أعظم موانع الانتكاسة والخذلان ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾.

٧ ـ الهداية فرع عن العمـل ﴿ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾.

٨ ـ للحق أنصار وصحبة وأعوان ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾.

٩ ـ من وُفِّق لصحبة صالحـة فقد وُفِّق لخير عظيم ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾.

١٠ ـ من كمال عقلك وفهمك ووعيك أن تختارَ رفيقاً يليقُ بكَ في الدارين ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾.

١١ ـ صحبة الكبار تفضّلٌ ونعيمٌ عاجلٌ من الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾.

١٢ ـ **«الأرواح جنودٌ مجندةٌ، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»**[1] ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾.

١٣ ـ الاستعدادُ وبذل الأسباب الممكنة في كل أمر من الأمور فقهٌ في الشرع، وكمال في العقل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾.

١٤ ـ التخطيطُ وإدارةُ الواقع جزءٌ من مفاهيمِ هذهِ الشريعة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾ استعدّوا من خلال العمل والتخطيط، وخذوا الحيطة والحذر من هؤلاء.

١٥ ـ من كمال علمك وفقهك وعيُك بإدارة الأزمات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾.

١٦ ـ النتائج موكولة بالأسباب والمقدمات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾.

١٧ ـ ضرورة وجود القادة والموجّهين وحملة الرايات في كلّ أزمة ومشكلة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾.

١٨ ـ سيظلّ الصف مشوباً بالمعوِّقين والمخذِّلين وأصحاب السوء ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾.

(١) حديث أخرجه البخاري عن عائشة برقم (٣٣٣٦)، ومسلم عن أبي هريرة برقم (٢٦٣٨).

١٩ ـ كن فطناً في كلِّ مناسبة، واعلم أنّ الصفَّ مشوبٌ بأصحاب السوء ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾.

٢٠ ـ كم هم الفرحون بالتخلّف والغياب والتأخر عن صناعة الأحداث! ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ في مثل واقعنا وزماننا.

٢١ ـ خلل الموازين والتصورات والمفاهيم أكبر المشـكلات التي تواجه الأمـة مـن غابـر التاريخ إلـى يومنا هـذا ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ وإلّا متى كانـت النعمة في التخلف عن مشاهد الجهاد؟!

٢٢ ـ لا يقدّم روحه ويبذل حياته في سبيل غايات الشرف إلّا الكبار ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾.

٢٣ ـ إذا سـلمت الرؤية من مؤثرات الدنيا تاقت للآخرة بشـوقٍ ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾.

٢٤ ـ الإيمانُ يصنعُ ربيعَ الأيام ﴿فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾.

٢٥ ـ لا يقوم الإسلام إلَّا في اللحظة التي يُدفع فيه ومن أجله كلُّ شيء ﴿فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾ ألا فلا نامت أعين الجبناء!

٢٦ ـ حيَّ على صوت جهاد الحق والعدل في كلّ أرضٍ ﴿فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾ سقى الله ليلةً باتَ فيها صوتُ الجهاد فاشياً!

❀ ❀ ❀

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ
ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ
نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ
ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ
مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ
كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا
قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا
تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ
حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟
هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن
سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

التفسير

- ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لماذا لا تقاتلون في سبيل الله تعالى ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ الضعفاء ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ تحت قهر الكفر، والظلم من أهل الكفر ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ يدعون الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ يقصدون مكة ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ يتولانا في أمورنا ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥﴾ ينصرنا ويدافع عنا.

- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله تعالى ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يبتغون وجه الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله تعالى ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ في سبيلِ الشَّيطانِ وعلى منهجه ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟﴾ أيها المؤمنون ﴿أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أتباعَهُ وأعوانه ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ مكره وتدبيره ﴿كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ أمامَ سلطانِ الحق.

- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا رسول الله ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾ وهم بعض الصحابة، أمروا بترك القتال في مكة، فجاؤوا إلى النبي ﷺ يشتكون مرارة أمرهم بالكفِّ عن قتال الكفار ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أدّوها كما أمركم الله تعالى ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ لمستحقيها ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾ فُرض بعد ذلك بالمدينة ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ يعظّمون النَّاسَ، ويخافونهم كخوفهم من الله تعالى ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ وبعضهم يخافُ النّاسَ أشد من خوفه لله تعالى ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾ لم فرضته علينا؟ معترضين على ذلك ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ هلّا أمهلتنا إلى مدّةٍ قريبةٍ دون جهاد نستمتع فيها بالحياة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ بالنسبة

لمتاع الآخرة ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ﴾ أفضل وأبقى ﴿لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الله تعالى، فقام بأوامره، واجتنب نواهيه ﴿وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾ لا تُنقصون من أجوركم شيئاً، ولو كان قدر الخيط الذي في ظهر نواة التمر.

• ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ يلحقكم ويصيبكم ﴿وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ﴾ حتى لو كنتم في قصور منيعة بعيدة ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ﴾ المنافقين ﴿حَسَنَةٞ﴾ نعمة من ولد أو رزق ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ بفضله وإحسانه ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ نقمة وعذاب ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَ﴾ بسبب ما جئتنا به يا محمد ﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿كُلّٞ﴾ الحسنةُ والسيئةُ ﴿مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ بقضائه وقدره ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ﴾ القائلين ذلك ﴿لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨﴾ ذمَّهم لجهلهم عن فهمِ مرادِ الله تعالى.

• ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ﴾ أي مِنْ نعمة ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ أي بقضائه وقدره ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ﴾ نقمة ﴿فَمِن نَّفۡسِكَ﴾ بذنوبك وكسبك ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿لِلنَّاسِ رَسُولٗا﴾ تبلغهم دين الله تعالى ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩﴾ على أنك رسوله.

١ ـ راية الإسلام وعزّه وفخره ومساحات شموخه لا تتحقَّق إلَّا من خلال راية جهاد العلم والعمل ﴿فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٧٤ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ

يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾.

٢ ـ الجهاد شُرِعَ لإزالةِ العقبات من طريق الحق ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾.

٣ ـ الجهاد نجدةٌ ونصرةٌ للمستضعفين في الأرض ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ وكم هو عارٌ على الأمة أن ترى ضعفاءها يقتادون لساحات الموت دون أن يجدوا نصيراً لهم في الأزمات!

٤ ـ الأمة وحدة واحدة ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ وإذا تخلّفتْ عن مفاهيمِ النُّصرَةِ تخلّفَ فيها كل شيء.

٥ ـ الجهاد الحقيقي لا يقوم على رايات، وأحزابٍ قوميةٍ، وإنما يقوم على راية الحق، لله ومن أجل الله ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾.

٦ ـ القتال من أجل الأوطان والأحزاب والرايات القومية ضلال لا تقوم به نصرة، ولا يصلح مَوْطناً لدفع مهج النفوس والأموال ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾.

٧ ـ ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ ليس في راية الحرب فحسب، وإنّما في كل شيء، إذا توكّلت على ربك، وجهدت في تحقيق آمالك، وأقبلت صادقاً على رؤيتك، أتيت منها في النهاية على ما تريد.

٨ ـ لا تتمنَّوا لقاء العدو مهما كانت قواكم في الأرض ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ كانوا في سعة من ذلك، وسألوه الجهاد، فلمَّا كُتِبَ عليهم ولَّوا مدبرين.

٩ ـ إياك أن تشمتَ بإنسان، أو تتهكَّم على فكرته، ومشروعه، أو تلمزه في موقفٍ من المواقف، أو تعيّره بشيء؛ فإن الأيام دول ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ هؤلاء كانوا في عافية من أمرهم، فلمَّا قالوا ذلك وقعوا فيما استنكروه.

١٠ ـ (فن الممكن) أعظم ما ينبغي أن يعتني به صاحبه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ ألا ترى هؤلاء عُرِضَتْ عليهم مساحة الممكن فرفضوها، وسألوا أكبر منها، فلما جاء ما سألوه تخلّفوا عن فواتحها!

١١ ـ ما لك ولمساحات الآخرين! ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ إن وجدت فرصة وفراغاً ومساحة لعونهم، فلا عدموك، وإلّا فاحرس ما أنت فيه بإتقان.

١٢ ـ من أعظم مشـكلات أفراد الأمة اليوم الانشغال بمساحات ليست لهم، ولا يسـتطيعون أن يقدّموا فيها شـيئاً في مقابل التخلّي عن المساحات الممكنة في واقعهـم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾.

١٣ ـ إذا رأيت إقبالاً على الدنيا فكُرَّ بهذا المعنى الكبير ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾.

١٤ ـ إذا لم يجد الإنسـان رؤية تنير طريقه، وفكرة خالدة يعيش من أجلها، بقي أسيراً للشهوات ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾.

١٥ ـ ارفـع بصرك لعنان السـماء، واكتب حظك من الحيـاة ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾.

١٦ ـ العيش من أجل الغايات الكبرى ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾.

١٧ ـ الحرية لا يعدلها شيء ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ ستموت في اللحظة المقدَّرةِ، فإيَّاكَ ومواطن الجبن!

١٨ ـ آمِنْ بقضاء الله تعالى وقدره وستعيش حُرّاً حتى في محاضن الموت ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾.

١٠ ـ الحسنةُ والسيئةُ من عند الله تعالى قدراً، ومن عمل الإنسان فعلاً وسبباً ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾.

❀ ❀ ❀

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ
عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ
عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا
يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾
أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ
ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ
ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي
ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ
ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾
فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ
عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا
وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ
نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ
بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

التفسير

• ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ﴾ في أمره ونهيه ﴿فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ لأن رسول الله ﷺ لا يأمر إلَّا بأمر الله تعالى ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ تحفظ أعمالهم، وتحاسبهم عليها.

• ﴿وَيَقُولُونَ﴾ المنافقون إذا كانوا عندك يا رسول الله: ﴿طَاعَةٌ﴾ لك في كل ما تأمرنا به ﴿فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ﴾ خرجوا من عندك ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ دبّر جماعةٌ منهم على وجه الخفاء ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ خلاف ما أظهروا لك ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ يعلمُ ما يدبِّرون، وسيجازيهم عليه ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ اتركهم وشأنهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فوّض أمورك إليه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ حسبك الله تعالى وكيلاً تعتمد عليه في كلِّ أمورك.

• ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ ما لهم لا يتدبّرون القرآن، ويفهمون كلام الله تعالى ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ القرآن ﴿مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ لكان مليئاً بالاختلاف والاضطراب.

• ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ﴾ هذه الطائفة المبيتة لمخالفة أمر النبي ﷺ ﴿أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ﴾ ما يتعلّق بنصر المؤمنين ﴿أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾ هزيمتهم ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ أفشوه وأعلنوه ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أعادوا هذا الأمر الذي سمعوه ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ من أهل الرأي والعلم ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ لتعرَّفَ أهل الرأي والاستنباط ما ينبغي أن يُعمل بشأنه من نشرٍ أو كتمان ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ في وساوسه.

- ﴿فَقَٰتِلۡ﴾ يا رسول الله ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ في حملها على القتال ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ حضَّهم على القتال ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ بجهادكم وقتالكم ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا﴾ قوّةً وعزة ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ تعذيباً.

- ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ﴾ بأن يتوسط في جلبِ منفعةٍ، أو دفعِ مضرَّةٍ من غيرِ إضرارٍ بالآخرين ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ﴾ نصيبٌ من شفاعته بحسب عمله وسعيه فيها ﴿وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ﴾ فيتوسط في جلب منفعةٍ، أو دفعِ مضرَّةٍ، ويترتّب عليها إلحاق ضررٍ بالآخرين من أخذِ حقوقهم، أو إيقاعِ الضَّررِ بهم ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ﴾ نصيب من وزرها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ٨٥﴾ شاهداً وحفيظاً.

- ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ﴾ فسلّم عليكم مَنْ يلقاكم ﴿فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾ فردوا عليه بأفضل ممَّا قال لكم أو بمثله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦﴾ مجازياً ومحاسباً.

التَّدَبُّر

١ ـ حظوظ الآخرة في واقعك على قدر إقبالك على سنَّة نبيك ﷺ ومنهجه ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾.

٢ ـ كلما استوثقتَ من سنة نبيك ﷺ استوثقتَ من طاعة الله تعالى ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾.

٣ ـ مهمة الدعاة والمصلحين إيصال الحق للخلق ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾﴾.

٤ ـ ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ دعوة للتخفيف عن ظهور الدعاة والمصلحين من تبعات الهداية.

٥ ـ ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ دعوة إلى ألَّا تنشغل بالمعرضين عن موارد الخيرات وآثار الدعوات.

٦ ـ المنافقون ثلمةٌ في صفِّ الأمة، وتاريخ سوء في واقعها ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾.

٧ ـ لا تنتظر واقعاً مشرفاً مع المنافقين مهما بلغ جمال زمانك ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ لم يَصْفُ عهد النبوة من كدورات سوئهم، فكيف بغيره من الأزمان؟!

٨ ـ من واجبات الدعوة أن تتخذ هؤلاء أعداءً، وتعرفَ كيفَ تتعامل معهم، وتتخذَ كافّةَ الوسائل التي تأمن بها شرهم وكيدهم ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾.

٩ ـ حسن الظنّ بهؤلاء من دلائل الجهل، وضعف العقل ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾.

١٠ ـ من كمـــال توكُّلك على الله تعالى أن تمضيَ في طريقــك غير آبهٍ بما يصنع هؤلاء ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ ﴾.

١١ ـ ليصنعوا ما شاؤوا كيف شاؤوا، يكفي من ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾.

١٢ ـ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ دعوة إلى أن تأخذ أرواحنا ومشاعرنا حقّها من تدبر القرآن الكريم.

١٣ ـ من تدبّرَ القرآنَ أدركَ الحقائق التي جاء من أجلها ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

١٤ ـ الغاية الكبرى من إنزال القرآن الانتفاع بما فيه من مفاهيم وأفكار وتصوّراتٍ، وليس مجرّد التعبد بتلاوته ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

١٥ ـ على مؤسسات الأمة أن تتحوّل من مجرد حفظ القرآن حفظاً مجرداً إلى فهم رسالته واستيعابها والعيش مع مباهجه ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

١٦ ـ غالب التحليلات السياسية لا رصيدَ لها من الحقيقة ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ وهي من جملة ﴿أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ وغالب من تولى هذه الإذاعة له ليس من أهله في الأصل.

١٧ ـ شأن التخصص كبير في كل قضية تطرح في واقع الأمة ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ

ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾.

١٨ ـ إذاعة الأمور وإفشاؤها، والجلبة حولها، قضية كثيرين منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ ما أكثر ما يختصمون في قضايا الواقع، ويصنعون حولها شغباً مثيراً، ثم ينامون عنها، ويتركونها في النهاية لا راعي لها!

١٩ ـ ما تزال الجاهلية فاشيةً ما لم تجد مصلحين ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾.

٢٠ ـ من كمال علمك ورصانة عقلك ألّا تخوضَ في شيءٍ ليس من شأنك ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ وإياك والهوامش!

٢١ ـ إذا رأيت قضية أو مفهوماً أو معرفة لا علاقة لها بواقعك، ولا يترتب عليها عمل، فَدَعْهَا، فليست من شأن الكبار ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾.

٢٢ ـ من توفيق الله تعالى لك ألا تقوم مع كلّ خبر، أو تُهْرَعُ إلى كلّ قضية، أو تفزع مع هذا الركام من الأكاذيب إلّا بعد أن تتقصّى الحقائق، وتعرف أين دورك منها ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ

وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾﴾.

٢٣ ـ من كمال وعيك ألا تشارك في تحليل قضية ليست من تخصصك ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾﴾.

٢٤ ـ كن من أولي الأمر في قضايا الأمة تصنع لها فألاً في زمن الأحداث ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾﴾.

٢٥ ـ إذا مَنَّ الله تعالى عليك بعلمٍ أو رأيٍ أو فكرٍ أو خيرٍ، فاعلم أن ذلك من آثار فضل الله تعالى عليك ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾﴾.

٢٦ ـ للشيطان حضورٌ في كلِّ قضية ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾﴾.

٢٧ ـ فَنُّ الممكنِ أكثرُ المساحاتِ تأثيراً، وأجملها أثراً، وأعظمها فاعلية ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ﴾.

٢٨ ـ العناية بمساحات تأثيرك والانشغال بها هو فرضك العيني ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ﴾.

٢٩ ـ إذا ملأت مساحتك، وأثريت واقعك، فتقدَّمْ لتحريكِ مساحاتِ هموم أمتك قدر وسعك ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾﴾.

٣٠ ـ كيدُ العدوِّ، وبأسُـهُ مقابَلٌ بكيدِ الله تعالى وبأسِه ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾.

٣١ ـ على قدر جهـدك يكون الجـزاء ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾﴾.

٣٢ ـ النتـائـج مـوكـولـةٌ بالأسـبـاب ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾﴾.

٣٣ ـ كثيرة هي المساحات التي يوسّـع بها الإنسان أثره في الحياة ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَا﴾ حتى الشفاعة التي تَهَبُ من جاهك للآخرين يحتفل بها الإسلام، ويجل شأنها.

٣٤ ـ جمال هذا الديـن وروعته ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَا﴾ حتى إنه ليجعل من الأوقات التـي تقضيها في عون الآخرين مسـاحةً من آثار صاحبها في الدارين.

٣٥ ـ كلّ مـا تمضي مـن أوقـات فـي هـذه الحياة إمّا لك أو عليك ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾﴾.

٣٦ ـ رعاية الشــريعة لمشــاعر الآخرين ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ تؤكد على ردّ التحية بأحسن منها رعايةً لقلب صاحبها، وإثارةً لمشاعره.

٣٧ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ دعوةٌ لاســتنفاد طاقاتك الممكنة في عمل الخيرات حتى لو كان ذلك بالمكاثرة في السلام والتحية.

❀ ❀ ❀

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ
وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ
أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ
تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ
حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ
حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ
حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ
ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ
وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾
سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا
رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ
ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ
ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿٩١﴾

التفسير

• ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود بحق سواه ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ أولكم وآخركم ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾﴾ ولا أحد أصدق من الله تعالى حديثاً.

• ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ لماذا اختلفتم في هاتين الفئتين من المنافقين، أظهروا الإسلام، وأبطنوا الكفر، ولم يهاجروا من مكة، فاختلف فيهم صحابة رسول الله ﷺ ما بين متحرّج من قتالهم لكونهم أظهروا الإيمان، وما بين مريدٍ لقتالهم بسبب كفرهم، فأبان الله تعالى أمرهم، ورفع الإشكال الحاصل فيهم، فقال ﴿فِئَتَيۡنِ﴾ جماعتين ﴿وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم﴾ ردَّهم إلى الكفر، ونكسهم فيه ﴿بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ بسبب كفرهم ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ ولا سبيلَ لكم إلى ذلك ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾﴾ طريقاً إلى الحق.

• ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ﴾ كفاراً ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ أنصاراً تتولونهم بالعون والنصر والتأييد ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فإن هاجروا إلى المدينة، وآمنوا فهم منكم ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن الإيمان ﴿فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ في أي مكان وزمان ﴿وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾ يتولاكم وينصركم من دون الله تعالى.

• ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ يلجؤون ﴿إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ عهد وعقد ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ﴾ ضاقت صدورهم عن مقاتلتكم ﴿أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡ﴾ وضاقت صدورهم عن مقاتلة قومهم ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡ﴾ ولكن الله رحمكم من ذلك ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ

﴿يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ فلم يتعرضوا لقتالكم ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ رغبوا في السلم معكم، وتركوا الحرب ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾ فلا يحلُّ لكم أن تتعرَّضوا لهم بشيء.

• ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾ فيظهروا لكم الإسلام ﴿وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ﴾ فيظهروا لهم الكفر ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ دعاهم إليها قومهم لقتال المسلمين ﴿أُرْكِسُواْ فِيهَا﴾ أعيدوا فيها ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ يتركوا قتالكم ﴿وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ العهد بعدم القتال ﴿وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن قتالكم ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾ حجّة ظاهرة بيّنة.

التدبر

١ ـ وضوح الرؤية من أكبر أسباب النجاة والفلاح في الدارين ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ إذا بان هذا المعنى لإنسان دفع من أجله وفي سبيله كل شيء.

٢ ـ المؤمن أكبر من أن تفوته الحقائق ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾ وهذا التساؤل من الله تعالى عن الخلاف في معرفة هؤلاء يحمل عَتَباً رقيقاً على ذهاب هذا الفهم على المؤمنين.

٣ ـ كلّ الذين تركوا الهدى، وعادوا متلبسين بالضلالة، هم الذين صنعوا لأنفسهم مشهد النهايات ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾.

٤ ـ ﴿وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ درسٌ نفيسٌ جداً لكل الذين يتساءلون عن تاركي الطريق بعد أن ذاقوا لذته، وشربوا من معينه الصافي.

٥ ـ الخطوة الأولى تصنع واقعك في النهايات ﴿وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ هم الذين أرادوا هذا الواقع، وجهدوا فيه، وساروا فيه، وفي النهاية كانت النهاية التي بلغوا فيها كل الأسباب الممكنة.

٦ ـ مهما بلغ وسعك في محاولة إنقاذ بعض المتردِّين في الطريق، فلَنْ تبلغ شيئاً من أملك ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾ حتى أنفسنا يجب أن نجنِّبها هذا المعنى الخطير.

٧ ـ ضياع دينك، أو تلبسك بالضَّلال، أو انشغالك عن الحق: من أعظم مراد المنافقين، وإذا ظفروا بك في منزلة أردى لم يتركوك لغيرها إلَّا حين ييأسوا ويعجزوا ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾.

٨ ـ ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ﴾ هذه ليست من شأن هؤلاء فقط، بل تجري مع كل صاحب سوء، لا يقنعون إلَّا بأن تكونَ معهم في كلِّ شيء، رأيت هذا في شارب الدخان، وسجين المخدرات، وخلان السفر وغيرهم كثير.

٩ ـ أيّاً كان ولاءُ الكافرِ لك، وجهده معك، وظاهره الذي تراه في صالحك، فإيّاكَ أن تهبَ له شيئاً من قلبك ووقتك وفكرك ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

١٠ ـ إيّاكَ أن يكونَ وليُّكَ وصاحبُك وصديقُ عمرِكَ وخِلُّك الذي لا يفارقك من أصحاب السُّوءِ، فإنَّك في النهاية إلى الخسران ﴿وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا﴾.

١١ ـ الإسلامُ يجلُّ العهود والمواثيق، ويصنع للمواعيد شأناً كبيراً في واقع الحياة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾.

١٢ ـ العافيةُ لا يعدلها شيء، ولا تتمنّوا لقاء العدو، وإذا صرف الله تعالى عنك أمراً، فلا تتعرّض له في الطريق ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾.

١٣ ـ المنافقون أصنافٌ وأشكالٌ وأنواعٌ، يجمعهم كره الإسلام ومعاداته، والولاء للكفر والكافرين في كل مكان ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾.

١٤ ـ لا تتوقّع أن يخلوَ جوُّ الحقِّ من الصراع، سيظلّ مليئاً بالمكدرات، فإيّاكَ والأوهام ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ
مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن
قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا
مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟
لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ
عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ
كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

التفسير

- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ لا يجوز لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلّا خطأً ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ فعليه عتق نفسٍ مملوكةٍ مؤمنةٍ ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ ويدفع ديةً مسلّمة إلى أهل القتيل ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ إلّا أن يتصدق أهل المقتول بالدية، فيتنازلوا عنها على سبيل العفو والصفح ﴿فَإِن كَانَ﴾ المقتول خطأً ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ كفار محاربين لكم ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ والمقتول مؤمن، ولم يعلم به القاتل لكونه بين أظهر القوم الكافرين ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ فيجب على القاتل أن يعتق رقبة مؤمنة دون ديةٍ؛ لأن الديةَ لا تعطى لغير المسلمين ﴿وَإِن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ﴾ من كفار بينكم وبينهم ميثاق وعهد ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ فيدفع القاتلُ ديةً لأهل القتيل؛ لأن حكمهم في هذه الحالة كحكم المسلمين؛ لأنهم قوم لهم عهد وذمة ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ وعليه عتق رقبة مؤمنة ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رقبةً مؤمنةً يعتقها ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ فيصوم شهرين متتابعين ﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ليتوب الله تعالى عليه بذلك ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ في تدبير خلقه وأمره.

- ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ قاصداً قتله ﴿فَجَزَآؤُهُۥ﴾ الذي يستحقه ﴿جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا﴾ باقياً فيها مدة لا يعلم مقدارها إلّا الله تعالى ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بسبب ذلك ﴿وَلَعَنَهُۥ﴾ طرده من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ يوم القيامة.

• ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ خرجتم للجهاد في سبيل الله تعالى ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ فتثبتوا حتى لا تقتلوا مؤمناً من المؤمنين ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ﴾ فنطق الشهادتين، أو حياكم بتحية أهل الإسلام ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ لست مؤمناً حقاً ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تريدون الغنيمة ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ خير لكم من هذه الغنيمة ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ مثل هذا الذي يُخفي إيمانه من قومه ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالإيمان ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ تثبتوا في أحكامكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾ فيجازي كلَّ إنسان بما عمله ونواه.

التدبر

١ - تعظيم الإسلام للدماء، وتحريمه الاعتداء على النفوس، وتجريمه كلَّ فعلٍ يؤدي في النهاية إلى تلك الخواتيم ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾.

٢ - دقّة نظام الإسلام في التعامل مع أصحابِ الخطايا، وفرضُ نوعٍ من العقوبة على كل واحدٍ بما يتناسب مع موقفه من حيث الخطأ والعمد ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ

وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾.

٣ ـ نظر الإسلام للمصالح الكبرى في التعامل مع أيِّ حادثٍ يقع في أوساط المسلمين ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾.

٤ ـ هذه صورة الإنسان الحقيقية في الإسلام ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ يجلّه، ويحترمه، ويعظّم حرمة دمه، ويعتبر الاعتداء عليه من الجرائم الكبرى في التاريخ.

٥ ـ أما قرأ المعتدون على دماء المسلمين هذا الواعظ المثير في كتاب ربِّهِم مِنْ زمنٍ طويل! ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ ليتهم أدركوا هذا المعنى قبل ضياع حياتهم في السوء!

٦ ـ ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ هذه رسالة الإسلام لكلِّ مَنْ صوَّر الإسلام يوماً أنّه دين الدماء.

٧ ـ فرقٌ كبيرٌ بين مسلم يدّعي الإسلام، وبين منهج الإسلام في واقع الحياة ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾.

٨ ـ لا يمكن لمجرم أن يجد فُرجةً يتسرّب منها باسم الإسلام ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾.

٩ ـ كلّ هذه الدماء التي تُراق اليوم باسم الإسلام إنما يريقها الجهل بالإسلام ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ أو التجني عليه.

١٠ ـ كثيرة هي حظوظ الدنيا في قلب الإنسان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾ ربما يَسْتَرْخِصُ دم طالب للإسلام من أجلها!

١١ ـ كم أودت هذه الدنيا بكثيرين في مسارب الضياع! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾.

١٢ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ضع هـذا المعنى في حقيبتك أثناء السفر، وفي شاشة جوالك أثناء الفراغ، وفي واجهة حاسوبك عند صناعة كل حرف، وفي مقرّ عملك أثناء الدوام، وفي طريقك عند كل خطوة لمشروع. وحين تقف بين يدي الله تعالى متعبداً لـه، وأَحْضِـرْهُ في كل أمـر تديره في واقع الحياة، وإيّاكَ والغفلـة عن آثاره!

١٣ ـ إذا أردت أن تُجْرِيَ أمـراً على الناس، فانظر ما تحـب أن يجريه الله تعالى عليك في هذا الموقف وافعله معهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾.

١٤ ـ ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ ضعهـا في قلبك، ومشاعرك حين ترى شارداً في الطريق بعيداً عن مباهج الهداية.

١٥ ـ تذكّر في كلِّ مرّةٍ منّةَ الله تعالى عليك وردِّدْ ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾.

١٦ ـ إذا شعرت بارتفاع نفسك، وعلوّ مشاعرك على من حولك، وتفوّقك على من تراهم، فتذكر هذا المعنى ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾.

١٧ ـ ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ تُعَلِّمنـــا التواضع والخشوع والسكينة في نفوســنا؛ وتُعَلِّمنا في الوقت نفسه شكر الله تعالى على آلائه ونعمه.

١٨ ـ كلّ ما تراه في واقعك من مباهج هو من آثار هذا المعنى الكبير ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾.

❀ ❀ ❀

لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ
ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً
وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ
قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ
جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾
۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةًۚ
وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ
فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ
فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

التفسير

- ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عن الجهاد في سبيل الله تعالى ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ وليس لهم عذر يمنعهم عن الجهاد ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ لا يستوي أولئك القاعدون من غير عذر مع من جاهد بنفسه وماله في سبيل الله تعالى، وإنّما نفى التسوية مع أنه معلومٌ حتى يدرك القاعد مَذَمَّةَ قعودِهِ، وينهض طالباً عزَّ نفسه بالجهاد في سبيل الله تعالى ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ بعذرٍ من الأعذار ﴿دَرَجَةً﴾ منزلة ورفعة ﴿وَكُلًّا﴾ من المجاهدين في سبيل الله تعالى والقاعدين عن الجهاد بعذر ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ ثواباً كبيراً.
- ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾ من الله تعالى ﴿وَمَغْفِرَةً﴾ لذنوبهم ﴿وَرَحْمَةً﴾ بهم أن يسّر لهم الجهاد في سبيله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ بالمؤمنين.
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بترك الهجرة من مكة إلى المدينة، وبقائهم بين أظهر الكفار ممنوعين من إظهار دينهم وأداء عباداتهم ﴿قَالُواْ﴾ الملائكة لهؤلاء الباقين في مكة: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ في أي شيء كنتم من أمر دينكم ﴿قَالُواْ﴾ هؤلاء الظالمين لأنفسهم: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ لا نقدر على إظهار ديننا ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي الملائكة لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ إلى مكان تقيمون فيه دينكم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الظالمون لأنفسهم ﴿مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مستقرّهم ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ مأوًى ومستقرًّا.
- ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ إلّا الذين لم يقدروا على الهجرة لمرضهم أو عجزهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ لا سبيل لهم

للهجرة لظروفهم ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ ولا يعرفون طريقاً يخلِّصهم ممَّا هم فيه.

• ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ لعدم هجرتهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ لعباده رحيماً بهم ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فيخرج للهجرة قاصداً وجه الله تعالى ﴿يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا﴾ مهاجراً ومكاناً يتحول إليه ﴿وَسَعَةً﴾ في الأرض وفي الرزق ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ فيموتُ قبل أن يصلَ إلى مكان هجرته ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ثبتَ أجرُ هجرتِهِ كاملاً ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ بالمؤمنين.

• ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ سافرتم فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ تصلّوا الرباعية ركعتين ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ خشيتم أن يتعرَّضَ لكم أهلُ الكفر بالفتنة، ولم يعد القصر مخصوصاً بخشية الفتنة، بل هو رخصة عامة في كل سفر ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾ عداوةً واضحةً جليةً لا لبسَ فيها.

ما ترشد إليه الآيات

١ ـ فضل الجهاد، والنفير في سبيل الله تعالى ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ وليس أثمن من هذا العمل في تاريخ الإنسان! لا أعني الجهاد الذين تختلط فيه الرايات، ولا

تستبين لصاحبها، كما يجري اليوم، وإنما أعني الجهاد الذي يبيِّن فيه كلَّ شيء، ويكون خالصاً لله تعالى.

٢ ـ عظم أجر المجاهدين وأصحاب الرايات في ساحات الجهاد ﴿لَّا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾.

٣ ـ كفى المجاهدون شرفاً أنهم يرسمون معاني البطولة والتضحية والعيش للآخرة ﴿لَّا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾.

٤ ـ إذا أردت أن تعرف قدر المجاهد في سبيل الله تعالى، فتأمل سفره ورحلته، وتركه لأهله، ووداعه لوطنه، وتضحيته بنفسه وماله من أجل الله تعالى ﴿لَّا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾.

٥ ـ إذا رأيت هؤلاء في ساحات الجهاد أدركت كيف أنّ الله تعالى بحكمته يُودِعُ في قلوب عباده ما يثير عزائمهم حتى تحمى حوزة الإسلام من مكر الإعداء ﴿لَّا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾.

٦ ـ حيَّ على الحريات التي يبسطها هؤلاء في كل مساحة من الأرض ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾.

٧ ـ ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ ولا يستوي في المقابل القاعدون عن الأفكار الناهضة، والمشاريع الحيَّةِ، وصناعةِ الأحلامِ، في مقابل القاعدين عن مثل هذه المعاني الكبار في واقع الحياة.

٨ ـ الحياة في سبيل الله تعالى كالموت في سبيله لا فرق، تلك تبقي الإسلام باسطاً ظلّه في الأرض، وهذه تجريه كالسحاب الممطر في واقع الحياة ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾.

٩ ـ جملةٌ مِنْ آلام الأمّة، وأوجاعها، وأمراضها، وهمومها من تلك الكثرة التي تضطجع على الأسرّة، ولم تجد لها موضعاً من الزحام ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾.

١٠ ـ واشوقاه لصاحبِ رايةٍ في ساحاتِ المعارك، وصاحبِ رايةٍ في ساحاتِ المشاريع ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾.

١١ ـ أبلغُ درسٍ في اغتيالِ الحريات منظر من هو مضطجع على سريره يكتفي بالفرجةِ على هموم أمّتِهِ ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ ثم يوزِّع انتقاداته على أعمال إخوانه والقائمين بفروضِ الكفايات.

١٢ ـ نجحَ العدُو حين حوّل مفاهيمَ الشرعِ الكبرى (كالجهاد) إلى ساحات اتهام ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ حتى باتَ ذكرُ الجهادِ في أيِّ مجتمع من مجتمعات المسلمين مغمزاً على صاحبه بسوء الأفكار.

١٣ ـ من أسوأ لحظات التاريخ أن تتحول مفاهيم الوحي وتصوراته في واقع المسلمين إلى ذنوب تستحق الاستغفار ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾.

١٤ ـ ساحات المفاهيم والأفكار والتصورات هي ساحات الجهاد الأولى، وإذا أصابها الظلام، فلن تتهيّأ للأمة مساحاتُ الجهاد في أرض المعارك ﴿لَّا يَسْتَوِى

ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾ ومن الحسبة الكبرى أن تحتسب على أمثال هؤلاء!

١٥ ـ لا قيمةَ للحياةِ دونَ دين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ آثروا البقاء على حســاب دينهم، فكان هذا السؤال والاستعتاب والجزاء.

إذا الإيمــان ضاعَ فــلا أماناً ولا دنيا لمن لــم يحيي دِيْنا

١٦ ـ أَسَــرَني لدرجةِ الولهِ حين دخلَ إلى فندق، فســأل الاســتقبال: أين أقرب مسجد؟ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ وكثيرون يسألون أول ما يدخلون عن مفتاح النت.

١٧ ـ تفقّد نفسك، وتحسَّسْ دينك، وأَدِرْ حســاباً عملياً على شعائر الله تعالى في واقعك لتعرف أيــن أنت من إدارة الأولويــات ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾.

١٨ ـ من الظلم أن ترضى بالعيش في أرض على حساب أكثر الأولويات في حياتك إثارة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾.

١٩ ـ إذا وقفتَ كل مشاريعك وهمومك وظروفك، وأحداث يومك من أجل دينك فهنيئاً لك، فقد أدركت من أين تلج أبواب الجنة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ

أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾.

٢٠ - ثمّة أناس لا يتخلَّفون إلَّا لعذر ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ يتخلَّفون عن جهاد السيف، وعن جهاد العلم والمشاريع، والأفكار الناهضة لعذر.

٢١ - اخرج من دوائر همومك، وتخلّص من ظروفك الشخصية، واستقبل الحياة ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾.

٢٢ - إذا حاصرك الضيقُ في مشروعٍ أو مساحةٍ أو جهةٍ أو تخصُّصٍ، فابحث عن غيرها تجد أفراح أيامك التي تريد ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾.

٢٣ - حين تموت في سبيل غايتك وفكرتك الناهضة، ومشروعك الكبير تموت في سبيل الله تعالى ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾.

٢٤ - يمكنك أن تخرج من المساحة الضيقة، والفكرة الصغيرة، والمشروع البسيط إلى صناعة الحياة ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾.

٢٥ ـ راع في سيرك هذا المقصد الكبير ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وقريباً ستعانق تلك النهايات التي تحلم بها ﴿يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾.

٢٦ ـ في كل مرة تخرج فيها من بيتك لفكرتك ومشـــروعك تحسَّسْ هذا المعنى ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وإلّا فلا مفـــروح منك بخطوة في سبيل تلك الغايات.

٢٧ ـ قبل أن تلبس ثوبك خارجاً إلى ساحات البناء، تحسَّسْ نيّتك وتعاهد قلبك، وتذكّر هذه الغاية المثيرة في مســـتقبل أيامك ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

٢٨ ـ الصلاة أعظم الأولويات في حياتك، فأَقِمْ لها راياتِ الجِدِّ والعملِ والمرابطة ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾.

٢٩ ـ اعرف عدوك، وأقم له لواء الجهادِ، وإيّاكَ والغفلةَ عن مواردِ الهلكة ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ
مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن
وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ
مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ
تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً
وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ
أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ
ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ
فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا
ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى
ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ
ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ
وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾
إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ
أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

التفسير

• ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ يا رسول الله ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ للصلاة، وطائفة تقف في مواجهة العدو ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ﴾ أي الطائفة المواجهة للعدو، والطائفة التي تصلّي معك ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ فيكونوا مستعدين للعدو ﴿فَإِذَا سَجَدُواْ﴾ فإذا سجدتْ الطائفةُ التي تصلي معك ﴿فَلْيَكُونُواْ﴾ أي الطائفة المواجهة للعدو ﴿مِن وَرَآئِكُمْ﴾ من خلفكم ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ﴾ ولتأت الطائفة الواقفة في مواجهة العدو ﴿فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾ ما تبقى من الصلاة ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ ليكونوا حذرين مستعدين ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ تمنّى الذين كفروا ﴿لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾ تسهون عنها ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾ فيقضون عليكم ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ لا إثم عليكم ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ بسبب المطر ﴿أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ حين ذلك ﴿أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تحملوها ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ مع ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ مخزياً مذلاً.

• ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ انتهيتم منها ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ أكثروا من ذكر الله تعالى حال قيامكم وقعودكم، ونومكم على جنوبكم ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ أمنتم العدو ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في وقتها تامة وبأركانها وافيةً ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ محدّداً بأوقات.

• ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ لا تضعفوا في طلبهم ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ﴾ من

القتال وما فيه من المشـقَّة ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ هم كذلك يعانون من المشقة نفسها.

• ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ ترجون ما عند الله تعالى من النعيم، وهم لا غايةَ لهم في شيء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بأحوال عباده ﴿حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ في تدبير أمرهم وشأنهم.

• ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القـرآن ﴿بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ بما ألهمك وعلَّمك ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ مدافعاً عنهم.

التدبر

١ ـ ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ رسالةٌ في بيان أكثر الأولويات عمقاً في حياةِ كلِّ إنسان.

٢ ـ أيّاً كان ظرفك الذي تعيشه، ومشـكلتك التي تواجهها، فأقم للصلاة شأنها، وفي وقتها، وإيّاك وساحات المتخلِّفين ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن

وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾.

٣ ـ إذا رأيتــه يصلّي في مزرعته القريبة من بيــوت الله تعالى، أو يصلّي في مقرّ عمله مع قربه من مشاهد الجماعة، أو يتخلّف عن الجماعة لأيّ قضية، فاقرأ عليه مشهد الجماعة في ساحات الجهاد ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾.

٤ ـ إذا وجــدتَ مَنْ يجادلُ في وجــوب صلاة الجماعة، أو يهوّن من شــأنها، أو يتخفَّفْ من مشــاهدها، فاقرأ عليه هذه الآيات، وقُصّ عليه فصول هذا المشــهد العظيم ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ والأصلُ أنّ صلاةَ الجماعة في المسجد.

٥ ـ توكّلك على ربك، واستعانتك به، وتوجّهك إليه، لا يمنع من الأخذ بالأسباب الكفيلة بالوقاية ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾.

٦ ـ التوكُّل الحقيقيُّ هو الذي يبذل فيه الإنسان كافَّةَ الأسبابِ الممكنةِ للوصول إلى الغايات التي يريدها، وما عدا ذلك فمجرد أوهام ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾.

٧ ـ الحياة معركة، وأقل ساحات هذه المعركة أَنْ تُدركَ أَنَّ لكَ عدوّاً يطاردك، ويتمنى لك الزوال ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾.

٨ ـ ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ رسالةٌ موجَّهةٌ لك، ولكلِّ فردٍ في أمتك، فما نصيبك منها؟!

٩ ـ إذا لم يكنْ لكَ مشروعٌ وفكرةٌ ناهضةٌ ورسالةٌ تخوض من خلالها رحلة البناء،

وإلّا سيظلّ هذا المفهوم ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴾ عارياً من حقيقته؛ وقد لا تجد له تطبيقاً واقعيّاً في حياتك.

١٠ ـ كلّ الانتصارات التي يحقّقها العدو في أرضك مليئة بالجراح والمشاق والتعبِ، فلا تكلَّ من مواجهته، فقد يأتي زمانٌ يولّي فيه الأدبار ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾.

١١ ـ إذا أردت أن تعرف هذا المعنى ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ فانظر إلى أرضِ فلسطين رغم كل ما يملك العدو يقفُ عاجزاً عن مواجهةِ شعبٍ أعزلَ إلّا من التوفيق وعزائم الرجال.

١٢ ـ كلُّ جراحك وجهدك وتعب قلبك وحسرات أيامك وفوات رفقتك وإخوانك، وذهاب مالك مخلوفٌ بهذا المعنى البهيج ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾.

١٣ ـ لا تتوقَّفْ همومُكَ عن مشروعك، فعدوك كَلَّ من طولِ صبرك ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾.

١٤ ـ ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ سلوى للمجهدين والمتعبين والمنهكين من مناوأةِ العدوِّ في كلِّ أرضٍ ومساحةٍ وساحاتِ شَرَفٍ وثغرٍ من ثغور المسلمين.

١٥ ـ القرآن أعظم مِنَن الله تعالى على هذه الأمة ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ

لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ كتابٌ يغطِّي كلَّ احتياجاتِ هذا الإنسانِ، ويلبِّي فطرته، ويأتي على ما يريد.

١٦ ـ الوقوفُ مع الخونةِ والظلمةِ، والمنافقينَ ذنبٌ يحتاج إلى استغفار ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ ﴾.

١٧ ـ حتّى الرسل والأنبياء يقع منهم تقصير ما، ويحتاجون للاستغفار والاستعتاب ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ ولو ظفر منك الشيطانُ بساحةِ يأسٍ فقد ظفر منك بالكثير.

❀ ❀ ❀

وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ
عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ
عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ
سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا
ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن
يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن
شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا
لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

التفسير

- ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ من تقصيرك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ بالمؤمنين.

- ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ﴾ لا تحاجج وتخاصم ﴿عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يخونون أنفسهم بالمعصية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾ كثير الخيانة والإثم ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يستترون منهم ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ ولا يستترون من ربّهم تعالى ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ في كلّ وقت ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يدبِّرون ليلاً ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ فيقولون قولاً لا يرضاه تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ لا يخفى عليه من فعلهم شيء.

- ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ هب أنكم ﴿جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فنفعهم ذلك ﴿فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مَنْ يتولّى الدفاع عنهم في ذلك اليوم ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾ فيتولّى أمرهم، ويجادلُ عنهم.

- ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾ قبيحاً ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ بالمعاصي ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ من سوئه وظلمه ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا﴾ لخطيئته ﴿رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ به.

- ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ معصية ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ لا يتحمله غيره ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بأحوال العباد ﴿حَكِيمًا ﴿١١١﴾﴾ في تدبير أمرهم وشأنهم.

- ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾ ذنباً كبيراً أو صغيراً ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ﴾ يتهم بذنبه ﴿بَرِيٓـًٔا﴾ لا علاقة له بذلك ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا﴾ كذباً وزوراً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾ أي واضحاً بيّناً.

• ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ فعصمك ورحمك ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ عن الحق ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ ضلالهم عليهم ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ﴾ فلا يصل إليك من ضرِّهم شيء ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ السنَّة ﴿وَعَلَّمَكَ﴾ من الهدى والنور ﴿مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ من قبل ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ كبيراً.

التدبر

١ ـ الإسلام لا يعرف التعقيد، تخطئ ثم تؤوب إلى ربك، فيقبلك من جديد ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾.

٢ ـ أيّاً كان ذنبك وجريمتك، وساعات الفشل والإخفاق التي تعرَّضت لها، فلا تقعد شاكياً في قارعة الطريق، بل اقرأ عليها حادي الأمان ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾.

٣ ـ يحارب الإسلام المجادلَةَ مع الخونة وأصحاب الباطل والمنكرات ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾ حتى يقامَ الحقُّ، ويُعْرَفَ المخطئون، والخائضون في رحابه، وتقامَ حدود الله تعالى.

٤ ـ ليتهم جادلوا عنهم لدين ودافعوا عنهم لأيام الحساب ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾.

٥ ـ زكّوهم، ودفعوا بهم إلى مساحاتٍ مؤثِّرةٍ في الأمة، وفي النهاية وقفوا يصدّون عن طريق للإسلام ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾.

٦ ـ وصلوا إلى ما أرادوا، فما يصنعون في مواقف العَرَصات في ذلك اليوم ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾.

٧ ـ حين نعظِّم المخلوقين، ونقف إجلالاً لهم، ونستخفي منهم قدر وسعنا، يقوم الرياء شاخصاً على أنقاض التوحيد ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾.

٨ ـ مَنْ كان يتوقع أن تكونَ اللحظة التي تُحْكِمُ فيها باب بيتك على ولدك هي اللحظة التي يفتح فيها أبواب العالم، ويرى مساحات الغرب بما فيها من سقوط وخذلان ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾.

٩ ـ حتى لو وضعت برامج حماية، وصناديق مراقبة، وأجهزة تصوير، وحرساً على أبواب الخروج لن تستطيع أن تواجه طغيان الشهوات المثيرة في وسائل الإعلام إلّا من خلال ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾.

١٠ ـ كلّما تطاول بنا زمان الماديات احتجنا إلى إعادة تأهيل نفوسنا في قيم المراقبة من جديد ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾.

١١ ـ في مثل زمانك لا يجدي في تربية ذاتك وولدك وزوجك وأسرتك شيء مثل ما يجدي تعظيم شعائر الله تعالى ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾.

١٢ ـ أعلن الآباء والمربّون والمؤسسات إفلاسهم من مشروعٍ يواجه طغيان الشهوات إلّا بإحياء مشاريع رقابة الله في نفوس العالمين ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾.

١٣ ـ بات من الضرورة إعادة النظر في البرامج التربوية، وصنع برامج قادرة على اقتحام القلوب، والتأثير فيها بأوسع ما يكون ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾.

١٤ ـ أقم شأن شعائر الله تعالى في قلوبهم، ثم دعهم يسيحون في الأرض حيث يشاؤون ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾.

١٥ ـ ما رأيت أثراً يكوي القلوب ويدميها ويجعلها في تيه الهوى مثل ذنوب الخلوات ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ ولا رأيت في المقابل عملاً يثري ساحات التوفيق في حياة إنسان مثل الأعمال الصالحة في الخلوات.

١٦ ـ كم من كلمةٍ أو خاطرةٍ أو حرفٍ أو خيانةِ عينٍ سَرَتْ على صاحبها في الخلوة بالخذلان ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾.

١٧ ـ ما زالت الفرص تهتف بالمخطئين والمذنبين والمخفقين، وتتعرّض لهم كلّ حين ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾.

١٨ ـ نعتدي على حرمات الله تعالى، ونخوض في رحاب الظلم، ويدعونا تعالى للتوبة، ويعدنا بغفران تلك السيئات ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ ما أحلم الله!

١٩ ـ هل رأيتَ رحمةً أوسَعَ من رحمةِ ربِّك! ومغفرةً أبهَجَ مِنْ مغفرته! تعمل سوءاً، وتقع في الظلم، ويدعوك للاستعتاب وغفران الذنوب ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾.

٢٠ ـ كلّ ما يصنع الإنسان من ظلمٍ وجورٍ سيؤول في النهاية إلى أحمال على ظهره ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾.

٢١ ـ يشبع شهوته لدرجة الثمالة ظلماً وزوراً، ثم يدفع بها على ظهور الآخرين بهتاناً وزوراً، تلك قواصم النهايات ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾.

٢٢ ـ كم في ساحات الدنيا من مظلوم ينتظر ذلك اليوم ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾.

٢٣ ـ أقبل على ربّك، وتعلّق به، ولُذْ بجنابه، واجتهد في تعظيم شعائره لتكونَ حصناً واقياً لك من الضلال ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾.

٢٤ ـ هذه الخيرات الممتدة في ساحاتك إنما هي آثار فضل الله تعالى عليك ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾.

٢٥ ـ من حَقِّ طلّابِ العلمِ أَنْ يشدوا فرحاً بهذا المعنى البهيج ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ يمتنُّ الله تعالى على نبيه ﷺ بالعلم، فكيف لا يمتَنُّ به إنسان على نفسه!

٢٦ ـ الفكاك من الجهل والخروج من تبعاته من أعظم نعم الله تعالى على صاحبها ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

❀ ❀ ❀

۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ
مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ
ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن
يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ
سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ
مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا
﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ
إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ
عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ
وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ
فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن
دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾
يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

التفسير

• ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ لا خيرَ في كثيرٍ ممَّا يتناجى ويتخاطب به الناس فيما بينهم ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ من مالٍ ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ من علم أو إحسان إلى الناس ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ بين المتنازعين والمختلفين ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ ما ذكر ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ يرجو بها وجه الله تعالى ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ ثواباً جزيلاً.

• ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ يخالفه ويعانده ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ الحق ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ طريقاً غير طريقهم في الإيمان والعمل الصالح ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ نتركه وما اختار لنفسه، ولا نوفقه إلى خير ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾ فنذيقه حرَّها ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ وما أسوأها عاقبة.

• ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ فذنب الشرك غير قابلٍ للغفران، وصاحبه مخلَّدٌ في النار ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ ما قل من ذلك من المعاصي ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ لمن شاء أن يغفر له، ومن شاء أن يعذِّبَهُ عَذَّبه ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ فقد بلغ غاية الضلال.

• ﴿إِن يَدْعُونَ﴾ المشركون ﴿مِن دُونِهِ﴾ من دون الله تعالى ﴿إِلَّا إِنَاثًا﴾ أصناماً لها أسماء مؤنثة، كاللات والعزى ومناة ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾ متمرِّداً في الغيِّ والفساد.

• ﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ طرده، وأبعده من رحمة الله تعالى ﴿وَقَالَ﴾ الشيطان: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ جزءاً معلوماً.

• ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الصراط المستقيم ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ الأماني الباطلة ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾ يُقَطِّعُنَّ ﴿ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ لتحريم ما أحل الله تعالى؛ أو تحليل ما حرَّم الله تعالى ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ الفطرة التي فطر الله تعالى عليها الناس من تغيير التوحيد إلى الشرك، وتغيير الخلقة الظاهرة بالوشم والنمش والنمص، ونحو ذلك ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ باتباعه وامتثال أمره ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ بلغ غاية الخسران.

• ﴿يَعِدُهُمْ﴾ الشيطان بالوعود الفارغة ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ بالأماني الباطلة ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ إلَّا بأشياء تغرُّهم عن الدار الآخرة.

• ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ هي مستقرُّهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ محيداً ومهرباً.

التَّدَبُّرُ

١ـ ما أكثر الأحاديث التي تُدار في واقع الكثيرين، ولا يترتّب عليها في النهاية شيء من المصالح ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ بل هي في النهاية الطريق الأوسع إلى موبقات الذنوب.

٢ـ من كمال عقل الإنسان توظيف مجالسه ولقاءاته وأحاديثه، في مصالح دينه ودنياه ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾.

٣ ـ من بركـــةِ المجالِسِ أَنْ تحوّل هذا الفراغ الـــذي يكتنفها إلى مجالس واعية وفاعلة ومؤثّرة في واقعها ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾.

٤ ـ هذه الأعمال الثلاثة ﴿بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ من أعظم الأعمال، وأكثرها بركةً في حياةِ صاحبها، وكلّ عمل يتعدّى نفســه، فالأصل أنه أبلغ في أجر صاحبه.

٥ ـ العطاء أجمل أخلاق الإنسان وأكثرها توسيعاً لمساحات الربيع في واقعها ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾.

٦ ـ أثر الإخـــلاص فيما يجري من الأعمـــال ذات النفـــع المتعدي ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾.

٧ ـ كم مِنْ جهدٍ يبذله صاحبه في مشـــاريع عامّة، ويذهب عمره فيها، ثم تذهبُ سدًى لا قيمةَ لها بفواتِ الإخلاصِ منها ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾.

٨ ـ يا قوم! قاوموا هذا الزحف الإعلامي الكبير، لتَظْهَرَ أعمالكم بنوايا صالحة، حتى تكتب لكم أثر هذه الأعمال وتحفظها من الضياع ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾.

٩ - ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ضع هذا المعنى أمام عينك في كلِّ عملٍ تقوم به وترجو به ما عند الله تعالى يوم الحساب.

١٠ - لو فَقِهَ قارئ هذا المعنى ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لتحوّلت هذه الثلاثة في حياته إلى مشاريع عمر يبذل لها، وفيها كل شيء.

١١ - مساكين أولئك الذين يقفون في وجه هذه الشريعة، ويشكِّكون في مباهج الوحي ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ هذه خواتيم السوء في انتظارهم.

١٢ - لو لم يكن للمعارضين للوحي، والمشكِّكين فيه، والواقفين أمام مباهجه إلّا هذا المعنى، لكان كافياً في الجزاء ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾.

١٣ - إذا رأيته هائماً على وجهه، لا تنفع فيه الحجج شيئاً، ولا يستفيدُ من وعظٍ، فاعلم أنه قد طافَ به طائفٌ من الشيطان صرفه عن رحاب هذا المعنى الكبير ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾.

١٤ - ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ هذه الآية تعني هؤلاء الذين يشكِّكون في الوحي، ويعترضون على أحاديث السنة، ويشكِّكون في صحّتها، ويبعثون متشابهها في حياة المسلمين.

١٦ ـ سيِّئة الشرك أعظم سيئة في الأرض؛ وصاحبها غيرُ مغفورِ الذنبِ، وخالدٌ في نارِ جهنَّمَ أبدَ الآبدين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾.

١٧ ـ التوحيد أعظم أولوية في شرع الله تعالى، وأخصُّها بالعنايةِ والاهتمام، وإذا ضاعتْ ضاعَ مِنْ صاحبها كلُّ شيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾.

١٨ ـ لا أعلم ضياعاً بلغه إنسان اليوم ما بلغه إنسان هذه الحضارة، يعرفُ كلَّ شيءٍ، ولا يعرفُ من التوحيد شيئاً فماذا بقي له؟! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾.

١٩ ـ يا لخسارة كثيرين، يلعنُ اللهُ تعالى عدوَّهم، ويعقدون معه في اليوم الواحد عشرات الصفقات ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾.

٢٠ ـ نتحدّث عن كثيرٍ من المعارك التي تدار في واقعنا، ونبحث عن الخلاص فيها، ويفوتنا الحديث عن المعركة الكبرى معركة الشيطان معنا كل حين ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾.

٢١ ـ من ضروريِّ العلمِ البحثُ في تفاصيل هذه المعركة، وكيفية الانتصار فيها، أو الخروج منها بأقل الخسائر ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾.

٢٢ ـ توعُّدُ الشيطانِ بالإضلال لعباد الله تعالى يأتي من خلال الأماني الفارغة، وسنِّ تشريعاتٍ لا علاقةَ لها بدينِ اللهِ تعالى ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾.

٢٣ ـ ما أكثر الأماني التي بنى لها الشيطان صرحاً، ثم تهاوت في النهاية إلى غير شيء ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾.

٢٤ ـ هذه هي نهاية وعود عدوِّك في الختام ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ
ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ
وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ
وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ وَمَن
يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ
فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ وَمَنۡ
أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ
مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ
فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ
ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ
وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ
بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾

التفسير

• ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله تعالى ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ لا يخرجون منها ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ صدقاً ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ لا أحدَ أصدق من الله تعالى قولاً.

• ﴿لَّيْسَ﴾ دخول الجنة والفوز والنجاة في ذلك اليوم ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مجرَّد أماني لا واقعَ لها من العمل ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ يحاسب به ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ يتولاه ﴿وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ يدفع عنه عذاب الله تعالى.

• ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ التي تقرِّبُهُ إلى الله تعالى ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ أيـاً كان ذكراً أو أنثى ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ وكان مؤمناً ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين يجمعون بين الإيمان والعمل الصالح ﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ يوم القيامة ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ ولا يُنْقَصُون شيئاً من أجرهم، ولو كان حقيراً يسيراً، مثل النقرة التي في ظهر النواة.

• ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾ فلا أحدَ أحسنُ ديناً ﴿مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ مخلصاً مستسلماً له باطناً وظاهراً ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ متَّبعٌ لشريعة الله تعالى، قائمٌ بحقوقها ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ ملة إبراهيم وشرعه ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الشرك إلى التوحيد ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ صفيّاً.

• ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وتدبيراً ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ لا يغيب عن علمه شيء.

• ﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ﴾ يسألونك عمّا يتعلّق بهن من أحكام ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ ﴾ يبيِّنُ لكم حكم ما سألتم عنه ﴿وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ ويفتيكم بما يتلى عليكم في الكتاب في شأن اليتامى من النساء ﴿ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ﴾ من حقوق ﴿وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ ترغبون في نكاحهن، ولا تعطوهنّ مهورهنّ كبقية النساء، أو ترغبون عن نكاحهن، ولا تتركوهنّ يتزوجن رغبة في أموالهن ﴿وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ ﴾ ويفتيكم في المستضعفين من الولدان الصغار أن تعطوهم حقوقهم وافية كاملة ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ بالعدل في حفظ أموالهم، والقيام عليها بالعدل ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ ﴾ لهؤلاء ولغيرهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ١٢٧﴾ يعلمه، ويجزي عليه أعظم الجزاء.

١ ـ إذا تعبتَ في الطريق، وكَلَّ جهدك، وضعفتْ عزيمتك، فاقرأ عليها هذا الحادي المثير ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾.

٢ ـ العملُ وحده هو الذي يصنعُ كلَّ شيء ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾ وما عدا ذلك، فمجرَّد أماني لا قيمةَ لها في واقعِ الإنسان!

٣ ـ يتمنَّون الفردوس، ويتخلَّفون عن كلِّ فضيلة، شتَّان ما بين المسافتين ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾.

٤ ـ أعجب ما رأيت مَنْ يتعمّد التخلّف عن موارد التوفيق، ثم يرفع يديه يسألُ الله تعالى الفردوس ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ قيل له يوماً: إن الله تعالى أرحمُ بكَ مِنْ نفسك فزاده ذلك تخلُّفاً.

أوردَها سعدٌ وسعدٌ مشتمِلْ ما هكذا يا سعــد تُورَدُ الإبلْ

٥ ـ أيّاً كانت خطيئتك، وسوء عملك، وجريرة زمانك، ستأتي شاهدة عليك في يوم الحساب ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾.

٦ ـ الذين دعوكَ للسفر معهم، أو أشركوك في خطايا واقعهم، أو دعوكَ لليلةٍ تخالفُ منهجَ الحقّ، أو صنعوا لك قربة باطل: لن يغنوا عنك من الله تعالى شيئاً ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾.

٧ ـ كلّ مشاهد الفرح التي عشتها إذا لم تكن على طريق الحقّ، فهي تحتاجُ منك إلى جواب يصلح للاعتذار ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾.

٨ ـ في أصــل الإيمان لا فرقَ بيــنَ الرجل والمرأة، وإنّما الفــرق في التكاليف والتشريعــات ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾.

٩ ـ لا فرقَ بين الرجل والمرأة في المســافة المقطوعة باتجاه النهاية ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾.

١٠ ـ كلُّ الأحلام متاحةٌ للمرأة، ولها أَنْ تصعدَ إلى المكان الذي تشاء من درجات الجنان في ذلك اليوم ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾.

١١ ـ الإسلام هو الدين الحقُّ، وما عـداه باطلٌ لا قيمةَ له ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾.

١٢ ـ الإخلاص كل شـيء، وما عداه، فهو ضياع ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾.

١٣ ـ كم من غريقٍ في وحلِ الضياعِ في صـورةِ صانعِ أحلامِ الأمَّةِ، ومنقذِها مِنَ الضياعِ! ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ كان يجتهد في الصـورة والظاهر، ويريد ما عند الناس، فلمّا ورد على الله تعالى يوم الدين لم يجد إلَّا الخسران المبين.

١٤ ـ لِمَ اتَّخذَ الله تعالـى إبراهيم خليلاً من بيـن الخلق؟! ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ لِمَ إبراهيم بالذات؟! إذا أردت أن تعرف هذه الحقيقة فاقرأ سيرته ﷺ، وتأمَّل قبل ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٠].

١٥ ـ ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾ كم نحن بحاجة إلى إعادة قراءة هذا المعنى في حياتنا من جديد!

١٦ ـ الذي يعطي ويمنع، ويهب ويأخذ، ويرزق ويضيّق، وكل شـيء يجري في ملكه كيف يشاء هو الله ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾ من فَقِهَ هذا المعنى عاش أبهج ما يكون!

١٧ ـ ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾ لو قام هذا المعنى في قلوبنا لزهدنا في مديح الناس وثنائهم وشكرهم وتقديرهم، إذا أراد الله تعالى شـيئاً أجراه على قلوب الخلق، وعلى ألسنتهم، وإذا لم يكتب الله تعالى لك من ذلك شيئاً لم يجد الناس ما يستحق الثناء.

١٨ ـ لا تقلق على تأخر راتبك، أو ذهاب رزقك، أو حدوث عثرة في طريق أحلامك، أو مشكلة عارضة في مشروعك، فللّه كلُّ شيء ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾.

١٩ ـ كلّ ما يحدث في الدنيا هو فرع عن هذا المعنى الكبير ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾.

٢٠ ـ من جمال الإسلام أنه يؤكّد على رعاية حقوق الضعفاء، ويرعى شؤونهم، ويحذّر من التفريط في حقوقهم ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾ وفي السُّنَّة **«إني أحرّج عليكم حق الضعيفين اليتيم والمرأة»**[1].

٢١ ـ تفقّد من ولّاك الله تعالى أمرهم، وجعلهم تحت رعايتك من نساء أو عمال أو أيتام أو مسنِّين، وإيّاك أن تخالف وصيَّة الله تعالى فيهم ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾.

٢٢ ـ ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ أيّاً كان هذا الخير مالاً أو كلمةً طيبةً أو معونةَ محتاجٍ، أو كفالةَ يتيمٍ أو مسكينٍ، أو عونَ إنسانٍ في عرض الطريق!

(١) حديث أخرجه ابن ماجه وابن حبان.

٢٣ ـ ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴾ حتّى تقبيلك يدي والديك، وعناقك الصادق لصاحبك، وتنازلك عن دورك، والتخلي عن حقك ووقتك.

٢٤ ـ ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴾ ضعها حادياً أمام عينك في كل شيء تعينك على تحمُّل المشاق، وتشرق بك إلى عالم الأفراح.

❀ ❀ ❀

وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ
ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ
بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ
فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا
مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ
مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ﴿١٣١﴾
وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾
إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ
ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿١٣٤﴾

التفسير

• ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا﴾ أي ترفعاً عنها ﴿أَوۡ إِعۡرَاضًا﴾ وعدم رغبة فيها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًا﴾ بإسقاط بعض الواجب لها من النفقة والقسم ونحو ذلك ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌ﴾ من الاختلاف والفرقة ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ جُبلت على الشح والبخل، فلا ترغب في التنازل عما لها من حق ﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ﴾ عشرة النساء ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الله تعالى في ذلك ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ لا يغيب عنه شيء من أموركم.

• ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ في المحبةِ والميلِ، والداعي إلى كلِّ واحدةٍ منهن ﴿وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡ﴾ على العدل المطلق فلا سبيل إليه، وذلك لما جبلت عليه النفوس من ميلٍ وهوًى لا حيلة في دفعه ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ﴾ عن إحداهن إلى الأخرى ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِ﴾ كالتي ليست بذات زوجٍ ولا مطلقة ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ﴾ ما بينكم وبين نسائكم ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ ربَّكم في أفعالكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ بالمؤمنين.

• ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ الزوج والزوجة عن بعضهما بطلاقٍ أو خُلعٍ ﴿يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلًّا﴾ من الزوجين ﴿مِّن سَعَتِهِۦ﴾ من فضله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾ في فضله ورزقه ورحمته ﴿حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ في تدبير خلقه وأمره.

• ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ملكاً وتدبيراً ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ عهدنا إليهم وأمرناهم ﴿وَإِيَّاكُمۡ﴾ كما عهدنا إليكم وأمرناكم ﴿أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله تعالى وقاية

بفعلِ أوامرِهِ، واجتنـابِ نواهيه ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ﴾ بالله تعالى ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ملكاً وتدبيراً ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن جميعِ خلقِهِ ﴿حَمِيدٗا ١٣١﴾ محموداً على نعمه.

• ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ملكـاً وتدبيراً ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ١٣٢﴾ دافعاً ومجيراً.

• ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يميتكـم ﴿وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ غيركـم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ١٣٣﴾ لا يعجزه شيء.

• ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾ متاعها القريب ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا﴾ فلو أخلص عمله لنال الثوابين ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا﴾ للأقوال ﴿بَصِيرٗا ١٣٤﴾ بالأفعال.

التَّدَبُّر

١ ـ إدارة الخلافات في بيت الزوجية فَنٌّ يحتاج إلى فِقْهٍ بالحياةِ، وفِقْهٍ في الوقت ذاته بصاحـب القـرار ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨﴾.

٢ ـ (واجب الوقت) ضرورة يجب أن نعيها في مواقف الحياة حتى نحصل على ما نريد ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨﴾ إذا بلغ النزاع ذروته، فالتنازل فيما لا يعارض الشريعة هو واجب الوقت مهما كان يحمل من تكاليف!

٣ ـ مهما بلغ خلاف الزوجية، فالاجتماع والبقاء في كنف ذلك البيت أولى من التفرق والنزاع والشتات ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾.

٤ ـ التنازل في بعض المواقف هو القرار الأصح والموقف الشجاع ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾.

٥ ـ إدارة الأولويات ضرورة في دين الله تعالى، فأولوية الاجتماع والبقاء في بيت الزوجية، وأولى تحقيق مطالـب عقد الزوجية كلّها ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾.

٦ ـ (فقه الممكن) درسٌ مهمٌ في إدارة مشاريعنا وبيوتنا وشؤوننا الخاصة والعامة ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾.

٧ ـ ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ ليس رأياً لفلان أو فكرةً لآخر، بل منهج اللطيف الخبير، فلا تبرحه وإن رأيت زينة الحياة في خلافه.

٨ ـ ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ حتى لو جار على أرضك ومالك ومشاعرك!

٩ ـ ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ هذا قول الله تعالى لك، وغيره من أحاديث الشياطين.

١٠ ـ ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ وفي فواته الشرُّ والنزاعُ والخلافُ، وفي مرّات كثيرة القتل.

١١ ـ لا تستغرب أيّها المصلح من ذلك التشاح والخصام، والنزاع على التوافه بين زوجين، فذلك جزء من تكوين الإنسان ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ ولا يترفع عن تلك المواقف إلّا كبير!

١٢ ـ الفراق مؤلمٌ أيّاً كانتْ صورته، وإدارةُ النزاعِ والتنازلُ عن بعضِ الحقوقِ مقابلَ البقاءِ والاجتماعِ توفيقٌ يحتاج إلى حسن رعاية ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾.

١٣ ـ التنازل عن بعض حقوقك، والإحسان إلى زوجك مكارم قد تزفّ لك الخيرات، فإياك والتفريط ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾.

١٤ ـ كلّ ما يدار في الصلحِ من الزوجين، أو الأولياء أو المصلحين فالله تعالى يرعاه ويرقبه، ويثيبُ عليه، أو يحاسبُ صاحبه ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾.

١٥ ـ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا﴾ حتى في نيّتك التي تختلج في قلبك!

١٦ ـ ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡ﴾ رسالةُ عزاءٍ للمجهدين والمتعبين والمثخنين بجراح التعدُّدِ وصراعِ النساء.. مهما بلغ حرصكم، فلن تبلغوا تلك الغايات التي ترجونها.

١٧ ـ من جمال الشريعة أنها ترعى مشاعرك ووجدانك ورغباتك، وتقدّر عواطفك، وتسلّيك عن عتبى القلوب ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡ﴾.

١٨ ـ إيّاك أن تحاول الانتقام من أثرِ ذلكَ الصراعِ، فتلقي تلك المرأةَ في عالم النسيان، فليس ذلك من المعروف في شيء ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩﴾ إمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسان!

١٩ ـ حتى وإن لم تجد لها في قلبك وحبك ومشاعرك ووجدانك شيئاً ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِ﴾.

٢٠ ـ حاول أن تهب من قلبك ومشاعرِ وجدانِكَ وشيءٍ من مالك وبعضِ وقتِكَ فتلك وصية الله تعالى لك ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِ﴾.

٢١ ـ أيُّها الزوج مهما صنعت تلك المرأة في حقِّكَ، فإيّاكَ أن ترميها في مقابر الموتى، وقد بقي لها شيء في الحياة ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِ﴾.

٢٢ ـ التقوى هي السياج الذي يحمي كثيراً من التشوهات ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩﴾.

٢٣ ـ ما حضرت التقوى في خلق إلّا أصلحته، ولا تخلَّفَتْ عنه في مساحةٍ إلّا ساء ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩﴾.

٢٤ ـ إذا زادت التقوى في قلبِ إنسانٍ عادت عليه في نفسِهِ وبيتِهِ وعمَلِهِ وواقعِهِ بالتوفيق ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾.

٢٥ ـ إذا لم تُجْدِ كل الحلول، ولم تنفع كل المحاولات، وكان الطلاق هو القرار الأسلم والأصوب، ففي تلك اللحظة قد يكون القادم أبهج لكلا الزوجين ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾.

٢٦ ـ لا تيأس مهما كانت آثار الطلاق في نفسك ومشاعرك وواقعك ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾.

٢٧ ـ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ عزاءٌ لكلِّ المجروحين من أثر تلك الكلمة، والمثخنين من جراحها، والمجهدين من واقعها.

٢٨ ـ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ لا تستعجل على هذه الأحلام، فهي في الطريق إليك، وإن طالت مسافتها.

٢٩ ـ يحزنون ويتعبون ويجهدون، وتضيق عليهم كل الأبواب، ولو تدبروا هذا المعنى ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ لعاشوا سعداء مبتهجين.

٣٠ ـ التقوى وصية الله تعالى للأولين والآخرين ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾ ومن عرف ذلك الطريق أدركَ معنى هذه الوصية الكبرى في حياته.

٣١ ـ عوائد التقوى لذات الإنسان؛ وليس لله تعالى منها شيء ﴿وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾.

٣٢ ـ الذين رفضوا منهج الله تعالى، وأعرضوا عن الطريق، لم يضرُّوا إلَّا أنفسهم، وليس على الله تعالى من ذلك شيء ﴿وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾.

❀ ❀ ❀

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ
وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا
أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن
تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ
بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ
ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ
عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى
ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

التفسير

• ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾ قائمين في كل أحوالكم ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ مراقبين له، طالبين مرضاته ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ ولو كان الحق عليكم ﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ أو على والديكم ﴿وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ أو على أقاربكم ﴿إِن يَكُنْ﴾ المشهود لـه أو عليه ﴿غَنِيًّا﴾ فلا يُحابى لغناه ﴿أَوْ فَقِيرًا﴾ فلا يُحابى لفقـره ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ بالغني والفقير ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾ فلا تتّبعوا شهوات أنفسكم في الحكم، وتتركوا العدل ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ﴾ تُحرّفوا الشهادة بألسـنتكم ﴿أَوْ تُعْرِضُواْ﴾ تتركوا الشهـادة، وتعرضوا عنهـا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ لا يغيبُ عنه شيءٌ من عملكم.

• ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ اثبتوا علـى إيمانكم، وداوموا عليه ﴿وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ وآمنـوا بالقرآن ﴿وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ وآمنوا بكل كتاب نزل على رسل الله تعالى ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ فلا ضلالَ أبعدُ مِنْ هذا الضلال ولا أسوأ منه.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أولاً ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بعـد ذلـك ﴿ثُمَّ ءَامَنُواْ﴾ عـادوا للإيمان ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بعد ذلك ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾ على كفرهم ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ كفرهم ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾ ولا يدلّهم إلى الحق.

• ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ وهم كلُّ مَنْ أظهرَ الإسلامَ وأبطنَ الكفر ﴿بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ شديداً.

- ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يوالونهم على كفرهم ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ أيرجونَ بهذه الموالاة القوّةَ والغلبة؟ ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ القوّة والغلبة كلّها لله تعالى.

- ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ بيّن لكم في القرآن ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ يستهان بها في مجلسٍ من المجالس ﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾ بل قوموا عنهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ في غير الاستهزاء بآيات الله تعالى ﴿إِنَّكُمْ﴾ إن جلستم معهم، ولم تنكروا عليهم ﴿إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ مستهزئون كافرون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ يوم القيامة.

التدبّر

١ ـ الالتزام بالمنهج الصالح لبناء الدنيا من أخلاق المسلم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ وإذا أجرى الإنسانُ العدلَ في التعاملِ حتى مع أقرب الناسِ إليه، ولم يحابِ في ذلك مخلوقاً مهما بلغت قرابته، أوشكت الأمّةُ على تحقيق غاياتها الكبرى.

٢ ـ حين يرتفع معدل الإيمان، وتزداد التقوى في قلب إنسان، تتجلّى معاني الإسلام في واقع الحياة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾.

٣ ـ شـــهادتك لأقاربك، ومنحهم حقوقاً ليســـت لهم، وإنْ حقَّـقَ لهم مكاسبَ عاجلةً، إلَّا أنه يلقي بك وبهم في هاوية الضياع ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾﴾.

٤ ـ فقر القرابة وضعفهم وظروفهم أو غناهـــم لا يمنحنا الحقَّ للدفاع عنهم بغير حق ﴿إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَا﴾.

٥ ـ حتى لو كانوا فقراء أو ضعفاء أو لا يملكون شيئاً من عَرض الحياة لا يُعَدُّ ذلك مسوغاً لمحاباتهم على حساب الآخرين ﴿إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَا﴾.

٦ ـ من أكبر أسباب الضياع التي تواجـــه الخلق في حياتهم تقديم الهوى في كل ما يعرض لهم من ظروف ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾.

٧ ـ أيُّ طريـــقٍ يمنحُ هؤلاء الأقارب حقوقاً ليســـت لهـــم، أو يدافعُ عنهم في مواقفِ العدالةِ بغيرِ حقٍّ، فهو يجري في علم الله تعالى وقدره، ولا يفوت عليه من ذلك شيء ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾.

٨ ـ الإسلام الحق لا يقف مع الإنسان لقرابته أو ضعفه وقوته، وإنما يقف لتحقيق معاني الإسلام وقيمه التي جـــاء بتأصيلها وبلوغها غاياتها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾﴾.

٩ ـ انتصار القيم والمبادئ والمعاني التي جاء بتأصيلها الإسلام على الأهواء هو الانتصار الكبير الذي ينشده الإسلام في واقع الحياة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾.

١٠ ـ الاستمرار والثبات علـى الطريق مُكْلِفٌ يحتاج إلـى تضحيات من العمل والصبر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾.

١١ ـ الذيـن يعرضون عن الله تعالـى، ويتولّون عنه بعد كل الأدلـة الكافية على وضوح منهجـه، فقد بلغـوا غاية الضـلال ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾.

١٢ ـ التردُّد والتقلّب وضعف الاستمرار على الحق دليلُ فوضى عارمة في المنهج والسلوك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾.

١٣ ـ غالباً ما يكون هذا التردُّد والضعف في التمسـك بالحق ناشـئاً عن مرض القلب وفساده ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾.

١٤ ـ النفاق أكثر الأمراض خطورة في جسـد الأمة ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ هذه البشارة نوع مـن التهكّم بما صنعوه في تاريخ الإسلام من آلام!

١٥ ـ من علامات المنافق أنه يوالي الكافر، ويدافع عنه، ويتخذه خليلاً ولو على حساب أصحاب الجسد الواحد ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ وهذا التاريخ لا تحتاج أن تقرأه في سجلات السابقين بل يكفي أن تحل بالمسلمين نكبة فترى صوراً من ذلك تترى أمام عينيك.

١٦ ـ خلل المنهج يبعثر جهود الإنسان إلى أبعد درجة ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

١٧ ـ الذين يتسوّلون العزّة من غير مكانها يموتون جوعى في طرق المهانة ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

١٨ ـ كلُّ فكرةٍ أو منهجٍ أو عقيدةٍ أو اجتماعٍ لا تأخذ صلتها من منهج الله تعالى، فهي لا تعدو أن تكون صورةً لا واقعَ لها ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

١٩ ـ العزّة بدين الله تعالى تفرض على صاحبها ألا يبقى في مكان تُمْتَهَنُ فيه الشريعة، ويجترئ مخلوق على مُحْكَمَاتِ الوحي ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾.

٢٠ ـ حين يستطيع الباطل أن يتوسع في مكان على حساب قيم الإسلام ومنهجه ورسالته، فذلك أعظم دليل على أنّ ذلك المكان فارغ من الكبار ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾.

٢١ ـ ثمّة خيارات في كلّ مسألة تواجهها في الحياة ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ

يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ هذا الخروج أحد هذه الخيارات، وإيقاف زحف الباطل بالطرق المشروعه هو الخيار الأول.

٢٢ - إذا رأيتهم يديرون الباطل، ويوسّعون مساحته رغم وجودك، فعليك أن تعيد تأهيل ذاتك من جديد ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾.

٢٣ - الكبار إذا خرجوا من مكان المنكر تركوا فرجةً لا تسدّ، وجعلوه عواراً بأحاديث الناس فيما بعد ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾.

٢٤ - قرار الخروج رسالة للحاضرين أنّ المساحة التي يدار فيها منكرٌ من المنكرات لا تستحقُّ العيش فيها ولو للحظة ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾.

٢٥ - إذا رأيته جالساً في منكرٍ فعزِّهِ في وفاةِ قلبِهِ؛ وعدمِ صلاحيةِ منهجه للحياة ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.

٢٦ - من العزة أن تولّي ظهرك حين يعلو صوت المنكر في ساحة ما ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ

حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾.

٢٧ ـ ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ إن لم تبلغ مداها في قلب الجالس في مجالس المنكر، وإلَّا فلا مفروح به في شأن.

٢٨ ـ ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ رسالة لمن بقي في قلبه شيء من الحياة!

٢٩ ـ لا فرق بين لصوص النفاق وجماهير الكفرة في النهايات ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.

❀ ❀ ❀

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ
نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ
عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾
إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى
ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا
قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ
وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا
تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن
تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي
ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا
ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ
دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ
إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ﴿١٤٧﴾

التفسير

- ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ﴾ ينتظرون ما يحل بكم ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ نصرٌ على أعدائكم ﴿قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾ شهدنا ما شهدتم ﴿وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ﴾ من الغلبة عليكم ﴿قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ نساعدكم ونحميكم، وندافع عنكم ﴿وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بتخذيلهم عنكم، وتزهيدهم في قتالكم ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ فيجازي كلّاً بعمله ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾ تسلُّطاً واستيلاء.
- ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ بإظهار الإيمان، وإبطان الكفر ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ باستدراجهم في طغيانهم، وخذلانهم عن الحق ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلين غير راغبين في فعلها ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ يقصدون مراءاة الناس ﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ إلّا ذكراً قليلاً.
- ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ متردّدين متحيرين ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ لا إلى أهل الإيمان ولا إلى أهل الكفر ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ١٤٣﴾ طريقاً للحقّ والهدى.
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ لا تتولوا أهل الكفر وتنصروهم على أهل الإيمان ﴿أَتُرِيدُونَ﴾ بذلك ﴿أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ١٤٤﴾ حجَّةً بيِّنةً ظاهرة.
- ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ﴾ في المنزلة السفلى الضيقة ﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾ لشدة كفرهم وعظيم ذنبهم ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾ ينصرهم، ويدفع عنهم عذاب الله تعالى.

• ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ أقلعوا عن كفرهم ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ عملهم ﴿وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ لجؤوا إليه ﴿وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ دعوه مخلصين له منيبين ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في الدنيا والآخرة حكماً وجزاءً ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ ثواباً كثيراً.

• ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ فلا منفعة لله تعالى بعذابكم إذا شكرتم نعمته وآمنتم به ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾ للمطيعين ﴿عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ بأحوالهم وأفعالهم.

التَّدَبُّر

١ ـ المنافقون أكبر خطر يواجه الأمة في كل زمان ومكان ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾.

٢ ـ حين تعيش لنفسك، وترقب مصالحك الشخصية، وترعى شؤونك الخاصة، على حساب دينك وقيمك ومبادئك، تأتلف مع المنافقين في طريقهم ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾.

٣ ـ لا تستغرب هذا التقلّب والتذبذب الذي يعيشه المنافقون، فتلك بعض سجايا القوم ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾.

٤ ـ الإيمانُ الحقيقيُّ مانعٌ من تسلّط الكافرين على المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾.

٥ ـ إذا رأيته يجترئ على ربّه، ويتعامل معه كما يتعامل مع المخلوقين، فتلك بعض صفات المنافقين ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾.

٦ ـ الشخصيةُ المزدوجةُ، والكَسَلُ عند الصلاة، وقلّةُ الذِّكرِ: بعضُ مظاهرِ النفاقِ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾.

٧ ـ اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين عملٌ يستحقُّ العذاب والجزاء بين يدي الله تعالى يوم القيامة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾.

٨ ـ الكافر حتى لو كان زميلاً في عملٍ، فالإسلام يحرّم معاضدته ومعاونته على أحد من المؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾.

٩ ـ أيّاً كانت تداعيات المواقف الدولية، فلا يجوز بحال أن نتعاضد مع المشركين، أو نتخذهم أولياء في سبيلِ مواجهةِ بعضِ إخواننا المسلمين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾.

١٠ ـ هذه هي نهايات النفاق والمنافقين ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾.

١١ ـ العبرة بالنهايات ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾.

١٢ ـ في العادة لا يأتي سوء الخاتمة إلّا على فساد القلوب ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾.

١٣ ـ القلوب أصل، وما يجري على الجوارح فيما بعدُ نتائج ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾.

١٤ ـ النتائج موكولة في العادة بالأسباب ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾.

١٥ ـ عظم عفو الله تعالى ومغفرته ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ رغم كل ما صنعوا إلّا أن التوبة في الإمكان ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

١٦ ـ إنّما تجهدون وتتعبون لأنفسكم ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾.

١٧ ـ ربّك لا تنفعه طاعتك، ولا تضرُّه معصيتك، كلّ ما تقدّمه إنّما تنفع به نفسك، وتثري به ساحتك ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾.

١٨ ـ أيّاً كان جهدك وعملك ومشروعك لدين الله تعالى، فهو في النهاية عائد إليك ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾.

١٩ ـ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ اصحب هذا المعنى في كلِّ عملٍ تقدِّمه، وكلِّ رسالةٍ تخوضها في رحاب الحياة.

٢٠ ـ سترى هذا المعنى ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ غداً في رحاب يوم القيامة فوق خيالك، وأبعد من تصورك.

٢١ ـ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ يجازي بأعظمَ من تصوُّرك، وأبعدَ من خيالك، وفوق أمانيك، ويأتي منه ما يدهشك.

٢٢ ـ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ ومن ذلك أنّ جزاءه يأتي في الدنيا قبل الآخرة من كمال النعيم، وراحة البال، وطمأنينة النفس، قبل ما تلقى من الجزاء بين يديه يوم القيامة.

❀ ❀ ❀

۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن
سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن
يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ
وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ
يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ
أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟
مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ
ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾
وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا
وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

التفسير

• ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ لا يحبّ الله تعالى أن يجهر الإنسان بالقول السيء ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ فله أن يظهر ما وقع عليه من الظالم، ويدعو عليه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ للأقوال ﴿عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ بالأفعال والأحوال.

• ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا﴾ فتظهروه ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ فتسرُّوه ﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾ تصفحوا عمَّن أساء إليكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ عن عباده ﴿قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ على الانتقام منهم.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ وتفريقهم: إيمانهم ببعض وكفرهم بالبعض الآخر، كحال اليهود يؤمنون بموسى، ويكفرون بعيسى وبمحمد، وحال النصارى آمنوا بعيسى، وكفروا بمحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ الرسل ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ الرسل ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ بين الإيمان ببعض الرسل والكفر ببعضهم ﴿سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾ طريقاً.

• ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي هؤلاء ﴿هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ أي كفراً حقيقياً ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ مخزياً مذلاًّ.

• ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ حقيقة الإيمان ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ بين رسل الله تعالى، بل آمنوا بهم جميعاً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ وافيةً كاملة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ بالمؤمنين.

• ﴿يَسْـَٔلُكَ﴾ يا محمد ﴿أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارى ﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يدلُّ على صدقِك ورسالتك ﴿فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ

أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ ﴾ فلا تستغرب ذلك منهم ﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ عياناً ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ فنزلت عليهم صاعقة من السماء ﴿بِظُلْمِهِمْ ﴾ بسبب ظلمهم ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ ﴾ إلهاً، وعبدوه من دون الله تعالى ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ الدلائل الواضحة على صدق موسى عليه السلام ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ﴾ عن تعنُّتهم وعبادتهم العجل ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ ﴾ حجَّةً بيِّنةً ظاهرة.

• ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ ﴾ لمَّا امتنعوا من الالتزام بأحكام التوراة رفع الله تعالى فوق رؤوسهم جبلاً، ثم أُلزموا ما أمرهم الله تعالى به، فالتزموا، وسجدوا، وجعلوا ينظرون إلى الجبل خشية أن يسقط على رؤوسهم ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ أمرناهم بدخول باب مدينة بيت المقدس سجوداً لله تعالى، فلم يستجيبوا ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ لا تتجاوزوا ما حرم الله عليكم في ذلك اليوم، وهو صيد السمك ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ ﴾ عهداً مؤكّداً شديداً على امتثال أوامر الله تعالى وترك نواهيه.

التَّدَبُّرُ

١ ـ الكفُّ عن أعراض المسلمين واجبٌ شرعيٌّ، لا يجوز التخلّف عنه إلَّا لضرورة ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾.

٢ ـ الأصل تحريم أعراض المسلمين، وعدم المساس بها إلَّا لضرورةٍ شرعيَّةٍ موجبةٍ لخلاف ذلك ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾.

٣ ـ إن كنت مظلوماً، فلا حرج عليك أن تبوحَ ببعض ما نالك من ظلم، وإلَّا فترفّع عن أن تخوض غمار الوحل في أيام الرخاء ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾.

٤ ـ بشّر الذين يخوضون في أعراض المسلمين بهذا المعنى الكبير ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ لا يفوت على الله تعالى من حديثهم وعبثهم شيءٌ.

٥ ـ حتى ما يدلى به في مجلس القضاء مقدّر بالضرورة؛ لأنَّ الأصلَ حرمة الأعراض ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾.

٦ ـ حتى في مجالس القضاء والتحاكم والخصام والنزاع يجب ألَّا تزول معاني الأُخُوَّة التي بناها الإسلام ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾.

٧ ـ لو أنّ الذين يجلسون في مقاعد التحاكم يستشعرون حبَّ الله تعالى وقدرته على التعويض ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ لتغيّرَ مسارُ كثير من القضايا.

٨ ـ لك أن تأخذ بأجزاء حقِّكَ الضائع، ولك أن تتجمّل بالمعروف، وتنشد العفو، وتأخذه سلوكاً ترجو به ما عند الله تعالى ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾.

٩ ـ أين هذه الصورة ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ من تلك الصورة التي يبحث فيها صاحب الدعوى عن فتات المشكلات والحجج والدعاوى ليلقي بها على ظهر خصمه ولو كانت ظلماً وزوراً؟!

١٠ - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾ هؤلاء ضلّوا الطريق من بدايته، فلا يُنتظر منهم وصول، والذين فقدوا الرؤية من أصلها فقدوا كل شيء.

١١ - وضوحُ الرؤيةِ أصلٌ في الوصول إلى الغايات التي نحلم بها ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾ عرفوا أن ما في هذا الوحي حقٌّ، فآمنوا به من البداية، فكانوا في النهاية على الطريق.

١٢ - لا تستغرب سؤالات أهل الضلال، فلهم أصل ضارب في الزمن ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ ﴾.

١٣ - كلُّ سؤالات الانحراف فرعٌ عن فساد القلوب ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ ﴾.

١٤ - في كثير من الأحيان ليست المشكلة في الأدلة المثبتة للحقائق، وإنما في القلوب التي تستقبل تلك الأدلة ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ

ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿١٥٣﴾ ﴾.

١٥ ـ عند سؤالات المنحرفين لا تنشغل بسرد الأدلة الدالة على صدق خبرك، ولكن ركّز على إحياء القلوب والعقول من غفلتها ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿١٥٣﴾ ﴾ ألا تراهم هنا حين جاءتهم البينات التي سألوها اتخذوا العجل، ومضوا منكرين جاحدين!

١٦ ـ في دروسك العلمية، ومواعظك التربوية، وجهدك الدعوي، ركّز أولاً على إيقاظ القلوب من غفلتها، ثم انتظر ما ترجوه من نتائج وآثار ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿١٥٣﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ
بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ
بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ
ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ
أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

التفسير

• ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ بسبب نقضهم الميثاق ﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وعدم إيمانهم بالله تعالى ﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ كيحيى ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ لا نفقه ما تقول ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا﴾ على قلوبهم ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ بسبب كفرهم بالله تعالى ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ إيماناً قليلاً.

• ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ بالمسيح ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ﴾ أنّها فعلت الفاحشة، فجاءت بعيسى ﴿بُهْتَٰنًا﴾ كذباً ﴿عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ كبيراً.

• ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ﴾ عيسى ﴿وَمَا صَلَبُوهُ﴾ كما ادعوا ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أُلْقِيَ شبهه على رجلٍ آخر فقتلوه ظناً أنه عيسى عليه السلام ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ في شأن عيسى ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ مترددون مرتابون ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ يقين ثابت ﴿إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ يتّبعون في ذلك الظنون الكاذبة ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾ حقيقة.

• ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ جسداً وروحاً ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ لا غالب لأمره ﴿حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ في تدبير خلقه وأمره.

• ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي ما من يهودي ولا نصراني ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ بعد نزوله وقبل موته ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ﴾ عيسى ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على أهل الكتاب ﴿شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ على النصارى بالغلو فيه، وعلى اليهود بالتكذيب له.

• ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ بسبب ظلمهم ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ كانت أولاً حلالاً، ثم حُرِّمَتْ عليهم ﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾ وبسبب صدّهم أنفسهم وغيرهم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عن دينه ﴿كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾ صدّاً كثيراً.

• ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ وبسبب أخذهم للربا ﴿وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ عن الربا ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ ظلماً وعدواناً ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ مؤلماً قاسياً.

• ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ البالغون في العلم منهم، والمكثرون منه ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وهم كلّ من آمن بالله تعالى واتبع رسوله ﷺ ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ لا يفرقون بينهم ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ والمؤدون لها كما أمر الله تعالى ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ لمستحقيها ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ ثواباً جزيلاً.

التَّدَبُّر

١ ـ على قدر مخالفتك للوحي والهدى تكون عواقب الحرمان ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِي ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾.

٢ ـ كلّ ما ينالنا في عُرْض الطريق، فهو جزء من آثارنا ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِي ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾.

٣ ـ العجز والخمول والكسل الذي يطاردك في كلِّ حينٍ هو بعضُ أثرِ ما جنت جوارحك ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا

تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥٥﴾﴾ هكذا كان السلف رضوان الله تعالى عليهم أجمعين إذا ساء خلق زوجه ودابته أدار فكره للوراء لعلَّ شيئاً أوجب هذه المواقف.

٤ ـ الأوهام أكثر الأحاديث شيوعاً ﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ﴿١٥٦﴾ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾﴾.

٥ ـ الجماهير والعوام أكثر الذين يلهثون خلف الأوهام ﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ﴿١٥٦﴾ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾﴾.

٦ ـ (أظنّ، يبدو لي، هكذا سمعت) أمراض تأخذ واقعها من حياة كثيرين، وتزيدهم رهقاً وبعداً عن الحقائق التي ينشدون ﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ﴿١٥٦﴾ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾﴾.

٧ ـ قد تتأخّر الحقائق، لكنّها تأتي في النهاية، فتقوّض الأوهام التي أخذت حقها في نفوس الكثيرين ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾﴾.

٨ ـ الوحي يبني التصورات الصحيحة، ويكتب حظّ المفاهيم الكبرى في الحياة ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾﴾.

٩ ـ كلُّ ما يصيبنا هو في البدايــة سهمٌ نحن الذين وضعناه فــي القوس بإمعان ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾.

١٠ ـ يســدُّ دينَهُ بقرضٍ ربويٍّ، ويبهج أطفاله بوسائل محرمــة مشبوهة، ويخرج يتســلّى على غير مراد الله تعالى، وفي النهاية يشكو تلك الأحداث التي تشوب قلبه، ويجد أحداثها تزاحم مشاعره ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾.

١١ ـ كــلُّ تخلّفٍ في مشروعك، أو عجزٍ عن مواصلــة رحلة نجاحك، أو إخفاقٍ يطارد فكرتك، أو عقبات تقف في وجهك كل ذلك من خطواتك السابقة، وأيامك الســالفة، فتأمل فرصاً جديدة للتصحيــح ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾.

١٢ ـ لا يقوم الحق إلّا على مدرسة العدل ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾.

١٣ ـ أثر العلم على أصحابــه ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ عرفوا من خلاله الحق وعملوا به.

١٤ ـ لا عبرةَ في الشريعة بجنسٍ أو لونٍ أو قبيلةٍ أو مجتمعٍ، ولكنَّ العبرة بتحقيق الغاية الكبرى التي جاء الخلق لتحقيقها ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ

يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾.

١٥ ـ لا يمسك بالراية إلّا كبير ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ لم ينظـروا لواقع أصحابهم وقومهم، وإنما عرفوا الحقيقة، وعاشوا من أجلها فحسب.

١٦ ـ من جمال هذا الدين أنّـه موكبٌ واحدٌ، وعقدٌ لا ينفرط منه شـيء ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ الإيمان لا يتم بمحمد ﷺ فحسب، وإنما بالإيمان به وبالأنبياء السابقين لا فرق.

❀ ❀ ❀

۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ
وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ
وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ
مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ
تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا
﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا
﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا
لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ
وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ
ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ
فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾

التفسير

• ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ يا رسول الله ﴿كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ﴾ أوّل الرسل ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ وكما أوحينا إلى النبيين من بعده ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ وإلى ابنيه ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ بن إسحاق ﴿وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ وهم أولاد يعقوب ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ الكتاب الذي يقال له الزبور.

• ﴿وَرُسُلٗا﴾ وأرسلنا إليهم رسلاً ﴿قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ﴾ قصصنا أخبارهم ﴿وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَ﴾ أخبارهم ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ تكليماً حقيقياً.

• ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ﴾ لأهل الطاعات ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ لأهل المعاصي ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي أرسل الرسل حتى لا يبقى للخلق حجّة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ لا غالب لأمره ﴿حَكِيمٗا ١٦٥﴾ في تدبير خلقه وأمره.

• ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَ﴾ يا رسول الله من القرآن ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾ بعلمٍ تامٍّ وحكمةٍ بالغة ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَ﴾ على صدق رسالتك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦﴾ فلا شهادةَ أعظم مِنْ شهادةِ اللهِ تعالى.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله تعالى ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وصدوا غيرهم عن الإيمان ﴿قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧﴾ بلغوا غاية الضلال.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله تعالى ﴿وَظَلَمُواْ﴾ أنفسهم وغيرهم ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾ إذا استمروا على كفرهم ﴿وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨﴾ صالحاً نافعاً.

• ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ خلـوداً دائماً ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ بسيطاً في قدرة الله تعالى.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟﴾ بالله تعالى ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ أفضل وأحسن ﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي ملكاً وتدبيراً ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بالأحوال ﴿حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ في تدبير خلقه وأمره.

التَّدَبُّر

١ ـ الرسالة التي جاء بها رسول الله ﷺ ليست رسالة فردية، وإنما هي موكب كبير للأنبياء والرسل، وسلسلة ضاربة في أعماق التاريخ ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾.

٢ ـ الرسل حملة رايةِ الدعوة، وصنّاع الحياة في أي مساحة يعيشون فيها ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ وكل داعية يحمل الحق فهو على الطريق ذاته ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾.

٣ ـ تصلـح البشارة لقوم، وقـوم لا تبعث قلوبهم لاستقبال الوحـي إلّا النذارة ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾.

٤ ـ الدعوة حجّة الله تعالى على العالمين ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ ولـذا يجـب أن تستثمر كلَّ موقفٍ وحدثٍ ومساحةٍ حتى تكون صالحة للإعذار.

٥ ـ حجة الله تعالى لا تقوم من خلال جهودٍ مبعثرة، وقضايا متناثرة، وأطروحاتٍ غير مستوعبةٍ للواقع الذي تعيش فيه ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ من الضرورة أن تستكمل كل أدوات البلاغ.

٦ ـ إذا أرادت الدعوة أن تحقق مـراد الله تعالى منها، فعليها أن تصوغ مفاهيمها، وترتِّبَ أولوياتها، وتُعِدَّ مشاريعها بالقدر الذي تكتب حظها في الواقع الذي تعيش فيه بقوة ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾.

٧ ـ إذا بلغك عن أحد المنافقين لَمْزاً لشريعة الله تعالى، فألقمه حجراً بهذا المعنى ﴿ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ وما يصنع نقيق الضفدع في عمق الماء!

٨ ـ يجترئ على بعض أحاديث الصحيحين؛ لأنَّ عقله لم يستوعبها. إن لم يفقه هـذا المعنـى ﴿ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ وإلَّا لا عافية تُرتجى لمثل هؤلاء!

٩ ـ الكفر بذاته جريمـة لا تغتفر، فكيف إذا حمل صاحبـه على ظلم الآخرين، وصدِّهم عن دين الله تعالـى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَـٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾.

١٠ ـ حمل الفكرة الباطلة خطر على صاحبها ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾ هؤلاء لم يكفروا فحسب، وإنما حملوا رايةَ ظلمِ عبادِ الله تعالى، والصدِّ عن سبيله في الأرض.

١١ ـ الإيمان لا ينفع إلَّا صاحبه، والله غنيٌّ عن أفعال العالمين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ
عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ
ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ
وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ لَّن يَسۡتَنكِفَ
ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ
وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ
إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ
فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥

التفسير

• ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ لا تتجاوزوا الحدَّ في أموركم، فتغالوا في عيسى حتى تجعلوه رباً ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ لا تقولوا غيره، كما قالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ مرسلٌ من الله تعالى ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ حيث قال «كن» فكان ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ أي إنّه أرسل جبريل، فنفخ في درع مريم، فحملت بإذن الله تعالى، وهذه الإضافة للتفضيل، وإن كانت جميع الأرواح من خلقه ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ إيماناً صادقاً ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾ الله تعالى، والروح القدس، وعيسى ﴿ٱنتَهُواْ﴾ عن هذه المقالة ﴿خَيۡرٗا لَّكُمۡ﴾ أفضل وأحسن ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ لا شريك له ﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ تنزَّه أنْ يكون له تعالى ولد ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ خلقاً وملكاً وتدبيراً ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾﴾ حافظاً.

• ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ﴾ لن يأنف ﴿أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ لا يأنفون كذلك من عبادة الله تعالى ﴿وَمَن يَسۡتَنكِفۡ﴾ يأنف ﴿عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ﴾ عن عبادة الله تعالى، ويستكبر عنها ﴿فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾﴾ يوم القيامة.

• ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله تعالى ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ التي تقرّبهم إليه ﴿فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ﴾ يعطيهم جزاء أعمالهم وافياً ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾ أرفع من عملهم ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن

عبادة الله تعالى ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً قاسياً ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ يتولى أمورهم ﴿وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ يدفع عنهم عذاب الله تعالى.

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ حُجَجٌ قاطعةٌ على الحق ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ أي القرآن الكريم.
- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ﴾ لجؤوا إليه، واعتمدوا عليه ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ أي يرحمهم لذلك ﴿وَفَضْلٍ﴾ وزيادة خيرٍ وبرٍّ ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ أي طريق الحق.

التدبّر

١ ـ الغلوّ في الدين كالجفاء فيه لا فرق ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾.

٢ ـ كان الغلو، وما يزال، من أعظم أبواب الفساد في الأمة ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾.

٣ ـ إذا رأيت مظاهر الغلوّ تأخذُ حظَّها في واقعٍ ما فاعلم أنَّ (لا إلٰه إلَّا الله) لم تأخذ حظهـا الكبير من قلـوب العالمين في تلك المسـاحة ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾.

٤ ـ لا يقوم الغلو إلَّا في بيئة ينحسـر فيها العلمُ، وتقلُّ فيها مشاهدُ التوحيدِ في القلـوب ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾.

٥ ـ من شرف الإنسـان وعزِّه في الحياة أن يكونَ عبداً لله تعالى ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢﴾.

٦ ـ الحرِّيَّات تجري في فلـك العبوديَّات ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢﴾ لا في الخروج عن منهج الله تعالى.

٧ ـ الجزاء من جنـس العمل ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ

﴿أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ ما تلقاه في حياتك هو أثرٌ لخطواتك الأولى.

٨ ـ النتائجُ موكولةٌ بالبدايات ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ فتأمل بدايتك وسيرك، واعلم أن نتائجك موقوفةٌ على تلك البدايات.

٩ ـ إذا حلَّ الدين في أرض تلاشى ظلامها، وأضاء فيها كل شيء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ ولا يبقى شيء من الظلام مع وجود النور المبين.

١٠ ـ إذا بقي في قلب إنسان شيء من الظلام رغم وجود هذا الحق، فإما أنه لم يعرف هذا الدين بحق، أو أنه ترك بعض معالمه عن عمد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾.

١١ ـ لا يمكن لمشكلةٍ أو عقبةٍ أو ظرفٍ أَنْ تقفَ عائقاً عن المضيِّ في طريقِ أصحابِ الحقِّ إذا امتثلوا هذا الدين كما أراد الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ من لوازم النور أنه لا يبقي شيئاً من الظلام.

١٢ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ لو آمن العالم بهذه الحقيقة لتحوّلت الدنيا شيئاً فوق ما يتصور الإنسان.

١٣ ـ آمنوا أيّها الأفراد، وانتظروا ما عند الله تعالى من آمال ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا (١٧٥)﴾.

١٤ ـ الرحمةُ والفضلُ والهدايةُ وقفٌ على الإيمان بالله تعالى والاعتصام به ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا (١٧٥)﴾.

❀ ❀ ❀

يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ
لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ
يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا
ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ
مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ
بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦

التفسير

• ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ يسألونك عن أحكام الكلالة ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ﴾ وهي كلُّ ميِّتٍ يموت، وليس له ولد ولا أب ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ﴾ إنسان ﴿هَلَكَ﴾ مات ﴿لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ لا ذكر ولا أنثى ﴿وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ﴾ شقيقة أو لأب أو لأم ﴿فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَ﴾ نصف مال أخيها ﴿وَهُوَ﴾ أي أخوها ﴿يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞ﴾ ذكر، ويرث أيضاً ما أبقت الفروض ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ أي الأخوات ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ﴾ اجتمع الذكور من الإخوة لغير أمٍّ مع الإناث ﴿فَلِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ فيما يأخذونه تعصيباً ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ هذه الأحكام ﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ حتى لا تضلوا عن الحق ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦﴾ لا يغيب عنه من علم الكون شيء.

التَّدَبُّر

١ ـ من كمال هذه الشريعة أنها لم تدع شيئاً مجهولاً يحتاج إلى سؤال السائلين ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾.

٢ ـ عِظَمُ شأن المواريث عند الله تعالى، وقد تولّى تعالى قسمتها بنفسه، ولم يدعها إلى أحدٍ من المخلوقين ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾.

٣ ـ لولا هذا الوحي لعاش العالم في ضلال ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾.

٤ ـ كلّ مناهج الأرض إذا لم تَسْتَقِ من هذا الوحي نُظُمَها وأحكامَها، فهي إلى بوار ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾.

❀ ❀ ❀

المحتويات

- مقدمة ٧

سورة الفاتحة ٩

سورة البقرة ١٦

سورة آل عمران ٣٣١

سورة النساء ٤٨٣

- المحتويات ٦٦٩